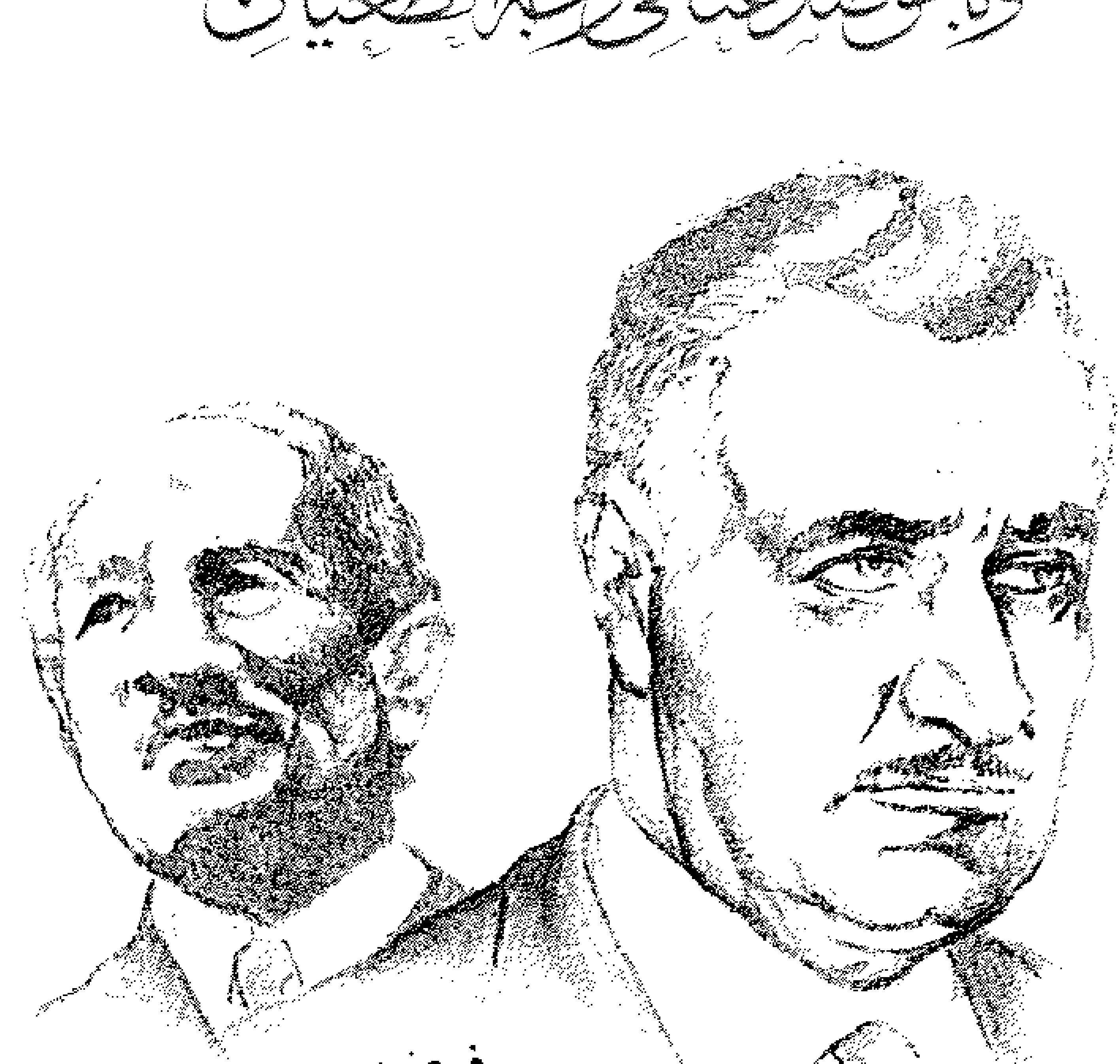
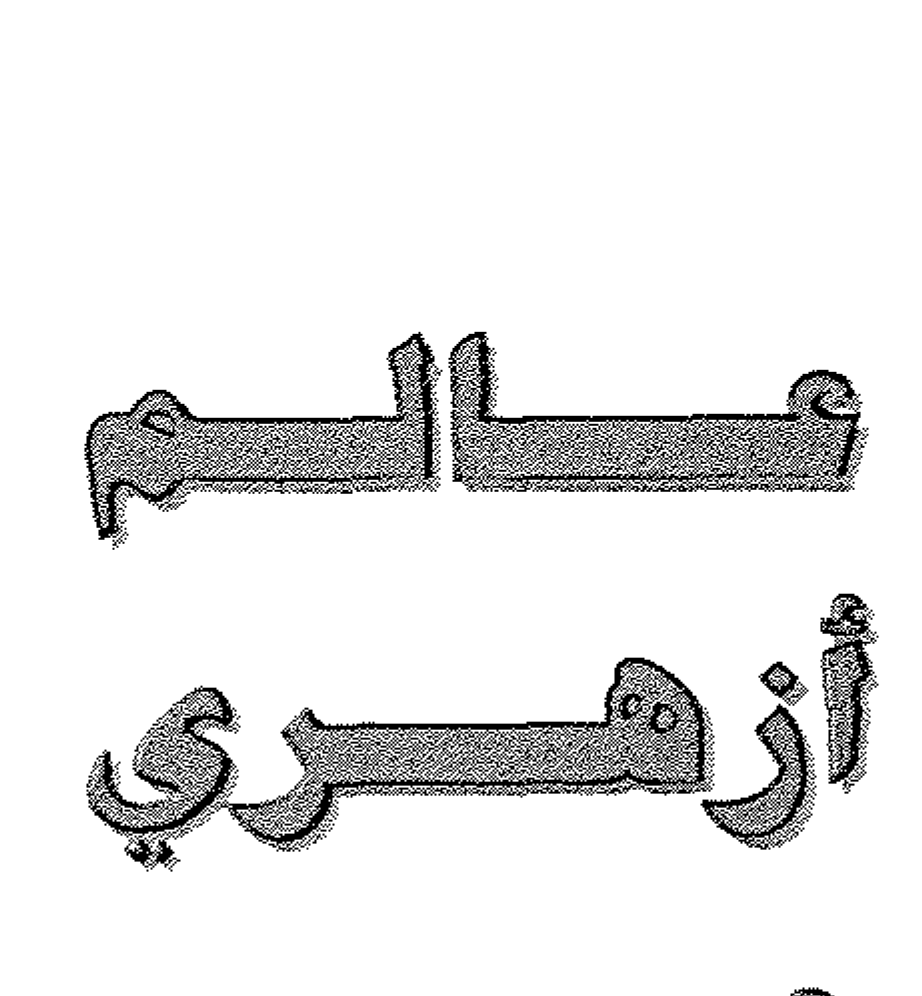
وبالحق صدعنا في وجه الطغيان





عالم أزهري حر

يواجه السلطان الجائر بقلمه.. وقلبه.. ولسانه

محمود عبد الوهاب فايد

دار الاعتصام

إهـــــــداء٢٠٠٦

مرحوم الدكتور/ علي حسين كرار

القاهرة

وبالحق وصدعنا في وجه الطغيان

عالم أزهري حُر
يُواجِهُ السُّلطان الجائر
بقلمه.. وقلبه.. ولسانه

محمود عبد الوهاب فايد

دار الاعتصام

دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع
٨ شارع حسين حجازى ـ القاهرة
هاتف : ٣٥٥١٧٤٨ ـ ٣٥٤٤٧٤٨ ـ فاكس : ٣٥٤٦٠٣١
ص.ب : ٤٧٠ القاهرة ـ الرمز البريدى ١١٥١١

وكلاء التوزيع فى
المملكة العربية السعودية
الناشرون العرب
الرياض ـ السليمانية ـ شارع العروبة
ص.ب : ١٠١٠٣ ـ الرياض : ١١٣٤٤
هاتف : ٤٦٢٥٨٤٠ ـ فاكس : ٤٦٢١٦١٩

وكلاء التوزيع فى المملكة المغربية
دار المعرفة
40 شارع فيكتور هيكو ـ الدار البيضاء
ص.ب 0514 ☎ 300567-309520
و
المكتبة السلفية
2 حى الفاطة ـ زنقة الإمام القسطلانى
الدار البيضاء ☎ 703634



الإهداء

• إلى الذين آمنوا بكلمة الحق فقالوها عالية مدوية .. صريحة فصيحة من مخارجها الصحيحة ..

• وإلى الذين آمنوا بها وترددوا فى أن يقولوها .. تساهلاً وضعفاً .. فندموا على ما فعلوا ..

• وإلى الذين آمنوا بها وتعمدوا أن لا يقولوها .. خوفاً من بطش حاكم .. أو طمعاً فى زائل .. رجاء أن يثوبوا إلى رشدهم .

• وإلى الذين لم يؤمنوا بها وحاربوها وأصروا على ما فعلوا .. فهؤلاء نطرحهم من الحساب .

حسن عاشور



بقلم : الدكتور محمد عاشور

كان لابد وأن يكون للاعتصام فى مقدمة هذا الكتاب كلمة .. وهى التى فتحت صدرها للكُتّاب الأحرار .. وهيأت منبرها للدعاة الأطهار .. وحين يذكر الكُتّاب الأحرار ، ويشار إلى الدعاة الأطهار فلابد وأن يكون فى أول قائمتهم محمود عبد الوهاب فايد .

لقد نطق الرجل بكلمة الإسلام الحرة والجريئة يوم أن خرست ألسنة معظم العلماء الناصحين فى موجة الإرهاب الطاغى خشية أن تصيبهم سياطه ويحرقهم لهيبه .. ويوم أن تخاذلت معظم الأقلام وسط حركات التسلط عملاً بمبدأ التريث والترقب والاعتدال وإيثار السلامة .

لم يكن محمود فايد رجل عهد ، أو بوق حزب ، أو عميل وزارة .. ولكنه كان يعمل للإسلام فقط .. ولا يدين بالولاء لأحد إلا لله وحده ، وشرعته الخالدة .

لما تآمر أعداء الإسلام على الأزهر ورسالته مستخدمين فى ذلك بعض قياداته ومشايخه كانت كلمته المخلصة الوفية : « بسم الله والله أكبر .. فليستقل شيخ الأزهر » وهنا كانت أولى مراحل الانتقام .. نفوه إلى أقاصى الصعيد .. إلى قنا .. وقبل أن يحمل الرجل متاعه حمل شجاعته ويراعه .. وذهب إلى محطة مصر ليجد هناك جموع الأزهريين .. أساتذة وطلاباً يقودهم وزير الأوقاف الأسبق الدكتور محمد البهى وقد تحولت بهم محطة مصر إلى ما يشبه المهرجان ليشتركوا فى وداع الأزهرى الشجاع الذى استطاع أن يصدع بالحق وسط مجتمع يتسابق المسئولون فيه إلى حرق البخور ، ونثر

الزهور .. وتحرك قطار الصعيد إلى قنا وهو يحمل آمال الأزهريين أمانة فى عنق الرجل الذى حارب الفساد ، وأقض مضاجع المفسدين .

وعاد ابن فايد إلى القاهرة لا رغبة فيها .. وإنما ليبتلى فى محاولة أخرى دنيئة لإغرائه وشرائه .. وإذا بالقلم الحر يفرض نفسه مرة أخرى ، ويتجدد حيوية ونشاطاً فيبدأ أولاً برؤوس الفساد ، ثم ينتهى بالأذناب والأذيال !! .

وحين تحركت مواكب النفاق على صفحات « مجلة الأزهر » وبرزت معها ألسنة الفتنة ، وجرت المقارنة الخسيسة والخبيثة بين الوحدة المحمدية الميمونة والوحدة الناصرية المشئومة فى ظل أكثر العهود تنكيلاً وإرهاباً لم تجد هذه المقارنة إلا قلم محمود فايد ليتصدى لها ، ويهدم أساسها ، ويضربها على أم رأسها !!.

وتتابعت الأحداث .. وأخذ الرجل ينتقل من جولة إلى جولة .. ومن صولة إلى أخرى حتى ضاقوا به فأخذوا يدبرون له المكائد ويحيكون له المؤامرات .. وهنا بدأت عملية التحرش به ..

قالوا له : هنا أرض الفراعنة .. فقال لهم : بل أرض الرسالات وموطن النبوات ..

قالوا له : الدين لله .. والوطن للجميع .. فقال لهم : الدين لله .. والوطن لله .. والجميع يسلم له الرقاب ، ويخضع له الجباه .

فلما بلغ بهم الضيق مبلغه قالوا له : سنقصف لك هذا القلم الذى تعتز به .. فقال لهم : إن قلمى هذا من نوع فريد لا تمتد إليه يد القصف .. ولا يخضع لمؤثرات النسف .

فقالوا : اقذفوا به فى النار ..

وتَلَفَّتَ الناس من حولهم فعلموا أن قرار القذف فى النار قرار جمهورى ناصرى سبق أن أصدر مثله نمرود العراق .. وغاية قوة القرار أنه من صنع البشر .. إذن لا بأس أن يُقْذَفَ به فى النار .. وقذفوا به فى النار .. وكانت النار برداً وسلاماً .. وصدر هذا الكتاب .

د . محمد أحمد عاشور

رئيس تحرير مجلة الاعتصام

* * *

شهادة
ومن يكتمها فإنه آثم قلبه

بقلم الزعيم أحمد حسين

فرغت لتوى من إعداد مقال بهذا العنوان بعثت به إلى مجلة « الاعتصام » ومحور المقال هو الحديث عن الرجل الذى قام برفع الحرج عن المسلمين فى المدة من ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ ولولاه لأثم المسلمون جميعاً .. فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفايات التى إذا قام بها البعض سقط الحرج عن الباقين .

وأشهد .. لقد قام عنا الشيخ محمود فايد بهذا الواجب .. فحيث دخلنا جميعاً فى الشقوق لسبب أو لآخر وجد محمود فايد فى « مجلة الاعتصام » ميداناً ينافح فيه عن الدين ورجاله ، وقد تمنيت على أصحاب « مجلة الاعتصام » أن ينشروا هذه الصفحات المطوية لتظل نبراساً على مدى الأيام للمجاهدين والمصلحين ، وكيف أن كلمة الحق لم تعدم نصيراً لها يتحدى الطاغية فى ذروة جبروته غير هيَّابٍ ولا وجل .. ولم أكن أدرى أن الله سبحانه وتعالى قد آذن بتحقيق أمنيتى .. فلم أكد أفرغ من كتابة المقال حتى بشرنى المبشر بأن مقالات أخى وحبيبى وحبيب الملايين « الشيخ محمود فايد » سوف تجمع فى كتاب ، وأننى مدعُوٌّ لأن أقدم الكتاب ببضع سطور .. ولقد أشرت فى مقالى السابق إلى بعض المعانى التى تقال فى هذا الصدد .. ولذلك أكتفى هنا بذكر ما لم أقله هناك .

الله يضرب الكافرين :

قلت : إن الشيخ محمود فايد غضب لله عز وجل ، ولرسوله ﷺ عندما زلت قدما رجل اعتبر فى يوم من زعماء الأدب فى مصر فإذا به يسقط سقطة كبرى فيقارن بين عمل قام به سيدنا ونبينا محمد ﷺ .. وآخر قام به

جمال عبد الناصر .. ورجّحَ مَا قام به « جمال عبد الناصر » وزعم أن الوحدة التى أقامها بين (مصر وسوريا) أخلد وأدوم .. فكان أن رد « الشيخ محمود فايد » رده الذى احتفت به السموات والأرض .. لأنه لم يقف عند حد الرجل الذى سقط .. وإنما تعَدّاه إلى الممدوح نفسه فوضعه فى مكانه الصحيح .. وهو أنه لو أنفق ملء أُحُدٍ ذهباً لما وصل إلى « مُدّ أحد الصحابة » وسيرى القارىء هذه الملحمة فى حينها ..

كرامة للشيخ محمود فايد :

وفى مقالى لمجلة الاعتصام بينت آية الله الكبرى .. وكيف دافع عن الذين آمنوا .. ولكنى أذكر هنا كرامة خصَّ بها الله سبحانه وتعالى عبده الشيخ محمود فايد .. وهو ما يجعلنى أحبُّه الحبَّ كله ، وأقدمه على نفسى، وعلى كل من عرفت .

فقد وقع الشيخ محمود فى يد الزبانية من رجال السجن الحربى .. أى والله .. السجن الحربى وهو فى عنفوانه عندما كانت الناس تقتل من التعذيب ، وكانت الكلاب تنهش لحم المسجونين ، والأعراض تهتك ، وحيث كان ضرب مائة جلدة هو لوناً من ألوان التحية والود .. وسط هذا الجو وقع الشيخ محمود فايد بعد أن قال ما قال ، وكتب ما كتب .. فإذا به يستغيث بربه فأغاثه .. فلم يَبِتْ سوى ليلة واحدة فى السجن الحربى ، خرج بعدها معززاً مكرماً تحفه المهابة والجلال .. وما قولك فى أنهم ساوموه على أن يكتب ضد الإخوان المسلمين فرفض .. ولست فى حِلٍّ من ذكر تفاصيل ما حدث .. وعسى أن لا يكون لديه مانع أن يروى ذكرياته عن هذا الحادث .. أما بالنسبة لى فالأمر فى نظرى كرامة مما يكرم بها الله أولياءه الصالحين .. وقديماً قال الله عز وجل : ﴿ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [١٠ : ٦٢] .

وحسبى أن أشير إلى ما جعلته عنواناً لأحد الفقرات من أن الله عز وجل ضرب الذين كفروا .. وكانت ضربته أن قصم ظهر هذه الوحدة التى زعموا أنها أدوم وأخلد .

وبعـد ..

فما كانت غضبة محمود فايد إلا لله ودين الله .. لم يكن طالب شهرة أو منصب مما يسعى له السياسيون فيجازفون ببعض المواقف ، بدليل أنه يعمل فى خدمة دين الله الآن وبعيداً عن الأضواء بعد أن انزاحت الغمة ، وسقطت عصابات الشيطان .. فهو يعيش الآن بجوار رسول الله ﷺ فى المدينة المنورة .. حيث يقوم بالتدريس فى جامعاتها لمئات الطلاب الذين جاءوا من كل فج عميق ليكونوا فى الغد مصابيح الهدى لأقوامهم ، وما أسعدهم بجوار الرسول العظيم ﷺ وتلقيهم العلم على يد الشيخ محمود فايد .. ليتنى بصحتى إذن لكنت معهم فأفوز فوزاً كبيراً .

أحمد حسين

٣٦ حى الروضة ـ القاهرة
١٩٧٥/٧/٧ م ـ ١٣٩٥ هـ

* * *

فقـــــرات

من مقال الزعيم أحمد حسين

فى مجلة الاعتصام عدد رمضان ١٣٩٥ هـ

قال الأستاذ أحمد حسين :

فى عهد الظلام .. قاد الشيخ محمود فايد الحملة ضدهم وكتب كتابة من نار تحرق الكافرين .

« فى الفترة التى ساد الظلام والطغيان فى الجزء الأكبر منها .. حيث كان الرجل قد يخرج من بيته فلا يعود إليه ، ولا يعرف آله وذووه أين ذهب .. ثم طلب منهم أن يكفوا عن البحث عنه .

فى هذا الجو المخيف الخانق الذى أرهب أشجع الشجعان ، وجعلهم لا يتكلمون إلا همساً إن هم تكلموا .

فى هذا الوقت بالذات فتحت مجلة الاعتصام صدرها للشيخ محمود فايد الأستاذ بالأزهر ، وعضو الجمعية الشرعية البارز ، لكى يتعقب كل ما كانت الأمة المسلمة تراه ضاراً بدينها وكيانها ..

ولما كنت فى ذلك الوقت محتفظاً بصحتى فقد كنت من قرائها المواظبين ، بعد أن بدأ ما تنشره من مقالات للشيخ محمود فايد يلفت الأنظار ، ويتسامع بها الناس !! .

فطالعنا مقالات دبجتها يراعة الشيخ المؤمن (محمود فايد) تتعقب الدستور الجديد الذى صيغ للبلاد ، ويقف أمام الكلمات المشبوهة ، والصيغ التى أريد بها صبغ البلاد بالصبغة الحمراء .

وعندما فتحت البلاد على مصاريعها أمام الروس ، وألوف ممن سموهم بالخبراء .. وقد كشفوا لنا أخيراً عن هول ما جرى وقتئذ ، وكيف دُعِيَ الروس ليكونوا قادة أسلحتنا .

ومرة أخرى كانت الاعتصام بالمرصاد ، وامتلأت صفحاتها بمقالات الشيخ فايد تحذر .. وتنذر .. وتتعقب .. وهى فى هذا كانت الصوت الوحيد الذى ارتفع .

وحدث فى إحدى المرات أن انطلق رئيس الدولة ـ على أسلوبه فى الحديث ـ فراح يطعن فى المشايخ بدون أى تحرز أو تحرج فكان مما قاله :

(الشيخ من دول يرقع وزة ويروح فاقع فتوى) . وهذا كلام لا يمكن بحال أن نخاطب به الدنيا كلها .. والمهم أن هذا كلام قيل وسمعته الملايين .. وليس إلا صوت الاعتصام من ارتفع بالاعتراض والاحتجاج .. فكتب الشيخ محمود يوجه الحديث مباشرة لرئيس الدولة .. وراح يسائله : لمصلحة من يقال هذا الكلام على فرض صحته ؟.

ولفت نظر رئيس الدولة أنه فى حاجة لتحقيق أى خير لمصر لهؤلاء المشايخ .. فما كان يصح بحال من الأحوال أن يؤذيهم هذا الإيذاء !!.

وحدث أن سقط رجل (١) اعتبر فى وقْتٍ ما أحد زعماء الأدب فى مصر .. وضاعف فى خطورة سقطته أنها جاءت على صفحات « مجلة الأزهر » وحتى هذه الساعة التى أخط فيها هذه الكلمات لا أرى فيها تعليلاً لهذه السقطة .. فوصْفُ الرجُلِ بالنفاق لا يكفى لتفسيرها .. لقد كانت شيئاً أكبر من النفاق ، وتلتبس بالكفر .. والتعليل الوحيد لهذه السقطة هو أنّ الشيطان أجرى على قلمه هذه العبارات الناطقة بالكفر ليكون فى كتابتها ونشرها على صفحات « مجلة الأزهر » ابتلاء وامتحان من الله للمسلمين .. وكان من الممكن أن يخيب المسلمون فى الامتحان ويستحقون بذلك أن يحل بهم غضب الله .. لولا أن قامت « مجلة الاعتصام » بواجبها فتحولت صفحاتها إلى شعلة من الغضب لدين الله عز وجل ولرسول الله ﷺ .. وتوالت برقيات الاحتجاج على ما قيل ، وقاد « الشيخ محمود فايد » الحملة ، وكتب كتابة من نار تحرق الكافرين .. وفى هذه المرة لم يجامل ، ولم يلاين .. وإنما وصل إلى حد الهجوم السافر ، والتحدى لرئيس الدولة نفسه .

وقبل أن أروى ما قاله الشيخ محمود فايد الذى أحفظه عن ظهر قلب برغم مرضى ومرور ما يقرب من اثنتى عشرة سنة على كتابته يجب أن أشير إلى ما قاله هذا الكاتب فى سقطته ..

قال الرجل تعليقاً على ما تم من وحدة بين مصر وسوريا ما معناه :

« إن الوحدة التى أقامها سيدنا محمد والوحدة التى أقامها صلاح الدين قد انفرط عقدهما .. أما الوحدة الناصرية فباقية خالدة !! » .

---

(١) هو الأستاذ « أحمد حسن الزيات » صاحب « مجلة الرسالة » ورئيس تحرير « مجلة الأزهر » كتب مقالاً فى شهر المحرم ١٣٨٣ بعنوان (أمة التوحيد تتوحد) فضل فيه الوحدة التى أقامها جمال عبد الناصر على وحدة النبى محمد ﷺ وعلى وحدة صلاح الدين .

فهاجم الشيخ محمود فايد كاتب هذه العبارات بكلمات تتعداه إلى رئيس الدولة وتتحداه .. وما زلت أحفظ مما قال :

« إن الرئيس لو أنفق مثل أحد ذهباً لما وصل إلى مُدِّ أحَدِ صحابة رسول الله ﷺ فكيف بالرسول يا جهول » !!.

وكان من الممكن أن يطيح ذلك كله بأسرة الاعتصام .. فضلاً عن الكاتب .. لولا أن صَدَقَ اللهُ وعده فدافع عن الذين آمنوا .. فقد حدث أن كل سفراء الدول الإسلامية احتجوا أن يقال هذا الكلام ، ووجدت الدولة نفسها فى مأزق فلم تجد أمامها إلا مجلة الاعتصام ترسلها إلى السفراء وتقول لهم : « **رجل أخطأ ومجلة الاعتصام ردت عليه** » .

أحمد حسين

* * *

العلماء الرجال

بقلم : الأستاذ محمد عبد الله السمان

•• ما أكثر العلماء .. علماء الدين .. ولكن ما أقل العلماء الرجال .. ويبدو أن العلماء الرجال أصبحوا اليوم كالحقيقة حين كان يبحث عنها أحد الفلاسفة فى وضح النهار وبيده مصباح مضيىء .. والعلماء .. علماء الدين .. الذين بلغوا من الكثرة بمكان هم فقط حملة مؤهلات لا أكثر ولا أقل .. أما العلماء الذين بلغوا من الندرة بمكان أيضاً هم العلماء الرجال ذوو العقائد والمبادىء والضمائر .. وذوو النفوس العالية العَفَّة الذين يتمثل فيهم قول البارودى رحمه الله :

خُلِقْتُ عيوفاً لا أرى لابن حرة * عليَّ يداً أغضى له حين يغضب

•• والعالم الجليل أخى فضيلة الشيخ محمود عبد الوهاب فايد ــ بلا أدنى مجاملة هو فى غنى عنها ــ من هؤلاء العلماء القلائل الذين يبحث عنهم الإسلام المغلوب على أمره وسط التحديات التي تحيط به من كل جانب ، وتهب عليه من الشرق المادى الملحد ، والغرب الصليبى المتعصب على السواء .. وتبحث عنهم قضايا الإسلام ، وقضايا المسلمين التى قل أن تجد اليوم من يأخذ بيدها !!.

•• لقد عرفت أخى الشيخ « فايد » بقلبى قبل أن أعرفه بعقلى .. عرفته بقلبى مؤمناً عميق الإيمان .. إنساناً بكل ما تحمل كلمة الإنسانية من معنى .. فأحببته .. وعرفته شجاعاً تنبع شجاعته من إيمانه .. قوياً يستمد قوته من عقيدته .. فازددت حباً له !! .

•• عَرَف « الشيخ فايد » طريقه إلى « مجلة الاعتصام » .. فعرف مكانه الصحيح اللائق به ، وسعد بالاعتصام وسعدت به ، وكان لمقالاته الجريئة القوية أثرها الطيب في نفوس القراء ، وتأثيرها العنيف على أعناق الطواغيت التي نكبت مصر بها ، وأقضت مضاجع الشراذم المتآمرة على الإسلام التي تسللت إلى مصر بأفكارها وسمومها في غيبة « الدعوة الإسلامية » الممتحنة ..

•• وواجه الشيخ فايد الطواغيت وهي في فورة طغيانها ، فلم يَحْنِ لها رأسه .. وأحنى غيره من العلماء رءوسهم دون أن يواجهوا الطواغيت لكيلا تواجههم الطواغيت .. والذين تزلفوا إلى الطواغيت من العلماء ـ حتى في وهنها وهزيمتها ـ كنا نسقطهم من الحساب .. والذين تزلفوا إلى الطواغيت بعد أن هلكت .. بل يوم أن هلكت .. لم نسقطهم من الحساب لأنهم كانوا في نظرنا بلا اعتبار حتى يحاسبوا !!.

•• والعجيب أن الذين مالأوا الطواغيت في قوتها وفي ضعفها في انتصاراتها الزائفة ، وفي هزائمها الحقيقية هم اليوم أطول الناس لساناً على الطواغيت بعد هلاكها .. بينما الذين لم يجودوا على هذه الطواغيت في حياتها بكلمة تزلف واحدة ، بل واجهوها بإيمانهم هم اليوم أقل الناس نهشاً في أعراض هذه الطواغيت .. لأنها في نظرهم أصبحت أهون من أن يشهروا عليها لساناً !! .

•• وبعد .. فلعلي لم أقل غير الحق بالنسبة لأخي الشيخ فايد .. بل الحق إنني لم أوفه حقه كما ينبغي تاركاً لكتابه الذي بين يدي القارىء المسلم اليوم ليستكمل عني ما قصرت فيه !!.

والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل ..

محمد عبد الله السمان

القاهرة

* * *

نص خطاب
مجلس الشعب المصري
إلى الشيخ محمود عبد الوهاب فايد

مجلس الشعب

لجنة الاستماع الخاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ / الشيخ محمود عبد الوهاب فايد

المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

تحية طيبة وبعد :

يسرنى أن أدعو سيادتكم باسم لجنة الاستماع بمجلس الشعب إلى التفصل بحضور الاجتماع الذى سيعقد بقاعة الشيوخ بالمجلس الساعة الحادية عشرة صباح ١٥ ، ١٩٧٣/٨/١٦ ، لمناقشة الموضوع التالى :

« الواقع المصرى وعناصر قوة مصر الذاتية ومقترحات الجماهير ، بشأن دعمها تمشياً مع المتغيرات الدولية من النواحى الاقتصادية والسياسية والدينية والاجتماعية » .

ومما لاشك فيه أننا جميعاً مطالبون اليوم كمصريين أكثر من أى وقت مضى بالإسهام بالرأى فى وضع الأسس الكفيلة بوضع وطننا العزيز فى المكان الذى نحبه ونرجوه له ، إزاء المتغيرات الجذرية التى شملت العالم كله نتيجة للوفاق بين القوى العظمى والتى سوف يكون لها آثارها البعيدة المدى على مستقبل كثير من شعوب العالم .

وإنى إذ أدعو سيادتكم باسم لجنة الاستماع ، أرجو أن أحيطكم علماً بأننا حريصون كل الحرص على مساهمتكم شخصياً بالرأى فى هذه القضية الكبرى التى نتكاتف جميعاً من أجل تحديد معالمها وآثارها بالنسبة لبلادنا فى الحاضر والمستقبل .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

رئيس اللجنة

(محمود أبو وافية)

إمضاء

١٩٧٣/٨/٧

نص الكلمة التى ارتجلتها

أمام لجنة الاستماع فى مجلس الشعب المصرى
فى يوم الخميس الموافق ١٦ أغسطس عام ١٩٧٣م

[منقولة من المضبطة]

الأستاذ محمود أبو وافية :

أستأذنكم بعض الدقائق .. فمعنا فضيلة الشيخ محمود عبد الوهاب مدرس بالجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة ، وكان قد طلب الكلمة بالأمس ، ولم يتسع الوقت لإعطائه الكلمة ، وقد تقدم بطلب جديد فليتفضل فضيلة الشيخ محمود عبد الوهاب فايد من رجال الأزهر ومعار للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

الشيخ محمود فايد :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعـد :

السيد / رئيس اللجنة ، الإخوة المشتركون معنا فى لجنة الاستماع .. إليكم أوجه أبلغ التحية .

من أخيكم محمود عبد الوهاب فايد من رجال الأزهر الشريف والمعار للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

أيها الإخوة :

لقد حضرت اليوم وأنا أعلم أن الكلمة الحرة الصريحة لبنة فى بناء الوطن .. وأنا أعلم أيضاً أننا أحوج ما نكون إلى مراجعة شاملة فى جميع شئوننا الدينية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والعسكرية ، والإعلامية .. ذلك لأن الظروف التى نعيشها ظروف عصيبة والمرحلة التى نجتازها مرحلة رهيبة .. لقد قامت ثورة ٢٣ يولية من أبناء

الشعب الذين عاشوا آلامه وآماله ، ورحب الشعب بهم لأنهم من صميم القاعدة الشعبية .. فآمل أن يعالجوا آلامه ، وأن يحققوا آماله .. ولكن ماذا جرى ؟ .

لابد أن نأخذ العبرة ، ونقتبس العظة .

لقد كانت بيدنا ـ يوم تسلمت الثورة الحكم ـ غزة وسيناء والعريش كانت بيدنا سنة ١٩٥٢ م .. وفى عام ١٩٦٧ م خرجت من يدنا غزة وسيناء والعريش واحتلتها إسرائيل .. كنا ـ كما قال الأخ القيسونى ـ دائنين بالأرصدة الاسترالينية بمبلغ (٣٥٠) مليون جنيه باعتراف انجلترا .. أو ٥٠٠ خمسمائة مليون جنيه كما كنا نقول .. والآن أصبحنا مدينين بـ ٠٠٠٠ انقلبنا من دائنين إلى مدينين .. كنا نطالب بجلاء القوات الإنجليزية .. فأصبحنا الآن نطالب بجلاء القوات الإسرائيلية .. كانت مصانعنا فى سيناء تحت إدارتنا ، ولحسابنا .. فأصبحت تعمل تحت إدارة إسرائيل ولحسابها .. نعم لقد حرمنا من أرض سيناء ودخْلِهَا وثرواتها بعد أن كانت فى حوزتنا ، وأصبحت الآن وأصبح دخلها يشارك فى بناء قوة إسرائيل ، واقتصادها ، والدفاع عنها ، والتوسعة عليها .. هذه حالة مزعجة (١) **تحتاج إلى أن نفكر .. ما الذى جرى وحدث ؟!!** .

---

(١) صرح بهذا أخيراً الرئيس أنور السادات فى مجلس الشعب يوم الأحد ١٤ مارس ١٩٧٦ نشرت الأخبار يوم الاثنين ١٥ مارس ص ٩ ما نصه :

« ترك لى عبد الناصر وهو كما تعلمون أخى وصديقى .. ترك لى تركة كلكم تعلمون ما هى هذه التركة .. موقف خارجى ممزق مع جميع العالم ، ممزق مع الأمة العربية ، ممزق مع أمريكا ، ممزق مع غرب أوربا ، ممزق مع دول كثيرة جداً فى هذا العالم .. ويكفى أمتنا العربية اللى هى عيلتنا تمزقاً آدى الموقف السياسى .. تركت موقف عسكرى .. إسرائيل على ضفة القناة ، والروس جاى كلامى عنهم وروه الويل .. حقيقى لم يكن له غير الروس .. لأنه بعد ما انقطعت خيوطه مع كل هذا العالم ما كانش باق غير الروس .. الموقف العسكرى هزيمة .. مرارة .. ألم .. الموقف الاقتصادى احنا فى موقف اقتصادى لا نحسد عليه .. موقف صعب جداً .. يذكر المجتمعون هنا أننى قلت لهم أنا عايز أقول لكم حقيقة هى أن الاقتصاد المصرى تحت الصفر فى أكتوبر ١٩٧٣ وأنا أشبهه برجل كامل .. ولكن كل دمه نزف من شراينه » .

وأقول بصراحة : **إننا استبعدنا الدين فى هذه المرحلة كلها** .. فترة قصيرة نعمنا فيها بروح دينية ، ثم بعد ذلك قفزت مراكز القوة إلى السلطة ، وتحكمت فينا ، وملأت البلاد إرهاباً وفساداً واستبداداً .

فإذا بنا نرى الحالة كما نرى .

رأينا أوضاعنا قد انقلبت .. فبعد أن كنا نأمل الخير أصبحنا نخشى الشر ، ونتوجس خيفة مما يراد بنا .. هذا يتطلب منا أن نفكر كثيراً لنسترد أرضنا ، ونتوقى الأخطار والأشرار .. ما العلاج ؟ وماذا يجب علينا فى هذه الظروف ؟.

وأقول لكم بكل صراحة : **إنه يجب أن نعيد للدين كرامته ، وسلطته** .

إنه لا يجوز بأى حالة من الأحوال أن نستبعد الدين خوفاً من هؤلاء القائلين : إن الدولة يجب أن تكون علمانية .. ولا يصح أبداً أن تكون دولة دينية .. هؤلاء لا يجوز أن نستمع لقولهم .

تصفيق ...

إننى أقول لكم بصراحة : **إن ما حدث سنة ٦٧ م ليس نكسة .. ولا هزيمة .. بل خيانة للدولة وإنه ليعجبنى من السيد نائب الرئيس حسين الشافعى أن صرح بهذا ..**

وكان يعجبنى أكثر لو أنه صحح هذا يوم كان الرئيس الراحل موجوداً ، وأن يقول له : لا .. إنها ليست نكسة ولا هزيمة .. وإنما هى خيانة .. لقد قالها اليوم ، وكان بودى أن يقولها بالأمس .. لقد كان شعبنا يقال له : إنها نكسة فيردد الجميع بعد ذلك .. نكسة .. نكسة .. أذكر أننى يوم قيلت هذه الكلمة كتبت وقلت :

(لقد هزم الحكام .. ولم يهزم الشعب .. سلمت الأرض والجيش والسلاح لأعدائنا) .

تصفيق ..

نعم .. قلت هذا وكتبته .. وإذا بى أرى الرقيب يشطبها ، وأخذت وقتاً طويلاً معه وهو يقول لى : إنى أشطبها حرصاً على حياتك أنت !!.

قلت له : أى حياة بقيت ؟ إنها حياة ذليلة مهينة .. لقد ضاع أكثر من(١٨) ألف جندى فلم لا يزيدون أيضاً جندياً واحداً وهو « محمود فايد » ويقتل كما قتل هؤلاء ؟. فليمت ، وليغدر به كما غدر بهم .

قلت : له هذا .. ولكنه أبى ورفض ، وقال : إن كنت مستعداً لتضحى بحياتك فلست مستعداً أنا لأضحى بحياتى .

نعم ، قال المسئولون فى مصر أولاً : إنها نكسة .. ثم قالوا : قد هزمنا فى معركة .. وأخيراً قال نائب الرئيس : إنها خيانة .. وأنا أقول حقيقة إنها خيانة .

استبعدنا الدين لماذا ؟ إن إسرائيل أيها الإخوة قامت على أساس دينى .. إن اسمها نفسه اسم دينى : [إسرائيل] اسم لسيدنا يعقوب .. كذلك عَلَمُها عليه نجمة تسمى [نجمة داود] !!.

قامت إسرائيل فجعلت عنوانها عنواناً دينياً لأنها تريد أن تستغل الدين ، وتستغل اسم (يعقوب) نبى الله الذى يشترك فى احترامه وتعظيمه المسلمون واليهود والنصارى .. أرادت بهذا الاسم أن تستدر عطف الناس جميعاً ، وألا يَلْعَن اسمها أحد .. أنا شخصياً لا أستطيع أن ألعن (إسرائيل) إلا إذا قلت أو قصدت (إسرائيل) الدولة .

إسرائيل قامت على أساس دينى ، ونظرية دينية ، ولا تزال تدعو وتستخدم الدين فى جميع معاركها حينما دخلت فى سيناء .. هل تعرفون ماذا جرى أيها الإخوة ؟! .

جرى أن هؤلاء الجنود اليهود كانوا مرهقين غاية الإرهاق .. ولو أن أى قوة عسكرية قامت عليهم ، ودخلت عليهم والله لما استطاعوا أن يقاوموها طويلاً ، ولفروا أمامها .. ولقد حدثنى رجل أثق به بأنه طلب أن يكلف الجيش أو فرقة منه بمحاربة اليهود فى سيناء .. وقد كانت هناك بعض الفرص لاحتمال النصر ، وعودة الأرض ، فقال المسئولون : لا .. إننا أعطينا كلمة لمجلس الأمن فلا نتراجع !! تراجعوا عن أرضنا .. ولم يتراجعوا فى كلمتهم التى قالوها فى مجلس الأمن .. لم يتهيبوا الأمة ، وسلموا أرضنا ، وتهيبوا مجلس الأمن مع إسرائيل التى تتحدى علناً كل

قراراته ، وتعلن أنها لا تلتزم إلا بما فيه مصلحتها .. إن هذه معارك حربية والحرب خدعة .. إننا أمام مستقبل أمة .. فكان يجب أن نحافظ عليه ، ونرعاه ونهتم به ، لقد كان الجيش اليهودى فى غاية الإرهاق ، وكان لا يستطيع أن يقعد فى رمال سيناء حيث لا استعدادات ولا مظلات ولا مخابىء .. فالجيش اليهودى مضطرب .. مرتبك .. يتململ من شدة الحرارة ومن سوء الطقس ، هل تعرفون ماذا جرى ؟.

ذهب موشى ديان إلى الحاخام ، وقال له : الجيش مضطرب فى سيناء بسبب سوء الأحوال الجوية .. فقال له الحاخام : سأذهب بنفسى .. وذهب الحاخام إلى الجنود وقال: هنا الجنة .. من يمت هنا دخل الجنة .. عندئذ تحمس الجنود للبقاء ، وتسمرت أقدامهم فى سيناء .. نعم لقد استعملوا الدين .. استخدموه ولم يهملوه فى المعركة .. إذن يجب علينا أن نستعمل سلاح الدين .. فالدين لا يجوز أن نهمله .. فديننا أيها الإخوة ما هو ؟ هل هو دين نتعير من أن ننطق به ؟ ونأتى به على ألسنتنا ؟ ونسير على نهجه فى حياتنا ؟ لا .. إن ديننا أيها الإخوة دين قويم يعمل للدنيا والآخرة .. وإذا أردنا العلم فهو يدعونا إلى العلم ، وبأوسع ما تتحمله هذه الكلمة من معنى .. فلا مبرر لما يطالب به العلمانيون .. لماذا ؟.

إن الله الذى يقول لنبيه ﷺ : ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ [٤ : ١١٣] . يقول له بجانب هذا : ﴿ وقل رب زدنى علماً ﴾ [٢٠ : ١١٤] ليكون لنا قدوة حسنة فى الاستزادة من العلم أياً كان نوعه ، وليقول كل منا اقتداء بالنبى ﷺ : ﴿ رب زدنى علماً ﴾ .

والعلم فى الإسلام ليس علماً بفرائض الوضوء والصلاة فقط .. ولكنه علم يتسع حتى يشمل علومنا الدينية ، والعربية ، والطبيعة ، والكيميائية .. يقول الله سبحانه : ﴿ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [٤٥ : ١٣] .

مطلع الآية : ﴿ سخر لكم ﴾ وهو خطاب للناس جميعاً ، وأولى الناس بالخطاب الذين نزل القرآن بلغتهم .. فكان من اللازم على العرب المسلمين أن يفهموه ويستجيبوا له .

وختام الآية : ﴿ **إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ [٤٥ : ١٣] .. وهو يرشدنا إلى أن مفتاح التسخير هو التفكير .. لو فكرنا فى الأرض وفى السماء لاستطعنا أن نغزو الفضاء .. لكن العرب أهملوا دعوة القرآن ، وفكر غيرهم من الروس والأمريكان .. وغيرهم فى جنبات العالم ، فتم لهم تسخيره .. وكنا أولى منهم بذلك لو استجبنا لهذه الآية ولقوله تعالى : ﴿ **قل انظروا ماذا فى السموات والأرض** ﴾ [١٠ : ١٠١] ﴿ **وقل رب زدنى علماً** ﴾ [٢٠ : ١١٤] .

يا ويح قومى سخر المولى لهم	ما فى الورى لكنهم جهلاء
أسلافنا فهموا الكتاب فدققوا	فى الكون حتى برّز العلماء
فى الطب فى الأفلاك فى الجغرافيا	فى الكيمياء فطاحل نبغاء
تركوا لنا فى كل فن ثروة	من كدهم وأضاعها الأبناء
جدوا المسير وقد توقف سيرنا	هل يرتجى للخاملين ثراء ؟
ذهبوا بعلم ثم بؤنا بعدهم	بالجهل وهو معرة وشقاء
الغرب سار بضوئنا حتى أتى	بعجائب دهشت لها الحكماء
فخذوا من الغرب الجديد ولا تنوا	فالكون يدرك سره الخبراء
لا بأس بالتقليد فى علم وفى	فن يَجِدُّ لنيله العظماء
أما المراقص والمهازل فهى لا	تجدى وليس بها يقوم بناء

تصفيق ...

* * *

ماذا نخشى أيها الإخوة من الإسلام ؟ هل الإسلام يرضى لنا أن نكون مستضعفين أو أذلاء ؟ لا .. إن المولى يقول فى صراحة : ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ [٦٣ : ٨] **فمن رضى لنفسه طائعاً أن يذل لإنسان أياً كان هذا الإنسان ، أو لمتجبر بالغ فى الطغيان فليس بمؤمن !!.**

هل الإسلام يرضى لنا أن نركع أو نسترخى أمام أعدائنا ؟! لا .. لا ..

إن المولى يقول : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ [٨ : ٦٠] ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾ [٢٢ : ٤٠] فنحن لا تخيفنا طائرة الفانتوم الأمريكية ، ولا السوخوى الروسية .. والله لا يكلفنا إلا

ما استطعنا .. فإن استطعنا أن نأتى بالفانتوم أتينا بها ، وإن لم نستطع فقد رفع الله عنا التكليف بها ، وسيكون سبحانه فى عوننا .

وما علينا إلا أن نستعد للجهاد بقدر ما فى وسعنا ، ونجاهد بإخلاص وإيمان أعداء ديننا ووطننا حتى نتحرر ونتخلص من شرهم .. وحسب المجاهدين إن عاشوا أن ينعموا بالعيش فى هناء وسعادة .. وإن ماتوا أن يظفروا بنعمة الشهادة ، وينالوا الحسنى وزيادة .

إن المعارك التى خاضها أسلافنا لم يخوضوها ومعهم ذخائر حربية تعادل قوة أعدائهم .. لم يكن هذا قط .. بل كانت أسلحتهم المادية ــ كما نعلم ــ ضعيفة ، وكانوا يتقدمون إلى أعدائهم بقوة إيمانهم ، واثقين أن الله تعالى معهم ، وهو ناصرهم على خصومهم .

أيها الإخـــوة :

أريد أن أضرب مثلاً واحداً لكم يؤيد ما ذكرته ، ويؤكد ما قلته .

فى حرب المسلمين مع فارس تقدمت فرقة من المسلمين قليلة العدد والعدة .. فلما وصلوا طلب كسرى منهم وفداً للمفاوضة ، فأرسل إليه سعد بن أبى وقاص وفداً .. فماذا جرى ؟ أقام الفرس بوابة صغيرة على باب كسرى حتى ينحنى الوفد الإسلامى وهو داخل عليه لأنهم يعلمون أن المسلمين أعزة لا ينحنون لغير الله ، ولا يركعون إلا لله .. ورأى المسلمون هذا ، وتنبهوا للمكيدة بفراستهم .. ولا عجب فالرسول ﷺ يقول : « اتقوا فراسة المؤمن » فدخل الوفد على كسرى لا بوجهه بل بظهره حتى لا ينحنى له .. وتنبه كسرى لهؤلاء ، وعرف أنهم أذكياء أقوياء ، وأنهم دخلوا عليه بظهورهم غير خائفين ولا وجلين !!.

تذكرنى تلك القصة بما جرى لى أثناء مقابلتى لوزير ، فوجدت موظفاً يجلس عنده .. فأراد الوزير صرفه بعد أن دخلت عليه .. وكان قد طلب لى قدحاً من القهوة فانصرف هذا الشخص وتقهقر إلى الخلف ووجهه إلى الوزير احتراماً له فاصطدم بحامل القهوة فأوقع الأقداح وما فيها .. فيا للهوان الذى تَذَوَّقه أهل زماننا .. ويا للعزة التى أُشْرِبَ بها أسلافنا .

نعود إلى الوفد الذى بعثه سعد بن أبى وقاص .. لقد رفض أن يدخل على كسرى بوجهه خشية أن ينحنى له فدخلوا عليه بظهورهم

لأنهم احترموا أنفسهم .. فالإيمان أنار بصائرهم وزادهم قوة على قوة .. فماذا جرى ؟ .

قال كسرى لهم : أنتم أيها العرب كنا نحتل جزءاً من أرضكم .. فلما غفلنا عنكم تجرأتم علينا .. من أجل أى شىء جئتم ؟!!.

فأخذوا يعرضون عليه الإسلام عرضاً طيباً ، وانتظروا أن يتجاوب الرجل معهم .. لكنه أصر على كفره إصراراً ، واستكبر استكباراً ، وطلب من حاجبه أن يأتى بوقر [زكيبة] من تراب ويضعها على ظهر أعظمهم .. فقال أقلهم شأناً : أنا أعظمهم ليحمل التراب على ظهره ، وليدفع العار عن كبير الوفد .. وعادوا إلى سعد .. فلما دخلوا عليه قال : ما صنعتم ؟ قال هزىء بنا الرجل ، وسخر منا ، وأمر بأن يوضع التراب على ظهر أعظمنا كما ترى .

عندئذ صاح سعد صيحة ارتج لها الجيش .. صاح الضابط الذى تخرج فى الكلية الحربية المحمدية ، وَحَوَّلَ هذا الموقف من ضعف إلى قوة .. صاح قائلاً : (الله أكبر .. الله أكبر .. جاءت البشرى بانتصار المسلمين على الفرس ... وهذه تربة أرضهم قد سلموها لنا بأيديهم) .. وتفاءل المسلمون ، وقويت روحهم المعنوية ، وانتصروا فى المعارك حرباً بعد حرب ، واضطر كسرى وجنوده إلى أن يفروا من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية ، ويبقوا السفن فى حوزتهم لئلا ينتقل المسلمون إلى ضفتهم !!.

ونظر المسلمون إليهم ، وصمموا على أن يتعقبوهم .. ولكنهم لم يجدوا سفناً ولا بواخر حربية ، فأمرهم سعد بن أبى وقاص بأن يركبوا الخيل ، ويعبروا البحر ، متوكلين على الله ، واستجاب له المسلمون وهم يقولون :

(اللهم إنك سخرت البحر لموسى ، فسخره لنا .. نحن أتباع محمد ﷺ .. ونظر إليهم سلمان فقال : والله لتخرجن سالمين كما دخلتموه سالمين ما لم يكن فيكم ظلم ولا بغى) .

ويأتى أحدهم فيجد إناء قد سقط فينثنى عليه ليأخذه ، ويسرع إليه زميله ليعدله خشية أن يغرق فيعتدل وقد استعاد الإناء .. ويخرجون جميعاً سالمين ما فقدوا أحداً ولا وعاءاً ولا إناء .

وينظر إليهم سلمان فيخر ساجداً لله ، ثم يرفع رأسه وهو يقول : (الحمد لله .. لقد أقسمت بالله أن يخرجوا سالمين كما دخلوا ، وأبر الله قسمي .. ربنا لك الحمد) .

وشاهد أعداء الإسلام هذا فامتلأت قلوبهم رعباً ، وقالوا : « لا طاقة لنا بقتال هؤلاء .. فهم إما جِنٌّ أو مجانين .. » .

وتعقبهم المسلمون حتى تم لهم النصر .. وكان انتصارهم حقيقياً وليس مزيفاً كما كان يحدث عندنا .. نقول : انتصرنا .. انتصرنا .. دون أن نحرز نصراً .. فكلمة نصر هذه لم تكن توضع إلا فى موضعها .

بعد هذا دخل سعد قصر كسرى ، وسجد لله شاكراً أنْعُمَه ، ثم رفع رأسه وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوماً آخرين ﴾ [٤٤ : ٢٥ ـ ٢٨] وأشار إلى جنوده الحفاة الذين كانوا معه .. لقد انتصروا لأنهم فعلوا ما فى وسعهم ، وخرجوا فى سبيل الله ، وأخلصوا النية لله ، وتوكلوا حق التوكل على الله ، فحقق الله لهم النصر : ﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾ [٣ : ١٢٦] ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾ [٢٢ : ٤٠] .

لا أريد أكثر من أن نضع كل ما فى استطاعتنا ، ونحارب عدونا فوراً ، وما زاد على الوسع فالله يكفينا أمره ، وسيؤيدنا سبحانه بروح من عنده ، وجند من عنده ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ [٧٤ : ٣١] ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم * إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ .
[٣ : ١٧٣ ـ ١٧٥]

انظروا إلى هؤلاء الجنود الذين خرَّجتهم المدرسة المحمدية .. ماذا صنعوا بعد النصر ؟ لقد أخذوا يحصون الغنائم ، ويجمعونها .. فجاء رجل بـ (علبة) فسأله سعد هل فتحتها ؟ قال : لا .. وما رآنى أحد وأنا ألتقطها ، ولو شئت أن أخفيها لأخفيتها .. ففتحها سعد بمحضر من

الجنود فرآها مليئة بالجواهر مرصوصة رصاً دقيقاً يدل على أنها لم تمسها يد .. فقال سعد : دلني على اسمك لأكتب إلى عمر ليكافئك فقال : والله ما أتيت بها ليكافئني عمر .. ولكن أتيت بها ليكافئني رب عمر .

أرسل سعد هذا كله إلى عمر أمير المؤمنين .. فلما رأى عمر كثرة الغنائم ولاحظ نفاستها قال : إن قوماً أدوا هذا لذوو أمانة .. فقال له على كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين لقد عففت فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا (١) .

أيها الإخــوة :

انظروا هذا ، ووازنوا بينه وبين ما صنعته معنا مراكز القوة .

لقد رأيناها تتحكم فينا ، وتستبد بنا .. ثم ترثنا بعد الهزائم التى جلبتها لنا ، فتخفى صفائح الذهب ، والعملات الصعبة .. وقد علمتم هذا فى المحاكمات التى جرت معهم ، وكان نفسها طويلاً ظفروا فيها بحرية لم ينلها الشعب على أيديهم .

صفائح ذهب ، وعملات عثر على بعضها ، ولا يزال الباقى مخفياً .. صفائح ذهب ، وعملات رأيناها تسلب وتخفى بعد الهزيمة لا بعد النصر .. يا لها من فضيحة .. يا لها من فضيحة .. لقد تجاوز الأمر كل حد فأصبح منا ومن قادتنا من يعمل بكلتا يديه لتحطيم الشعب ، وتبديد قواه ، وتدمير اقتصاده حتى ساعة الاحتضار ليقضى عليه القضاء الأخير .

أصبح منا ومع الأسف من قادتنا من كانوا معول هدم لوطننا .. معول إضعاف لقوتنا ، واقتصادنا .. أصبح منا ومن حكامنا من كان شعارهم : لنهتم بأنفسنا ولنشبع شهواتنا .. وإن ضاع الوطن ، وقتل أبناؤنا ، وعلا النواح وقامت الجنائز .. أصبح منا ومع الأسف من حكامنا من سلبوا مال الوطن بعد أن يسروا للأعداء اليهود سلب أرضه .

تصفيق ..

---

(١) تحدث الأستاذ محمود أبو وافية عن كلمتى هذه فى جريدة الأهرام ١٩٧٤/٣/١٥ ص ٨ تحت عنوان « الإيمان والحرب والسلام » ونوه بفضلها وتذكر ما بشرتهم به من النصر إن حاربوا بإيمان بعد حرب العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

أيها الإخـــوة :

أقولها بصراحة أيضاً : إن مراكز القوة كانت تعبث فى عهد الرئيس السابق ، وكانت تعبث فى عهد الرئيس الحالى ، وكانوا جميعاً يظنون أن الله غافل عنهم .. ولكن الله عز وجل يقول : ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴾[١٤ : ٤٢] ويقول : ﴿ وأملى لهم إن كيدى متين ﴾ [٧ : ١٨٣] .. ومن العجائب جداً أن الإرهاب كان يسرى بين أفراد الأمة ويتصاعد فلا يعلم به أحد .. وإن علم به لم يفكر فى معالجته .. ويظل الإرهاب يتمدد حتى يصل إلى القمة .. فإذا بدأوا فى التآمر على شخصه سارع بالقبض عليهم وقدمهم إلى المحاكمة .. وفى المحاكمات رأينا أن الإرهاب الذى وقع فعلاً ، وأن الفساد الذى وقع فعلاً كان يتعلق بالأمة كلها لا بالرئيس ، ويتعلق بالدولة كلها لا بالرئيس .. جرى هذا فى عهد الرئيس السابق ثم جرى أيضاً فى عهد الرئيس الحالى . قدمنا مع الأسف فوجين للمحاكمة من الحكام ، ظلوا يحكمون ويرهبون ويفسدون حتى ساعة القبض عليهم .. فوج ممن حكمونا فى عهد الرئيس السابق مثل شمس بدران وأتباعه ، وفوج حكمونا فى عهد الرئيس الحالى مثل سامى شرف وشعراوى جمعة وأمثالهم .. كل هؤلاء إنما نشعر بهم حينما يصل الإرهاب إلى القمة ، وبعد أن نبحث فى جرائمهم وفى صحائف أعمالهم نرى أن إرهابهم كان عميقاً ، وكان متغلغلاً فى طوائف هذه الأمة .. ولكننا لا نصل إليه ، ولا نتعرف عليه حتى يصل إلى القمة .

المطلوب أيها الإخوة أن تتخذ الضمانات الحقيقية التى تحول دون أن تعود مراكز القوة مرة أخرى ، ودون أن يعود الإرهاب إلى الأمة مرة أخرى ، وحتى يمكن للأمة أن تتخلص من الحكام الإرهابيين مهما سما مركزهم .

المطلوب أيها الإخوة أن نعمل على تحرير الإنسان .. على تكريم الإنسان .. على إعزاز الإنسان .. على حرية الإنسان .. على تعليم الإنسان .. على تقوية الإنسان .

هذا هو المطلوب .. ولن يكون ذلك أيها الإخوة إلا إذا عدنا إلى الإسلام ، واستمسكنا به ، واتخذنا الضمانات لتنفيذه .

نعم .. الإسلام هو الذى حرر الإنسان من الخوف ، ومن الذلة ، ومن الجهل .. الإسلام هو الذى حفظ الإنسان ، وحقق له حياة هنيئة كريمة يجد فيها مطالبه المادية والروحية فى أمان من عسف الحكام ، وعدوان البغاة ، وسلطان الكهنة .

انظروا إلى عمر بن الخطاب الذى كان الرسول ﷺ يقول فيه : « **إنه ما لقيه شيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجه** » انظروا إلى عمر هذا الذى كان يخافه الشيطان .. لقد كان يخاف الأمة ، ويتهيب حسابها بالحق ، وترتعد فرائصه أمامها .

قال مرة : أيها الناس .. من رأى منكم فىَّ إعوجاجاً فليقومه .. فقام له سلمان .. وكان بالأمس عبداً يملكه بضعة عشر رباً .. أى أكثر من عشرة أفراد كانوا جميعاً أسياداً له ، ثم تحرر بعد أن جاء الإسلام .. قام له سلمان هذا وقال : يا عمر .. والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لَقَوَّمناه بحد سيوفنا .. فقال عمر : الحمد لله الذى أرانى فى أمة محمد ﷺ من يُقَوِّم اعوجاج عمر بسيفه .

تصفيق ..

أيها الإخــوة :

مرة أخرى نجد عمر بن الخطاب يحاسب لا على صفائح ذهب .. بل على شىء آخر .. على ثوب أكمل به ثوبه .. صعد المنبر ذات يوم فقال : أيها الناس .. اسمعوا .. فرد عليه سلمان : لا نسمع لك يا عمر .. فقال عمر : ألم تبايعنى على السمع والطاعة ؟ قال سلمان : بايعتك .. ولكن بالمعروف .. قال عمر : وماذا جرى ؟

قال سلمان : بالأمس جاءتك غنائم ، وحصل كل منا على ثوب وعليك الآن ثوب طويل ، ولا يكفيك ثوب واحد لطول قامتك .. فمن أين لك هذا ؟

لم يتهرب عمر من الجواب ، ولم يشر إلى أحد جنوده ليرمى به فى مكان سحيق ، ولم ينهره بكلمةٍ نابيةٍ ، ولم يجد عمر أحداً يتطوع بالدفاع عنه من المتزلفين المتملقين .. لم يحدث هذا .. بل قال ــ وقد جرى الحوار

حراً كريماً ـ وهذا ما نريده اليوم فى حوارنا .. قال : يا عبد الله .. فلم يجبه أحد .. لأنهم جميعاً عبيد الله .. قال مرة أخرى : يا عبد الله بن عمر .. الثوب الثانى ثوب من ؟ قال ابنه عبد الله : ثوبى .. أعطيتكه لتكمل به ثوبك .

لم يسرع عمر بالانتقال إلى جدول الأعمال مهملاً سؤال سلمان ، مكتفياً برد ابنه عليه .. ولكنه نظر إليه وقال : أسمعت يا سلمان واقتنعت ؟

فقال سلمان : نعم .. والله ما قلت ذلك لريبة فيك .. ولكنى خشيت أن يتكلم الناس عنك بمالا يعرفون منك .

فاستأذنه عمر فى أن يستمر فى خطبته .. فقال سلمان : نعم .. الآن فقل نسمع .

هكذا أيها الإخوة دار الحوار على ثوب .. أى أن أموال الدولة مرعية ، وكذلك الحرية مرعية ، والعزة .. عزة الإنسان مرعية أيضاً !! .

لقد كانت هناك حرية ، وكانت هناك كرامة وعزة .. ولهذا أيها الإخوة وجدنا أبناء الأمة الإسلامية يدافعون بنفس راضية ، وروح قوية .. يدافعون ، ويثبتون فى المعارك فلا يتراجعون ، لأنهم وجدوا ديناً يحافظ على عزتهم وكرامتهم ، ويحقق لهم جميع مطالبهم ، ويعمل على راحتهم وهناءتهم .. فوقفوا جميعاً من ورائه يحمونه بالنفس والنفيس ، يتفانون فى تنفيذ نظام الدولة ، ويحرصون كل الحرص على تطبيقه .

أيها الإخــوة :

لقد رأينا فى عهد عمر الإسلامى حـواراً ساخناً وحامياً يدور حول ثوب .. ولم نسمع فى عهدنا الحالى حواراً يدور حول الأموال المهربة التى يتحدث الناس عنها ، وصفائح الذهب والعملات الصعبة التى أخذت من الدولة وسرقت منها [1] ومـاذا أعددنا لمثل هذه الحوادث

---

(١) فى جريدة الأخبار ـ الأحد ١٩٧٦/٧/١٣ ص ٣ تحت عنوان : دخان فى الهواء « قيل : إن رصيد الوزير السابق شمس بدران فى بنوك انجلترا يبلغ تسعة ملايين جنيه استرلينى =

حتى لا تتكرر ، وحتى ينعم الشعب كل الشعب بكل ما فى خزانته من أموال .. ألا ما أحوجنا إلى أن نعود إلى الإسلام لننعم بتعاليمه ومثله ، ولنعيش فى رحابه وظله وعدله .

أيها الإخـوة :

هذا هو الواجب .

وأستأذنكم فى أن أسرد هذه القصة .. لقد حدث منذ حوالى ١٧ سنة أن كتبت مقالة فى بداية اتصالنا مع الروس وهذا المقال معى وهو ضمن مقالاتى فى مجلة الاعتصام ، وأود الاحتفاظ به لدى حالياً .. مع العلم بأنه ليس هو المقال الوحيد .. بل كتبت كذلك عدة مقالات أخرى .

السيد / محمود أبو وافية :

سآخذ منك هذا المقال للاحتفاظ به فى اللجنة وكذلك المقالات الأخرى .

السيد / محمود عبد الوهاب :

لقد قلت فى مقال بعنوان (خذوا حذركم) (١) بعد أن قدم لنا الروس بعض القروض بفائدة .

قلت : (إن المعسكر الغربى على استعداد أن يدفع لنا هذه القروض دون أن يطالبنا بالسداد لو قمنا بالدعاية له كما نقوم الآن بالدعاية الكاذبة لروسيا .. لقد أصبحنا نذيع وننشر أن المعسكر الشيوعى معسكر الحرية ومعسكر الكرامة ومعسكر السلام ، يعمل للسلام ، ويعمل لتحرير الشعوب ، ويعمل للكرامة .. قلت : لا تتبرعوا بالدعاية الكاذبة لروسيا ، فإن الأموال التى قدمت إلينا هى قروض وستسدد كاملة ، مضافاً إليها

= وهذا الوزير السابق محال إلى المحكمة بتهمة التعذيب فى عدد من القضايا بلغ حتى الآن ــ على ما ذكر ــ عشر قضايا .. ومع هذا فإن الأنباء تتحدث عن تنقلاته بالسيارة الفخمة فى شوارع لندن وبين بلدان أوربا والبقية تأتى » . انتهى .

ونحن نسأل كيف استطاع الرجل أن يهرب فى العهد الحالى بعد أن هَرَّب أموال الدولة فى العهد السابق ؟.

(١) كثيراً ما كتبت ضد الشيوعية وحذرت من مهادنتها انظر كتابى (كفاحنا فى مقاومة الشيوعية) .

فوائدها المحرمة .. وأخيراً ختمت المقالة بقولى : إن روسيا لا تعينكم لله .. لأنها لا تؤمن بالله) .

تصفيق ..

أيها الإخــوة :

إن من اللازم علينا أن نراجع ونبحث كل أمورنا بحثاً عميقاً .. ماذا يجب علينا أن نصنعه ؟.

لا أريد أن أستبد برأى .. فالأمر شورى بيننا .. لا أريد أن أفرض رأيى على أحد .. وإنما يجب أن نتبادل الرأى ، ونعمل لمصلحة وطننا فى ضوء ديننا ، وليطمئن إخواننا المسيحيون وأهل الكتاب ــ إذا عدنا إلى الإسلام ، وطبقنا أحكامه كلها تبعاً لدين الأغلبية ــ فقد عاشوا معنا فى ظلال الحكم الإسلامى منذ الفتح متآلفين ، متحابين ، آمنين على أنفسهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، ودور عبادتهم ، لا يضارون فى دينهم أو دنياهم .. بل ينعمون بالعدالة المطلقة خضوعاً لقوله تعالى : ﴿ **لا إكراه فى الدين** ﴾ [٢ : ٢٥٦] وقوله تعالى : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ﴾ [٦٠ : ٨] وقوله ﷺ : « **إذا فتحتم أرض مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً** » . [أخرجه الطبرانى ومثله فى صحيح مسلم]

لقد سجل التاريخ المنصف بحروف من النور أن الإسلام مكن ابن قبطى من أن يقتص من ابن القائد الفاتح حاكم مصر ، وضربه بالسوط كما ضربه ، فلم يفلت المعتدى مجاملة لأبيه أو لدينه .. لقد أعطى عمر السوط لابن القبطى فضرب ابن عمرو بن العاص ثم قال له : (يا عمرو .. كيف استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) .

لقد لاحظ التاريخ هذا وسجله فى حكم الإسلام ولم يسجله فى حكم آخر دينى أو مدنى .

لقد قلت فى قصيدة لى :

يا أمة الإسلام جدوا وليكن ... لكم بأحمد أسوة حسناء

هل كان هذا الدين إلا دعوة ... فيها على جذم الشرور قضاء

هبوا لنصر الدين لا تتخاذلوا ... إن التخاذل فتنة وبلاء

ولتحرسوا الوطن العزيز بقوة خرساء يخشى بأسها الدخلاء
وخذوا بأسلحة الحياة فإنه ما عاش يوماً أمة عزلاء
لا تأمنوا روسيا وأمريكا فما في النار للظمآن يرجى ماء
سيروا على حذر ولا تتورطوا فالبعد عنهم جنة ووقاء

قلت هذا أيها الإخوة ، وعرفنا بعد مرور الأيام أن المعسكر الشرقى لا يفيدنا ، وكذلك المعسكر الغربى لا يفيدنا ، وأنه من اللازم أن نكون أبعد نظراً ، وأعمق تدبيراً ، وأكثر حنكة .. أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ، وأسأل الله تعالى لنا جميعاً دوام التوفيق .. ولا أطيل عليكم .

تصفيق ..

* * *

تعليق الأستاذ محمود أبو وافية

السيد محمود أبو وافيه :

« الواقع .. باسم المواطنين الحاضرين فى هذا الاجتماع أشكر فضيلة الشيخ على هذا الكلام القيم ، وكل حرف فيه كان يثير انتباهنا ، وانفعل به كل من هو موجود .. ولكن هناك فقرة يهمنى أن أشُدَّ عليها معك .. ذلك أنك قلت .. يجب أن يكون النقد ، وأن تكون الحرية تمارس فى وقتها المناسب .. لا قبل ذلك ولا بعد ذلك .. أى لا نأتى الآن نوجه نقداً إلى العهد السابق .. فقط نحن ننقد الآن مراكز القوة التى سبقت ، وكذلك العهد السابق نقداً بناء .. وإننى أريد أن أشد معك على معنى آخر .. إننا حين نميل إلى هذا يجب أن يكون نقدنا الآن موجهاً إلى السلطة الآن ، وإلى الحكم الآن .. لأن هذا هو طريق الصدق وطريق الإخلاص فى العمل » .

انتهت الكلمة من المضبطة بالحرف .

* * *

كلمة الاعتصام

المقال الذى أشير إليه فى المضبطه

[المقال الذى أشير إليه فى المضبطة (كلمة الاعتصام) جمادى الأولى ص ٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٨ سنة ١٣٧٧ هـ ديسمبر سنة ١٩٥٧ م]

خـــذوا حــذركم

قديماً قال الشاعر :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمضرة

أذكر هذا بمناسبة صداقتنا للاتحاد السوفيتى ، وحسن ظننا به .. ومن واجبنا أن نسير معه بحذر وحيطة تامة ، ويقظة بالغة .

فلا نوسع الخَطْو تجاهه ، ولا نبالغ فى السير نحوه ، ولا ندلى بأسرارنا إليه ، ولا نفتح بلادنا لدعاياته وصحفه المسمومة ، ولا نتنازل عن مقوماتنا الدينية والوطنية .. بل على العكس يجب فى هذه الآونة أن نبالغ فى الاستمساك بها ، والتعصب لها حتى لا تماع شخصيتنا ، وتنمحى قسماتنا ، ونصبح تبعاً له من حيث لا ندرى ولا نحس .

واجبنا فى هذه الفترة يتطلب منا إحساساً مرهفاً ، وفراسة صادقة ، وبصيرة نافذة نستشف الحوادث ، وتستنطق الأخبار ، ونحل ألغاز السياسة ، ونكشف اللثام عن أسرارها ، لنحول دون تسرب النفوذ الشيوعى ، ولنمنع عن البلاد خطر الشيوعية الجسيم ، ولنحفظ على الدولة نعمة الاستقلال والسيادة .. إن مكر الاتحاد السوفيتى لا يقاس بجانبه مكر ، وسياسته قائمة على الخداع والدهاء ، ثم على الغدر والخيانة ، والقسوة والوحشية ، والبلاد التى تقع فريسة له يبالغ فى تمزيقها ، وتحطيم قواها ، ووأد حواسها ، ودفن مشاعرها حتى تصبح لا قدرة لها على مجرد الشكوى والأنين .

ومن يقرأ تاريخ الرقعة الواسعة التى يتحكم فيها الاتحاد السوفييتى يرى بعينه سلسلة المآسى الرهيبة التى تقشعر لها الأجسام ، وتتبرأ منها الإنسانية ، وتقضى على كل دعاية مأجورة .

هل بلغكم نبأ البلاد الإسلامية التى نكبت بالحكم الروسى ؟ هل خطر على ذهنكم مجرد أسمائها ؟.

هل تدارستم تاريخها الإسلامى المجيد ؟

هل تشرفت صحفكم اليومية بنشر اسم (القرم والتركستان) ، وروت لكم على صفحاتها فظائع الروس هناك ؟

هل تحدثت لكم عن أساليب التعذيب الجهنمية التى تستعمل ولا تزال تستعمل مع أحرار المسلمين ؟.

هل وصل إلى علم المحافل الدولية شىء عن قضية أبناء المسلمين المضطهدين فى أنحاء الاتحاد السوفيتى ؟!.

لم يحصل شىء من ذلك .. وكادت هذه البلاد تنمحى من ذاكرة المسلمين .. ذلك لأن الروس جهدوا فى أن يحولوا أنظار العالم عن أساليبهم الوحشية التى يتبعونها عندهم ، وضربوا حصاراً على البلاد الإسلامية يمنع تسرب أخبارها إلى الخارج ، وبالغوا فى التجسس حتى فقد كل إنسان ثقته فى نفسه ، وأبيه وأمه ، وسائر أقربائه ، فلم يستطع واحد أن يرفع صوته بالأنين من الاضطهاد خشية أن يضاعف عليه التنكيل والعذاب .. ولا تسل عما يصنعه قوم لا يؤمنون بالله ويوم الحساب .

خفتت أصوات الشكاية من شدة الذعر ، وزال الأمن من قلوب الناس ، وحل مكانه الفزع والرعب .. وفى هذا الجو الخانق حلا للدعاية الشيوعية أن تترنم باسم السلام ، وتتشدق باسم التعايش السلمى ، وتتفنن فى تزويق العبارات التى تقال للاستهلاك الدولى .. واغتر بذلك البسطاء ، وتأثروا بالكلمات المنسقة ، والألفاظ المزوقة ، وتغافلوا عن حقيقة ما يجرى فى الاتحاد السوفيتى من ظلم تشيب له الولدان ، وتعذيب تقشعر له الأبدان .

والعجيب جداً أن أكثر كتاب صحفنا اليوم يشيد بروسيا ، ويتغنى بفضلها ، ويتبرع بالدعاية لها ، وتناسى جرائمها ووحشيتها ، وظلمها وقسوتها .

وكان أولى بنا أن لا نتورط فى الثناء عليها ، وأن نتجنب الحديث عنها إلا بمقدار ما تستلزمه مصلحتنا ، وأن نكون على حذر منها حتى نسد عليها كل منفذ يمكن لها أن تدخل منه إلى قلوب أبناء الأمة ، حرصاً على ديننا ، وحماية لوطننا ، وصيانة لاستقلالنا ، ودرءا للشبهات ، وتأكيداً لمعنى الحياد الإيجابى .

إن روسيا لا تزال تعترف بإسرائيل (١) ولا تزال تتعامل وتتعاون معها فى كل نواحى الحياة ، وقد كانت ولا تزال تأكل على موائد هذه الدويلة ، وقد انفتحت عندها شهية المجاملة لمصلحة نفسها فجلست على مائدتنا كما جلست على مائدة أبناء صهيون .

فلنأخذ الحذر ألف مرة فى مصادقتنا للاتحاد السوفيتى ، ولنتعاون معه فى كل ما فيه نفع لنا وللإنسانية ، ولندع التغنى بحسن نواياه ، فما لديه نية طيبة إلا لمبادئه التى تقوم على هدم الأديان ، وتعكير السلام ، وخنق الحريات ونشر الجاسوسية وإشاعة الخوف واغتنام الفرص لفرض سلطته وأباطيله بالقوة فى كل دولة حسنت ظنها به (٢) .. وحسبنا دليلاً على هذا ما جاء فى كتاب (حقيقة الشيوعية) وهو من كتب (اخترنا لك) وواجب على الصحافة المصرية أن تتخذ منه نبراساً يهديها السبيل ،وينير لها الطريق .. وفى مقدمة هذا الكتاب يقول الرئيس جمال ص (٦) ما نصه :

[كل ما كسبه الشيوعيون من شيوعيتهم أنهم صاروا آلات فى جهاز الإنتاج العام ، وكانوا بشراً ذوى إرادة ، قد كفروا

---

(١) مصر اعترفت بعد ذلك بإسرائيل ، وعقدت معها معاهدة للسلام تعرضت لها مجلة الاعتصام قبل أن تحتجب وتنقطع عن الصدور بسبب قانون جائر صدر فى عهد السادات .. وأغلب الظن أن النية تتجه الآن إلى عقد مثل هذه المعاهدة مع سوريا فى ظل التسوية السلمية التى تعددت أطرافها وتتمثل فى وفود سوريا ، والأردن ، ولبنان .. بالإضافة إلى الوفد الفلسطينى لإتمام الطبخة التى تشرف عليها وترعاها الولايات المتحدة الأمريكية !! .

(٢) لقد تفكك الآن الاتحاد السوفيتى ، وانفرط عقده ، واستقلت عنه الجمهوريات الإسلامية ، وعادت روسيا إلى سابق عهدها قبل اتحاد الجمهوريات السوفيتية ، وانتكست الشيوعية ، وتحطمت أصنام ماركس ولينين وستالين ، وديست بالأقدام فى شوارع موسكو ولينجراد .

بالدين لأن الدين فى عُرْف الشيوعية خرافةً وكفروا بالفرد .. لأن الفرد فى دين الشيوعية لا كيان له ، ولا حقيقة لوجوده .. وإنما الكيان للدولة .. وكفروا بالحرية .. لأن الحرية نوع من إيمان الفرد بذاته .. وليس للفرد فى النظام الشيوعى ذات ولا إرادة .. وكفروا بالمساواة فى نظام الدولة .. لأن الدولة فى دستور الشيوعية طبقات تنتظم فى هرم يتربع على قمته فرد ويحتشد ملايين الشعب فى القاعدة .. ألا ما أبعد واقع الشيوعية عن دعوة دعاتها] .

وجاء فى الكتاب نفسه ص (٥١) :

[إن الشيوعية اليوم هى القيصرية الطاغية فى صورة جديدة .. فلا رخاء ولا حرية ولا مساواة .. ولكن فردية باغية متحكمة تسيطر بالقهر والإرهاب والجاسوسية على النفوس فتسلبها كل شىء حتى كرامة الإنسان] .

وفى ص (١٦٤) يتحدث عن هدف الروس فيقول :

[الخطوط الرئيسية للسياسة هى الرغبة فى الاستيلاء على العالم ، ليكون عالماً شيوعياً خالصاً خاضعاً للإرادة المركزية فى موسكو] .

وفى ص (١١٧) يبين شدة ضغط روسيا على مصر ومنطقة الشرق الأوسط فيقول :

[وفى الشرق الأوسط اشتد ضغط الشيوعيين على بلاد الأفغان والعراق وتركيا ، وامتد حتى فلسطين ، وحاول التغلغل فى مصر وشمال أفريقيا .. ويقوم الشيوعيون بهذه الحركات جميعها تمهيداً للحرب العالمية الثالثة ، وهم يبذلون الجهد فى استكمال التأهب للحرب] .

وفى ص (١١٦) يتحدث عن وسائلهم الخبيثة لتحقيق أهدافهم فيقول :

[والشيوعيون فى كل مكان يعملون على تحقيق هذا الهدف ، والوسائل التى يملكونها تجعل تحقيق ذلك من المحتملات .. فعندهم

العدد ، والعسكر ، والموارد المادية الضخمة ، والعتاد الحربى الهائل ، ولهم وسائل الدعاية المنظمة ، وأقلام المخابرات ، وجيش عرمرم من الشرطة السرية يوافيهم بِخَفِيِّ الأسرار ، ويجمع لهم الأخبار من كل فج] .

وفى ص (١٢٢) يتحدث عن بعض وسائل أخرى يسلكونها فيقول :

[وهم يحاولون إيقاف بيع الكتب التى تقاوم الشيوعية .. وهم ينفقون مبالغ ضخمة من المال لكسب الكُتَّاب والناشرين والصحفيين إلى صفوفهم ، ويحاولون استمالة الممثلين والمدرسين والوزراء وكبار الموظفين] .

وأخيراً يتحدث الكتاب عن صلة الشيوعية بالصهيونية وخطرها على مصر والبلاد العربية فيقول فى ص (١٧٨) ما نصه :

[من أجل ذلك تبذل الشيوعية جهدها تمكين أقدامها فى مصر ، والشام ، وتتخذ لها أوكاراً فى القاهرة ، ودمشق ، وبيروت ، وعمان ، وبغداد ، وبلاد عربية أخرى لتحقيق أحلام الصهيونية الشيوعية الماركسية المدمرة] .

انتهى بالحرف الواحد .

* * *

فعلينا أن نأخذ الحذر من روسيا ، وأن نوقن بأنها ما أعانتنا لله .. لأنها لا تعرف الله .. والمبلغ الذى أقرضته لنا سيسدد لها بعد ذلك مصحوباً بالفوائد المحرمة .. وأضعاف هذا المبلغ تصرفه الدول الغربية فى الدعاية لمبادئها ، والإبقاء على هيبتها .. فليس لنا أن نتبرع إذن بالثناء على روسيا ، ولندرك تمام الإدراك أن روسيا لو تنازلت عن المبلغ وعن الفوائد ما كان ذلك يوازى ما نقوم به من تحطيم للأحلاف العسكرية التى تهدف إلى تطويقها بغية القضاء عليها .. بل ما كان يعوض ما نلاقيه من عنت وضيق نتيجة حصار الغرب الاقتصادى لنا لإعراضنا عن الانضمام إليه فى مناوأتها كما فعلت دول أخرى .

فلنتجنب الثناء عليها ، ولنكن على حذر منها ، فلا نأمن جانبها ، ولا نبالغ فى إرضائها ، ولا نتبرع بالإشادة بها ، والحديث عن حسن نواياها ، ولا نَدَّعى إخلاصها للسلام ، وبعدها عن المطامع ، فنكون كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثـا .. وفقنا الله تعالى وهدانا إلى سواء السبيل .

انتهى هذا المقال بحروفه .

هذا ما كتبته فى بداية اتصالنا بالروس .. وقد صحت فراستى ، وثبت صدق كل حرف قلته ، وكل كلمة كتبتها .. واليوم أقول :

لقد كانت بلاد العرب وبلاد الإسلام وبلاد أفريقيا ومياه البحر الأبيض مستعصية على روسيا .. ولكن بعد أن اتصلت مصر بروسيا ، وبعد أن سخرت مصر للدعاية لها ــ على المستوى الحكومى والشعبى ــ وبكل ما فى حوزة مصر من وسائل التأييد والإعلام : إذاعة .. وصحافة .. وتليفزيون .

وبعد هذا كله سرى نشاطها الهدام المسموم إلى جميع هذه البلاد التى استعصت عليها من قبل ، وبهذا صار لها نفوذ خطير فيها ، فأصبحنا نسمع عن نشاطها التخريبى فى كثير من البلاد العربية والإسلامية والأفريقية .. نعم .. كانت هذه البلاد تتخوف ــ إلى عهد قريب ــ من روسيا ومبادئها ثم عادت فاطمأنت إليها بعد أن رأت مصر ــ بلد الأزهر وزعيمة العالم الإسلامى ــ تحسن الظن بها ، وتتعاون معها ، وتفتح أبوابها لصحفها وكتبها الشيوعية ، وتنشر وتذيع على الناس أن روسيا دولة تقدمية لا رجعية ، صديقة للشعوب ، نصيرة للعمال والفلاحين والمهضومين ، تحارب الاستعمار ، وتساعد الدول المستعمرة على الخلاص من أيدى المستعمرين .

وشاء الله تعالى أن تتلقى مصر الجزاء .. فكما فتحت مصر لروسيا هذه البلاد بدعايتها فتحت روسيا لإسرائيل أرض مصر بمشورتها الماكرة التى قدمتها لحكام مصر .. وبنصيحتها التى أهداها سفيرها إليهم فى جنح الليل البهيم .. فمنذ أعوام دفعت رئيس مصر السابق إلى الحرب مع إسرائيل ،

ونصحته بأن يخرج جيشه وسلاحه إلى أرض سيناء ، ثم حذرته أن يبدأ بالضرب .. وقبل الرئيس نصيحتها فسلم أرضه وجيشه وسلاحه لليهود .. ويا للعجب !! لقد تغنينا بكسر احتكار السلاح ، وأقمنا الدنيا وأقعدناها بالإعلان عن صفقات الأسلحة التى اشتريناها بثمن اللقمة التى استخرجناها من فم الموظف والعامل والفلاح ، كلفنا شعبنا الفقير الضعيف ثمن شرائها ، وأجرة شحنها ثم قدمناها ـ بفضل النصائح الروسية ـ هدية طيبة سخية إلى إسرائيل ، ومعها زيادة على ذلك أرضنا وجيشنا .. فقد قَبِلنا وقف إطلاق النار قبل أن تنسحب قواتنا بنظام ، فتركنا جيشنا وأهلنا تحت رحمة اليهود ، من شاءوا أن يقتلوه قتلوه ، ومن شاءوا أن يأسروه أسروه ، ومن شاءوا أن يشردوه فى الصحراء شردوه .. قدمنا لإسرائيل الأرض والجيش والسلاح دون غُرْمٍ وبدون مقابل .. لم نقف أمام اليهود أياماً .. ووقفنا فى اليمن أعواماً .. جلبنا للعرب ذلاً وانكساراً . ومنحنا لليهود عزاً وانتصاراً .

نعم .. لقد سلمنا لإسرائيل الأرض ومن عليها وما عليها .. فأمنت على نفسها وأرضها المغتصبة ، وازدادت قوة على قوة ، وأصبح واجباً على الشعب المصرى والعربى أن يدفع من جديد غرامة مضاعفة يشترى بها سلاحاً يقيه الأخطار التى ألمت به ، وقَبِلَ الشعب المصرى الأصيل الكريم عن طيب نفس أن يقتصد من بقايا قوته ليدفع ضريبة الأمن القومى ، والدفاع الوطنى ، والدمغات المضاعفة ، ليعلن للعالم أجمع أنه لا يقبل الهزيمة التى جاءت عن طريق الخيانة ، وليعلن تصميمه الأكيد على تحرير الأرض العربية مهما كلفه ذلك من تضحيات بالنفس والنفيس .

قبل الشعب هذا ، ورضى أن يغرم ثمن الخيانة التى جناها نفر أحسن إليهم ، ووضعهم على رأسه فى مصاف القيادة ، فأساءوا إليه ، ونزلوا به إلى الحضيض . قَبِلَ الشعب هذا ولسان حاله يقول :

غيرى جنى وأنا المعذب فيكم فكأننـــى سبابــة المتنـــدم

لقد جلبت الصداقة الروسية لأمتنا العربية الانحلال والاحتلال ، والعار والدمار ، واصطلى بنارها ، ومات بكيدها من أحسن الظن بها ، واندفع فى

حيها كما نقل الصحفى الأوحد [هيكل] عن (شواين لاى) فى كتابه (١) عن الرئيس الراحل :

والآن كشفت روسيا النقاب عن وجهها فاتفقت مع أمريكا على مساندتها لإسرائيل ، وتدعيمها لها .. أمريكا تساعدها بالسلاح والمال ، وروسيا تساعدها بالأسمنت والرجال .

فليعتبر بهذا ، وليتنبه له أولئك المخدوعون : (فالسعيد من وعظ بغيره) .

نعم فليحذر المخدوعون روسيا كما يحذرون أمريكا .. ليحذروا المعسكرين معاً .. فكلاهما عدو للعرب .. عدو للإسلام .

أحدهما عدو بارز ، والآخر عدو مستتر .. أو هما عدو بارز ومستتر حسب ما تقضى به الظروف .

ليحذروا الروس ، ولا يغتروا بما قاله زعيم عربى : (لقد طلبنا من أصدقائنا الروس وأكثرنا فأعطونا كل ما طلبنا : فقلت لهم : لقد طلبنا منكم ما نريد فلم تبخلوا علينا بشىء ، وللآن لم تطلبوا منا شيئاً ، اطلبوا نعطكم ما تطلبون . فقالوا : لا نريد منكم شيئاً .. نريد سلامتكم) .

لقد تناسى هذا الزعيم أن الصداقة الروسية لا تسمح لأحد بأن يملك شيئاً يكون له حق التصرف فيه .. فهى تضع يدها على الإنسان .. على قلبه ودينه .. على حواسه وعواطفه .. على أرضه .. على ما فى يده .. إنها تجعله آلة مسخرة فى يدها .. تجرده من كل شىء .. ولا تبقى لديه شيئاً يملك إبداء الرأى فيه بالقبول أو الرفض .. لقد سلبته كل ما عنده .

---

(١) فى كتاب [عبد الناصر والعالم] للأستاذ محمد حسنين هيكل ص ٣٠ ، ٣١ نقل ما جرى من حديث بين شواين لاى فى مكتبه فى بكين ، والوفد الذى كان يرأسه الدكتور لبيب شقير رئيس مجلس الأمة آنذاك والسيد محمد عبد السلام الزيات وزير الدولة للشئون البرلمانية .. فى هذا الحديث سأل شواين لاى أعضاء الوفد .. لماذا مات عبد الناصر ؟ وشعر أعضاء الوفد بالحيرة .. لكنه مضى يلح فى استجوابه قال : « سأوضح لكم السبب .. لقد مات من الحزن والقهر ، مات كسير القلب .. أما الذنب فى ذلك فهو ذنب الاتحاد السوفيتى .. فقد خدعه السوفيت ودفعوه إلى مأزق ثم تخلوا عنه وتركوا فؤاده يتحطم وينكسر » .

وفى خطاب الرئيس أنور السادات فى مجلس الشعب كما نقلت الأخبار أول صفحة يوم ١٥ مارس ١٩٧٦ « عبد الناصر قال لتيتو : أفضل أن تحتلنا إسرائيل على أن يعاملنى السوفيت بهذا الشكل » وفى ص ٩ قال : « وتيتو شاهد حى يرزق » وقال « الروس وروه الويل » .

نعم .. إن الذين كانوا يتحدثون عن الصداقة الروسية أصبحوا الآن بعد التجارب المحزنة يرددون مع شاعرنا العربى فى أسى ومرارة :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بد

أسأل الله تعالى أن يهدينا بهداه ، وأن ينصر الإسلام والمسلمين ، ويخذل الصهيونيين والمستعمرين والشيوعيين والملحدين وجميع أعداء الدين .. إنه سميع مجيب الدعاء .

محمود عبد الوهاب فايد

عضو لجنة السنة بمجمع البحوث

جمهورية مصر العربية

* * *

نصيحة لرئيس الجمهورية

أَطْلِـق ســراح المســجونـين الســياســيين

وأعدهم إلى وظائفهم فى المصالح والدواوين

[وجه هذه النصيحة إلى الرئيس جمال عقب تأميم القناة فطلب منه ألا يعبأ باحتجاجات الدول الكبرى ، وأن يتحصن بطاعة الله وتقواه ، ويمضى فى تنفيذ قراره على بركة الله .. وقد نشرت فى عدد صفر سنة ١٩٧٦ سبتمبر سنة ١٩٥٦ صفحة ٩ ، ١٠] .

أيها الرئيس جمال :

سر على بركة الله ، وكن على حذر من أعداء الله ، وأطلق سراح المسجونين السياسيين ، وأعِدْهُمْ إلى وظائفهم فى المصالح والدواوين .. تقرباً إلى ربك ، وتأليفاً لقلوب أبناء شعبك ، واسترض مولاك بطاعته ، وحاذر من معصيته ، واعلم أنك راعٍ .. وكل راع مسئول عن رعيته .. فاربط الأمة بحبل الله المتين ، واضرب على أيدى الملحدين والمارقين ، ولا تتهاون مع هؤلاء .. فهم على الأمة ليسوا أقل خطراً من المستعمرين **﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾** [٨ : ٢٥] .

يا رئيس الجمهورية :

إنك مسئول أمام الله عن قمع ما جَدَّ فى هذا العهد من أصوات منكرة بما آتاك المولى من سلطة قاهرة .. فاغضب لله عز وجل غضبة تحفظ بها نفسك ووطنك ودينك ، وتقى بها شعبك شر هؤلاء الذين انفلت عيارهم ، واستفحل خطرهم .. **فإن الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن .**

يا رئيس الجمهورية :

إن من يقول : [**الله خرافة**] ولا يعرف مقام أحكم الحاكمين لا يعرف مقام الحاكمين ، ومن لا يؤتمن على بنته ويقول [**سأعلم بنتى كيف تكون فاجرة**] لا يمكن أن يؤتمن على بنات الناس ولا أعراضهم حكاماً أو محكومين .

يا رئيس الجمهورية :

إن أمثال هؤلاء لا يرجى منهم نفع حتى يكون هناك مبرر لمهادنتهم ، أو مُسوِّغ لمسالمتهم .

وكيف يصبر على لأواء الحروب من لا يصبر على شهوته ؟!! وكيف يحرص على شرف وطنه من لا يحرص على كرامته ؟!! وكيف يغار على بلده من لا غيرة له على عرضه ؟!! .

يا رئيس الجمهورية :

إنك رجل مسلم .. فخذ هذا الدرس من كتاب الله واعتبر به ﴿ **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾ [٥١ : ٥٥] .

يقول تعالى :

﴿ **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين * وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم** ﴾ .

[٣ : ١٢٣ – ١٢٦]

ويقـول :

﴿ **لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين** ﴾ [٩ : ٢٥] .

موقعتان – أيها الرئيس – موقعة كان المؤمنون فيها قلة فى العدد والعدة .. ومع هذا نصرهم الله على عدوهم ، ومكنهم من خصومهم ، فغنموا وأسَرُوا .. ذلك لأنهم بعد أن قدموا كل ما يملكون ، وأعدوا – امتثالاً لأمر الله – كل ما يستطيعون نظروا فوجدوا أنفسهم قلة ، وما لديهم من السلاح لا يكفيهم ، وما عندهم من العتاد لا يغنيهم .. فاستجاروا بالله فأجارهم ، واستعانوا به فأعانهم ، وعوضهم عما نقصهم بجنود من عنده

أوحى لها بأن تعضدهم : ﴿ **إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان** ﴾ [٨ : ١٢] .

وموقعة أخرى : كان المؤمنون فيها كثرة فى العدد والعُـدَدِ فأحسوا بقوتهم ، وشعروا بعزتهم حتى قال أحدهم « لن نغلب اليوم من قلة » وسمعه الآخرون فلم ينكروا عليه فعاقبهم الله وهزمهم ، ولم تغن عنهم كثرتهم شيئاً على الرغم من وجود الرسول ﷺ بينهم .. نعم .. عاد المولى يؤيدهم بعد أن أحسوا بضعفهم وتوكلوا على الله ﴿ ... **ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها** ... ﴾ [٩ : ٢٦] .

أيها الرئيس :

هذه نصيحة من عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص فيها عظة لمن اعتبر ، وذكرى لمن ادَّكَر قال رضى الله تعالى عنه فى خطابه له :

« أما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال .. فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى من عدوكم .. فإن ذنوب الجيش أخوف عليه من عدوهم ، وإنما يُنْصر المسلمون بمعصية عدوهم لله .. ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة .. لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم .. فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة .. وإلا نُنْصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا .. فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله فى سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا .. فرُبَّ قوم سُلِّطَ عليهم شر منهم كما سَلَّط على بنى إسرائيل ــ لما عملوا بمساخط الله ــ كفار المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً .. واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم .

ويقول الله تعالى :

﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز * الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ [٢٢ : ٤٠ ـ ٤١] .

ويقول : **﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾** [٨ : ٦٠] .

فلابد أن نصالح الله قبل أن نحارب الناس ، ولابد لنا من سلاح الإيمان مع سلاح المادة ليكون جهادنا على أساس .

وفقك الله وأعانك .

* * *

فقرات تستدعى النظر وتثير الانتباه
فى خطاب الرئيس عبد الناصر الذى
ألقاه فى الذكرى التاسعة لثورة يوليو

[نشر فى مجلة الاعتصام بعددها الصادر فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٨١ هـ ـ الموافق شهر أغسطس سنة ١٩٦١ م]

فى خطاب رئيس الجمهورية الذى ألقاه فى الذكرى التاسعة لثورة ٢٣ يوليو فقرات تسترعى النظر ، وتثير الانتباه .. فقرات تتسم بالصراحة التى تدعو إلى الإعجاب والإكبار .. فقرات ينبغى أن نقف عندها ، ونتأمل فيها .. فهى جديرة بالتفكير ، وجديرة بالتقدير أيضاً .

قال السيد الرئيس : « **الدين عمل ، النبى كان يعمل ، وكل واحد كان يعمل** » .

نعم الدين عمل .. فالإسلام لا يقبل أن يوجد فى مجتمعه عاطل يحط من كرامته ، أو خامل يسىء إلى سمعته ، ويضع من قيمته ، قال تعالى : ﴿ **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** ... ﴾ [٦٧ : ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ... ﴾ [٩ : ١٠٥] ويروى أن النبى ﷺ كان مع أصحابه فى سفر وعندهم شاة فقال أحدهم : علىَّ ذبحها .. وقال آخر : علىَّ سلخها .. وقال آخر : علىَّ طبخها .. فقال النبى ﷺ : « **وعلىَّ جمع الحطب** » فقالوا : يا رسول الله : نكفيك العمل .. فقال ﷺ : « **أعلم أنكم تكفوننى ولكن الله يكره من عبده أن يكون متميزاً على إخوانه** » .

والعامل لم يهمله الإسلام .. بل نظر إليه نظرة عطف وتقدير واحترام ، ففى السنة النبوية أحاديث تؤكد اهتمام النبى ﷺ بالعمال ، وحرصه على راحتهم ، وحمايته لهم من سوء الاستغلال .. ومصداق ذلك فى قوله ﷺ : « **إخوانكم خَوَلُكُمْ جعلهم الله تحت أيديكم .. فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه ، وليلبسه من لباسه ، ولا يكلفه**

ما يغلبه .. فإن كَلَّفه ما يغلبه فَلْيُعنْه » [رواه أحمد والستة] .. ففى صدر هذا الحديث .. بل وفى أول كلمة منه يحدد الرسول ﷺ الصلة بين الطرفين ، فيعلن أنها صلة أخوة .. والأخوة تنفى السيادة ، وتوحى بالمساواة .. وباسم هذه الأخوة يدعو نبى الإسلام ﷺ إلى مشاركة عادلة فى الطعام واللباس .. بل وفى العمل أيضاً حين يكون العمل شاقاً لا يستطيع العامل وحده أن يقوم به .

والحاكم المسلم لا يستطيع أن يتهرب من مسئوليته فى الاهتمام بشئون العمال وإنصافهم على ضوء مبدأ : ﴿ **لا تظلمون ولا تظلمون** ﴾ [٢ : ٢٧٩] قال ﷺ : « **من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم** » [رواه البيهقى عن أنس] وقال ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .. فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته** » [رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر] .

قال السيد الرئيس : « **اشتراكيتنا إسلامية** » (١) وهو كلام جميل نأمل أن يتحقق حتى نظهر معالم الإسلام على حقيقتها ، بعيدة عن كل نكر ، خالصة من كل شائبة ، فلا ننسى زكاة الأموال التى وردت بها نصوص الشريعة ، والتى من أجلها أعلن أبو بكر حربه على الأغنياء الذين منعوها .. ويرحم الله شوقى إذ يقول :

الاشتراكيون أنت إمامهم لولا دعاوى القوم والغُلَواء
داويت متئداً وداووا طفرة وأخف من بعض الدواء الداء
الحرب فى حق لديك شريعة ومن السموم الناقعات دواء
والبر عندك ذمة وفريضة لا منة ممنونة وجباء
جاءت فوحدت الزكاة سبيله حتى التقى الكرماء والبخلاء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى فالكل فى حق الحياة سواء

فإذا اشتدت الفاقة ، واضطربت معايش الناس ، وساءت الأحوال فعلى الأغنياء أن يسهموا بأموالهم فى غوث الفقراء ودفع البلاء .

قال ﷺ : « من كان عنده فضل فَلْيَعُدْ به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » .

---

(١) التعبير بالاشتراكية عن النظم الإسلامية الاقتصادية غير سليم .. لأنه يضع الإسلام بين مذاهب أرضية ، ويَهْوِى به من السماء إلى الأرض ، وما يبغيه الناس من الاشتراكية يجدونه فى النظم الإسلامية .. ولكن بصورة أسمى وأعدل دون مآخذ .

قال أبو سعيد الخدرى راوى الحديث : فذكر لنا رسول الله ﷺ من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل .. [رواه مسلم فى صحيحه ج ٣ ص ١٣٥٤] .

وإذا تعرضت الدولة لخطر داهم ـ كالشيوعية ـ يعصف بعقائدها ومقدساتها فالإسلام يجند كل إمكانيات الدولة من مال وجنود ، ويدعو إلى النفير العام إزالة للخطر ، ومنعاً للضرر : ﴿ **انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله** ... ﴾ [٩ : ٤١] .

لقد حدثنا السيد الرئيس عن الإسلام فى وقت فُتِنَ فيه الناس عن دينهم ، وانخدعوا ببريق المادة .. ونحب أن نضيف إلى حديث سيادته حديثاً آخر تكتمل به صورة الإسلام ، وتتم به أجزاؤه .. روى الإمام أحمد بسنده عن على رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة بعث معه بخميلة ، ووسادة من أدم حشوها ليف ، ورحيين ، وسقاء ، وجرتين .. فقال على لفاطمة ذات يوم : والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى .. قال : وقد جاء الله أباك بسبى فاذهبى فاستخدميه ، فقالت : وأنا والله قد طحنت حتى مجلت يداى .. فأتت النبى ﷺ فقال : « **ما جاء بك أى بنية** » . قالت : جئت لأسلم عليك .. واستحيت أن تسأله ورجعت فقال : ما فعلت ؟ قالت استحييت أن أسأله .. فأتيناه جميعاً ، فقال علىّ : يا رسول الله .. والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى ، وقالت فاطمة : لقد طحنت حتى مجلت يداى وقد جاءك الله بسبى وسعة فأخدمنا .. فقال ﷺ : « **والله لا أعطيكم وأدع أهل الصُّفَّة تُطْوى بطونهم من الجوع .. ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم** » [مسند أحمد ج ٢ ص ١٤٩ ، ١٥٠] .

هذه صورة رائعة تجذب الأنظار ، وتستهوى الأبصار .. وجدير بنا أن نمشى على هديها ، ونسير على منهاجها ، ونتخذها نبراساً يضىء لنا طريق الحياة .. لقد لقّن الرسول ﷺ بنته الوحيدة ، ولقن زوجها الذى رضع لبان الدعوة الإسلامية ، ونشأ على مبادئها ، وكان من دعاتها وحماتها .. لقن الرسول ﷺ فاطمة وزوجها درساً يحقق العدالة الاجتماعية ، ويقضى على المحسوبية .. لقنهما درساً يفيض محبة وحناناً ورأفة بالفقراء والمعوزين ..

وبهذا حمى الرسول ﷺ مال الدولة من طمع الطامعين ، وعبث العابثين ، ووزعه حسب حاجة المحتاجين .. فالحاجة عنده عليه الصلاة والسلام هى الشفيع الأول وهى الشفيع الأخير .. فما كان أن يشتغل بابنته عن أولئك المحرومين وهو المبعوث رحمة للعالمين .

لقد اعترف الرسول ﷺ بحق البطون ، ونزل على حكمها ، ولم تثنه عنه قرابة ، ولم تشغله عنه بنوة أو مصاهرة .. ولكنه جاع هو وأهله وكَدَّ فى سبيل أن يوفر للرعية قوتها ، وفكر فى إيصاله إليها قبل أن تفكر فى طلبه منه .

تلك صورة جميلة تجعلنا ننكر ـ باسم الإسلام ـ يا سيادة الرئيس هذه الأموال الباهظة التى تنفق فى غير موضعها ، هذه المكافآت السخية التى تصرف من مال الدولة على الممثلين والممثلات ، والراقصين والراقصات ، والمغنين والمغنيات .. وكل هـؤلاء لديهم ما يكفيهم ويغنيهم .. بل لديهم كل متع الحياة ولذائذها .. لقد قلت يا سيادة الرئيس : إنك تريد أن تطهرالمجتمع من عوامل الحقد والأنانية ، والفساد ، والبغضاء .. وهذا كلام جميل نسأل الله عز وجل أن يعينك على تحقيقه .. ومقتضى هذا المنطق : أن تقلم أظافر أولئك المترفين ، وتقص أجنحة هؤلاء الذين لا يزالون يعيشون فى عالم المريخ ، فيثيرون الحقد فى نفوس المحرومين ، يطلون عليهم من قصور فخمة ، ويمرون عليهم فى عربات ضخمة ، تنطلق ـ من فرط السكر والعربدة ـ بسرعة جنونية تكاد تعصف بهم وتودى بحياتهم .. بل إنها أودت بكثير .

لقد آن لنا يا سيادة الرئيس أن ننفق هذه الآلاف المؤلفة التى تنفق فى غير ما ضرورة ، وتعطى لغير مستحقيها .. آن لنا أن ننفقها فى المشروعات العمرانية النافعة التى تعود على الوطن وعلى أبنائه بالخير والنفع العميم .. آن لنا أن نستغلها فى إنشاء المصانع والمدارس ، والملاجىء والمستشفيات .. آن لنا أن نصرفها لفقير محتاج ، أو مريض مكلوم ، أو طالب علم محروم من معونته [الموقوفة] .. لقد بكينا عليهم وطال بكاؤنا ، ورثينا لحالهم واشتد رثاؤنا .. وما يغنى البكاء ولا العويل ؟!! .

نعم .. لقد آن لكم يا سيادة الرئيس أن تتخذوا خطوات حازمة حاسمة تَقْصِرُ مال الدولة على ضرورات الحياة .. فالدولة لا تزال فى دور البناء ولم تصل بعد إلى درجة الكمال .. وهى لفرط حاجتها إلى المال تستعين بقروض أجنبية من الدول الشرقية والغربية لإنجاز مشروعاتها الضرورية .. فواجب أن نستعين بما فى أيدينا من مال على تأمين الدولة من الداخل بمحاربة الجهل والفقر ، والمرض والرذيلة ، وعلى تأمين الدولة من الخارج بتقوية الجيش ، وإعادة العدة ، وتوفير أنواع الأسلحة الحديثة حتى نرد كيد الصهيونيين والمستعمرين والشيوعيين ، وجميع الطامعين ، وحتى تظل الدولة فى أمان من الانتقاص أو الانتقاض .

قال سيادة الرئيس :

> **« بنقول حنقيم مجتمع تعاونى نظيف .. إزاى نقيم هذا المجتمع النظيف ومجتمعنا قائم على الربا ؟!! شىء ورثناه ، اتخلقنا لقينا فيه ربا فى بلدنا .. طبعاً كلنا نكره الربا ، ونكره الفايدة .. لكن التعامل الاقتصادى مشى بهذا الشكل .. بنجرب نلغى الربا فى بنك التسليف حنسلف الفلاحين بدون أية فايدة ، عاوزين نقضى على الربا » .**

شكراً لك يا سيادة الرئيس .. فقد أفاد كلامك صراحة أنك تكره الربا كما يكرهه جميع المواطنين ، وأنك عامل إن شاء الله على إقامة مجتمع نظيف بعيد عن المعاملات الربوية .. وكل ما نرجوه أن يتم ذلك عاجلاً ودون تباطؤ ــ فى إطار الصورة الإسلامية والنظام الإسلامى ــ وقد سررنا لأنك بدأت فى التجربة ، وعما قريب يتم لك فيها الظفر والنجاح إن شاء الله .. وقد كنا نود أن تصدر قراراً بتحريمه نهائياً فى الحال فلا نتورط فيه بعد ، ونبادر على الفور بمعالجة اثام الماضى فى حدود الصالح العام .

وأعتقد أن واجب العلماء يفرض عليهم أن يمدوك بالنصح والعون ، ويسعفوك بالصورة الشرعية ، والحجة الدينية لترد عن المسلمين شر الحرب الإلهية ، وتمسح عن مجلة الأزهر هذه السقطة الجلية : ﴿ **فإن لم تفعلوا**

فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون ﴾ [٢ : ٢٧٩] .

لقد بدأت تُعلِّمُنَا فى لطف ولباقة أن الربا ليس ضرورة ، وأن أحكام الله طُهْرٌ وسماحة ، وأن الربا قذارة يجب أن يتعاون رجال الدولة على تطهير المجتمع منه ، وفى طليعة هؤلاء فضيلة الإمام الأكبر ، والقائمون على مجلة الأزهر .. نعم يجب أن يتصدر الميدان فضيلة أستاذنا الشيخ شلتوت [شيخ الأزهر آنذاك] .. تطهيراً للبلاد من الربا وإسعافاً للوطن قبل أن يموت .

قال سيادة الرئيس :

« طبعاً بعد كده يمكن بعض المشايخ بقى يروحوا طبعاً كل واحد يخبط ديك رومى أو خروف عند الإقطاعيين ويطلع يدى فتوى أن الملكية لا يمكن لأحد أن يقرب لها .. طبعاً هو ما بيفكرش إلا فى جوز الفراخ اللى بيروح يخبطه فى العشوة ، أو فى الديك الرومى .. يعنى اللى قال هذا الكلام كان أجير للرجعية ، للإقطاع وللرأسمالية والعِمَّة كانوا بيحاولوا فى هذا الوقت أن يضحكوا علينا بها » .

هنا أحب أن أقف مع الرئيس وقفة قصيرة .. ومن حقى أن أقف معه .. فقد حدثنا سيادته عن عمر بن الخطاب .. وقد حفظنا من تاريخ عمر أن امرأة استوقفته فوقف وأطالت معه الحديث ، وكان مما قالت : « لقد كنتَ من قبل عُمَيْراً ثم صرت عمر ، ثم أصبحت أمير المؤمنين ، فاتق الله وانهج سبيل الحق » فبكى عمر حتى اخْضَلَّت لحيته فقال رفيقه : كفى يا أَمَةَ الله فقد أبكيت أمير المؤمنين .. فنهره عمر وقال : « **لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نتقبلها** » .

ليسمح لى سيادة الرئيس أن أناقشه .. وأرجو ألا أُتهم بأنى أجير للرجعية .. فقد كنت من أرباب الأقلام المتواضعة التى حاربت الفساد ، وقبل أن يخرج فاروق ، وفى شهر أبريل بالضبط كتبت ولا أملك من

السلاح سوى إيماني وقلمي .. كتبت فى هذه المجلة المتواضعة [الاعتصام] تحت عنوان : (ضعف المسلمين اليوم) مقالة جاء فيها :

> **« ملوكهم وحكامهم معنيون بمناصبهم .. همهم أن تسلم لهم ولو على أيدى الغاصبين .. يسالمون عِداهم ، ويذلون رعاياهم ، يجمعون المال من دم الفلاحين ، وعرق الكادحين لينفقوه على ملذاتهم ، ويبعثروه على شهواتهم .. طوراً ينثرونه على موائد القمار ، ودور اللهو ، وكئوس الشراب .. وحيناً يبذلونه فى مخاصرة النساء ، وسماع الغناء ، وما تتطلبه الليالى الحمراء .. والويل شر الويل لمن تسول له نفسه أن ينكر عليهم ، أو يزجى النصح إليهم فجزاؤه السجن .. وإن شئت فقل : الإعدام .. وحسبنا الله ونعم الوكيل » .**

هذا ما قلته [وأنا من ذوى العمائم] فى وقت اشتد فيه الضغط ، وكثر فيه الفساد والاستبداد والإرهاب (١) . فهل يجوز يا سيادة الرئيس أن يذاع على العالم وبجميع اللغات ــ ومن رئيس الجمهورية العربية ــ مثل هذا الكلام الذى تناثر رذاذه فصرنا نخشى منه على عمائمنا ؟!! لقد فاتك أن تعقب بأن كثيراً من ذوى العمائم كان لهم مواقف كريمة ، وغيرة مشكورة ، وإحساس مرهف ، وإنك لتعرف بعضهم ، ولبعضهم عليك فضل .

وإذا قلنا : إن بعض الذين تحدثوا عن احترام الإسلام للملكية الفردية قد أخطأوا فى التطبيق ، فقد كان من الممكن أن تكتفى بردهم إلى الصواب بالحجة ، ومجادلتهم بالحكمة ، ومناقشتهم بالتى هى أحسن حتى لا يضعف صوت العلماء عندما يفرض عليهم الدين أن يعلنوا كلمة الله ضد الشيوعيين ، والمستعمرين ، والمفسدين .. إذ يكون فى مقدور هؤلاء آنئذ أن يتهموهم بأنهم أكلة الفراخ ، وأكلة الرومى .

---

(١) فى الأصل « وكان رجال من الجيش ومن الجيش وحده هم الذين يحمون حمى الفاروق ، وكان رجال من الجيش ومن الجيش وحده هم الذين يأكلون على مائدة ولى العهد الطفل والقاهرة تحترق .

لقد دعوتنا يا سيادة الرئيس إلى التسامح ، وتناسى الماضى ، منعاً لإثارة النفوس .. وقد خشيت وأنا أسمع هذا الكلام على نفسى ، ووضعت مراراً يدى أتحسس هذه العمامة ، وأتعرف أين موقعها على رأسى ؟! .

ومن فضل الله أن شعبنا شعب فاضل واع ، متدين ذكى أريب ، يعرف مقاييس الرجال ، ويميز الخبيث من الطيب .. يا سيادة الرئيس .. هذه كلمة عتب وقديماً قال الشاعر :

إذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقى العتاب

وختاماً .. يكفى العلماء العاملين شرفاً وفخراً أن أحكم الحاكمين زكاهم ، ورفع قدرهم ، وخلد ذكرهم .. فقال سبحانه : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ [٥٨ : ١١] يكفيهم فى المدح والثناء قول أفضل البشر ﷺ : « **العلماء ورثة الأنبياء** » [أخرجه أبو داود] .

* * *

الوحـــدة المحمـــدية

خير وأبقى من الوحدة الناصرية

رد على مقال أحمد حسن الزيات بمجلة الأزهر

[نشرت فى الاعتصام عدد ربيع الأول عام ١٣٨٣ هـ
الموافق أغسطس عام ١٩٦٣ م فى حياة عبد الناصر]

فى مجلة الأزهر شهر المحرم سنة ١٣٨٣ هـ كتب مديرها ورئيس تحريرها [أحمد حسن الزيات] مقالاً تحت عنوان : (**أمة التوحيد تتوحد**) وقد جاء فيه ما نصه ص ٤ ـ س ٧ ـ ١٨ :

> **« إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة لأنها قامت على العقيدة .. ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول .. وإن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة لأنها قامت على السلطان .. والسلطان يعتريه الوهن فيزول .. أما الوحدة الناصرية فباقية نامية لأنها تقوم على الاشتراكية فى الرزق ، والحرية فى الرأى ، والديمقراطية فى الحكم .. وهذه المقومات الثلاثة ضمان دائم للوحدة ألا تستأثر فتستغل .. وألا تستبد فتطغى .. وألا تحكم فتتحكم .. والأثرة والطماعية ، والطغيان والحسد كانت وما زالت علة العلل فى فساد الزمان وهلاك الأمم »** .

هذا نص ما كتبه الزيات فى مجلة تنطق بلسان الأزهر وتحمل عنوانه ، وتتكلم باسم علماء الإسلام .. **ولو قرأنا هذا فى مجلة [روز اليوسف] لقلنا (الشىء من معدنه لا يستغرب) ولكن الذى يحز فى النفس أن ينشر مثل هذا الضلال فى مجلة الأزهر ، وأن يكون الكاتب والناشر مديرها ورئيس تحريرها ، وأن يستدعى الزيات من خارج الأزهر بعد أن تجاوز سن المحالين على المعاش من أبنائه ليقبض على مثل هذا المقال الهدام مائة جنيه من نفس خزانة الأزهر .. وأشد من هذا وأنكى أن يباع مثل هذا الهراء للناس على أنه دين خالص ، وعلم مصفى .. رحم الله الشاعر الذى يقول :**

ولو كان هماً واحداً لاحتملته ... ولكنه هم وثانٍ وثالث

مناقشة الزيات فى مقاله :

يقول الزيات :

« **إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة لأنها قامت على العقيدة .. ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول .**

ماذا يقصد الزيات بهذا ؟ أيقصد أن يصرف الناس عن رسالة محمد ﷺ ، وأن يوجه أنظارهم إلى جهة أخرى يقيمون عليها وحدتهم ، ويجدون لديها من وسائل الهناءة والسعادة مالا يجدونه لدى رسول الله ﷺ ؟! وهل يؤمن معى بقوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ [٢١ : ١٠٧] وقوله تعالى : ﴿ **لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكم وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ [٣ : ١٦٤] وقوله تعالى : ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون * فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون** ﴾ [٢ : ١٥١ ، ١٥٢] .

لقد أنقذت الرسالة المحمدية العرب من الضلالة ، وعلمتهم بعد جهالة ، وأزالت عن قلوبهم العماية والغواية ، وأبعدت عنهم خرافات الجاهلية ، وأباطيل الوثنية ، وحررتهم من العبودية ، وألَّفت بين قلوبهم كما يقول تعالى : ﴿ **لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم** ﴾ [٨ : ٦٣] .

يا أستاذ زيات :

إن محمداً ﷺ أُوحِى إليه ، وما جاء به هو من قِبَل الله .. ولقد كان يقول كما علمه المولى : ﴿ **إن أتبع إلا ما يوحى إلىَّ** ﴾ [٤٦ : ٩] **أفترَى أن** ما جاء به البشر أحكم مما جاء به رب البشر ؟! صدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ [٢ : ١٤] .

* * *

يا أستاذ زيات :

إن الوحدة المحمدية التى تزعم أنها قامت على أساس قد يضعف ثم ينهار هى الوحدة التى أشاد الله بها ، ونوه بذكرها فى هذه الآية الكريمة : **﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً * وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾** [٣ : ١٠٣]

إن هذه الوحدة المحمدية قامت على أساس من تعاليم الإسلام .. والإسلام ليس عقيدة فحسب ـ كما حسبت ـ بل هو عقيدة وشريعة .. ونظام كامل .. ومنهاج واف للناس فى كل نواحى الحياة .. عقيدة توثق العلاقة بين العبد والرب .. وشريعة توثق العلاقة بين الناس بعضهم مع بعض .. عقيدة تملأ القلب أمناً وإيماناً .. وشريعة تملأ الكون سلاماً وإسلاماً ، ومحبة ووئاماً .. لقد تذوق العرب طعم الوحدة ، وأحسوا بحلاوتها ، وشعروا بلذتها بعد أن شايعوا النبى محمداً ﷺ ، واتبعوا النور الذى أُنزل معه فآمنوا بأن ربهم واحد ، ورسولهم واحد ، وكتابهم واحد ، ودينهم واحد ، وقبلتهم واحدة .. فاجتمعوا على وحدة العقيدة ، ووحدة العبادة .

ونمّى الإسلام فيهم شعور الوحدة حين أوجب على كل واحد منهم تلاوة الفاتحة فى الصلاة سبع عشرة مرة .. وفى كل مرة يقرؤها المصلى لا يقول : **﴿ إياك أعبد وإياك أستعين ﴾** بل يقول : **﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾**[١ : ٥] يقولها وهو يشعر بأنه فرد فى جماعة متآخية مترابطة ، تلتقى عند رب واحد تعبده وتمجده ، وتستعين به وتسترشده : **﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾** [٢١ : ٩٢] ويتعلم المصلى من الفاتحة أيضاً ألا يختص نفسه بطلب الخير .. بل يطلب ذلك لنفسه ولإخوانه فيقول : **﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾** [١ : ٦ ، ٧] .

هكذا أخذ الإسلام بيدهم إلى طريق الوحدة .. أثار فيهم وحدة الشعور والإحساس ، والباعث والهدف ، والسير والسلوك ، فأصبحوا

جميعاً كما يقول الرسول ﷺ فى حديث أخرجه الشيخان : « **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » غرس الرسول ﷺ فيهم شجرة الوحدة وسقاها بمواعظه فقال : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » وقال : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً** » [أخرجهما الشيخان] .. وظل يتعهدها ويرعاها حتى أثمرت ثمرة الإيثار عن رضا وطواعية .. قال تعالى : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ [٥٩ : ٩] .

ومن عجب أن ترى خلق الإيثار يلازمهم طول الحياة ، ويستمر إلى ساعة الوفاة .. فى واقعة اليرموك استشهد جماعة ، وقبل أن يُسْلِموا الروح جىء لهم بماء ليشربوا ، فما زال كل واحد منهم يشير إلى زميله حتى لاقوا ربهم والماء لم ينالوا منه جرعة واحدة !!.

هذه هى الوحدة المحمدية ، وتلك ثمرتها .. ولا تسل عما كان لها من آثار بعيدة المدى .. فقد مكَّنت العرب من تأسيس امبراطورية واسعة الأنحاء ، شاسعة الأرجاء ، لا يستطيع البليغ أن يصفها بأبلغ ولا بأوجز مما قاله أحد الخلفاء حين رأى سحابة فى السماء : « **أيتها السحابة .. أمطرى حيث شئت .. فإن خَرَاجَكِ سيُحْمل إلينا** » .

لقد أقام العرب مدنية زاهرة ، ودولة عامرة ، قبضت على نواصى القارات الأرضية ، وأقامت العلاقات بين جميع أفرادها على أساس المساواة والتواصى بالحق ، والتعاون على الخير ، وتبادل الاحترام والحب ، وإشاعة الفضيلة ، واستئصال الرذيلة ، وأداء الواجب ، وإسداء المعروف عن رغبة فيه ، ودون تكليف به .

نعم .. **هذه هى الوحدة المحمدية التى لم تعجبك ، والتى رأيتها تقوم على أساس قد يضعف أو يحول .. لقد أخذت عليها أنها تقوم على العقيدة .. وذاك لعمر الحق ميزة لها .. ولكنك خشيت على نفسك لو قامت على هذا الأساس أن تقعد منها مقعد القصى ، وأن تعيش معزولاً خارج إطارها ، بعيداً عن دائرتها .. فأَحبَبْتَ أن تقوم على أساس من النفاق لكى تجد لك مكاناً رحباً فسيحاً تركُض فيه وترتع** .

إن الإسلام دين الله .. والله هو الذى خلق النفوس .. بل خلق العالم .. فهو أعلم بما هو أصلح وأنجح ، وأدرى بما هو أحكم وأنفع .. قال تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه** ﴾ [٥٠ : ١٦] ﴿ **أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين** ﴾ [٢٩ : ١٠] ﴿ **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى** ﴾ [٥٣ : ٣٢] ﴿ **وربك أعلم بمن فى السموات والأرض** ﴾ [١٧ : ٥٥] ﴿ **قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض** ﴾ [٢٥ : ٦] ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ [٦٧ : ١٤] .

فما جاءنا عن رسول الله ﷺ من قِبَل الله فهو دواء نافع ، وعلاج ناجع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فَيُستَعتب ، ولا يَعْوَجُّ فيقَوَّم ، ولا تنقضى عجائبه .. وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾ [١٦ : ٨٩] وصدق إذ يقول : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ [٥ : ٣] .. لقد أكمل الله لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ، ووهبنا ثروة واسعة ، ورصيداً مذخوراً يغنينا عن سائر الناس .. فلسنا فى حاجة ــ بعد ما أنعم الله علينا به ــ إلى أن نقترض مذاهب نأخذها من الشرق أو من الغرب .

لم يخل الدين من ضمانات :

ظن أحمد حسن الزيات أن الإسلام خلا من الضمانات التى تضمن للوحدة ألا تستأثر فتستغل ، وألا تستبد فتطغى ، وألا تحكم فتتحكم .. وهذا ظن خاطىء .. فالإسلام به ضمانات قوية لا مثيل لها فى أى نظام آخر .. ضمانات تحول دون الأثرة والطماعية ، والحسد والكراهية ، والاستغلال والاستبداد ، والطغيان والفساد .. ضمانات تجعل دولة الوحدة متينة البنيان ، عزيزة الأركان .. يسودها الحب والتعاون ، والسلام والوئام ، والصفاء والوفاء ، والعدل والفضل ، والحق والخير .

ولا عجب .. فنظام دولة الوحدة فى إجمال يتبع هذه الآيات : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر**

والبغى ﴾ [١٦ : ٩٠] ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ [٥ : ٢] ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [٤٩ : ١٣] ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ﴾ [٦٠ : ٨] .

هذه الآيات لو طبقت تطبيقاً صحيحاً لانمحت عن دولة الوحدة كل عوامل الهدم والتخريب ، ولقام صرحها على أسس قوية متماسكة لا يعتريها وهن ، ولا يتطرق إليها خلل ، ولا يصيبها سوء يُعَرِّضها للانهيار والزوال .

التكافل الاجتماعى فى الإسلام :

المجتمع فى نظر الإسلام يتكون من أفراد مترابطة متماسكة كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وكاليدين تغسل إحداهما الأخرى ، وكالأعضاء فى الجسم الواحد يتعاونون على جلب المصالح ، ودفع المضار .. ووفق هذا المبدأ جاءت كل التشاريع الإسلامية .

فالفقير أخو الغنى ، هو مسئول عنه ، ومطالب بمعونته ، وقد شرع الله للفقراء وذوى الحاجة حقوقـا لدى القادرين وأهل الميسرة تكفى حاجتهم ، وتسد عوزهم .. قال تعالى : ﴿ **وفى أموالهم حق للسائل والمحروم** ﴾ [٥١ : ١٩] وقال تعالى : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجُنُب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم** ﴾ [٤ : ٣٦] وقال تعالى : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** ﴾ [٩ : ٦٠] .

وقال ﷺ : « **إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم .. ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً** » [رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير] وقال ﷺ : « **من كان عنده فضل ظهر فَلْيَعُد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زادٍ فليعد به على من لازاد له** » .

قال أبو سعيد الخدرى راوى الحديث : « **فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا فى فضل** » [أخرجه مسلم] وأخرج البخارى بسنده إلى النبى ﷺ قال :

« **إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزوة أو قَلَّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم** » . وقال عليه الصلاة والسلام : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه** » [أخرجه الشيخان] وقال ﷺ : « **ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به** » [أخرجه البزار والطبرانى عن أنس بن مالك] .

هذه الآيات والأحاديث تدل على أن الإسلام اهتم بالضعفاء ، وأرباب الحاجات ، وذوى الضرورات ، فعمل على راحتهم ، وحضَّ على إكرامهم ، ودعا إلى مساعدتهم ، ولا يوجد فى أى نظام آخر كما يوجد فى الإسلام قواعد لإسعاف المدينين ، وإنقاذهم من هَمِّ الليل ومذلة النهار .

ومن أجل الفقراء والضعفاء أعلن أبو بكر الصديق الحرب على الأغنياء لأول مرة فى التاريخ ، وقال كلمته المشهورة : « **والله لو منعونى عناقاً كانوا يؤدونها على عهد رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها** » [أخرجه الستة] .

ولا يَقْصِرُ الإسلام عنايته على فقراء المسلمين .. بل يهتم بفقراء الدولة عامة على اختلاف دينهم .. جاء فى كتاب خالد بن الوليد لأهل الحيرة كما فى ص ١٤٤ من كتاب الخراج لأبى يوسف ما نصه : « **وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيـا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله** » .

ويحارب الإسلام الفقر فيدعو إلى الاجتهاد والعمل وينهى عن البطالة والكسل حتى لا يوجد فى الدولة الإسلامية عاطل يحط من كرامتها ، ويسىء إلى سمعتها .. قال تعالى : ﴿ **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** ﴾ [٦٧ : ١٥] وقال تعالى : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ [٩ : ١٠٥] وقال ﷺ : « **من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له** » [أخرجه الطبرانى] .

ورحمة بالبائسين ، ورعاية للمحتاجين حارب الإسلام الربا لأنه عنوان الانتهازية والاحتكار لأنه عنوان الأنانية .. والاكتناز لأنه عنوان البخل ، وإغلاء الأسعار لأنه عنوان الجشع .. قال تعالى : ﴿ **وأحل الله البيع وحرم الربا** ﴾ [٢ : ٢٧٥] وقال سبحانه : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ [٩ : ٣٤] وقال ﷺ : « **من احتكر طعاماً أربعين ليلة فقد برىء من الله وبرىء الله منه ، وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى** » وقال : « **من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقاً على الله تبارك وتعالى أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة** » [أخرجهما أحمد] .

وينصف الإسلام عمال الدولة وموظفيها فيفرض لهم رزقاً كريماً يعينهم على اقتناء زوجة وخادم ومسكن ، ويضمن لهم حياة طيبة شريفة ، وعيشة راضية مرضية .. عن المستورد بن شداد قال سمعت النبى ﷺ يقول : « **من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة ، وإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً ، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكناً** » . قال أبو بكر : أخبرت أن النبى ﷺ قال : « **من اتخذ غير ذلك فهو غالٌّ أو سارق** » [أخرجه أبو داود] .

ولا ينسى الإسلام العمال الذين يشتغلون لدى الأغنياء القادرين فيوصى خيراً بهم ، ويدعو إلى معونتهم وإكرامهم .. قال ﷺ : « **ما خففت عن خادمك من عمله فهو أجر لك فى موازينك يوم القيامة** » [أخرجه أبو يعلى وابن حبان فى صحيحه] وقال ﷺ : « **أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه** » [أخرجه ابن ماجة] وفى حديث أخرجه الستة قال ﷺ : « **إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم .. فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه ، وليلبسه من لباسه ، ولا يكلفه ما يغلبه .. فإن كلَّفه ما يغلبه فليُعِنْه** » . حدد الرسول ﷺ فى هذا الحديث الصلة بين الطرفين فأفاد أنها صلة أخوة .. وباسم هذه الأخوة **أشرك الرسول ﷺ الخدم مع المخدومين فى الطعام واللباس .. بل وفى العمل أيضاً حين يكون شاقاً يتعسر على العامل وحده القيام به .**

أسس الحكم الإسلامى :

أما نظام الحكم فى الإسلام فقائم على أسس أهمها :

أولاً : لزوم إقامة حاكم للمسلمين يرعى شئونهم ، ويُصرِّف أمورهم ، ويحفظ حدودهم ، ويحمى ضعيفهم ، وينصف مظلومهم ، ويُقوِّم معوجَّهم ، ويوصل لذوى الحقوق حقوقهم ، ويعين أرباب الحاجات ، ويسوى مشكلاتهم الداخلية والخارجية .. قال ﷺ : « **من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية** » [رواه البزار والطبرانى] .

ثانياً : الحاكم رجل من الناس لا قداسة له ولا امتياز .. وهو على الرغم من تبريزه فى بعض الصفات المطلوبة فى مثله خاضع للمبدأ العام الذى قرره المولى سبحانه وتعالى فى كتابه : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** » [٤٩ : ١٣] .

وعلى هذا الأساس يتعين أن يخضع لحكم القانون الإسلامى دون تمييز أو محاباة .. وقف إمام العادلين وسيد المرسلين ﷺ على المنبر فى مرض وفاته فقال : « **من كنت جَلَدت له ظهراً فهذا ظهرى فَلْيَسْتقِد منه ومن كنت شتمت له عِرْضا فهذا عِرْضى فليستقد منه ، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالى فليستقد منه .. لا يقولَنَّ رجل إنى أخشى الشحناء من قِبَلِ رسول الله ﷺ .. ألا وإن الشحناء ليست من طبيعتى ولا من شأنى .. ألا وإن أحبكم إلىَّ من أخذ حقاً كان له أو حلَّلنى فلقيت الله وأنا طيِّبُ النفس** » فقام إليه رجل فقال يا رسول الله .. إن لى عندك ثلاثة دراهم قال ﷺ : « **أما إنا لا نكذب أحداً ولا نستحلفه .. فيم صارت لك عندى ؟** » قال تذكر يوم مَرَّ بك مسكين فأمرتنى أن أدفعها إليه .. فقال ﷺ : « **ادفعها إليه يا فضل** » يعنى ابن عمه العباس .. [أخرجه أبو يعلى والطبرانى] .

فى هذه الخطبة أعلن الرسول ﷺ على الملأ أن ظهره كظهورهم ، وماله كأموالهم وعرضه كأعراضهم ، وأنه معهم على سواء أمام قانون السماء ، لا فرق بينه وبينهم ، فليس لأحد بعد ذلك مهما سمت درجته ، أو عَلت مكانته أن يزعم أنه فوق القانون يحاكِمُ الناس ولا يحاكَم ، ويحاسبهم ولا يحاسب ، ويؤاخذهم ولا يؤاخذ ، أو أن لديه حصانة تحول بينه وبين أن يقاضى كسائر الناس .

انظر إلى المختار قبل وفاته	يرسى الأساس ليستقر بناء
ويقول من آذيتهم فليأخذوا	منى حقوقهم إذا ما شاءوا
كشف الرسول لنا عن استعداده	ليقاد منه إن بدا إيذاء
وهو الذى قد ظل طول حياته	يؤذَى ويدعو للذين أساءوا
هو رحمة للعاملين فلا أذى	منـــه ولا عنت ولا ضراء
أعظم به مثلا يرينا أننا	والمصطفى عند القضاء سواء
أعظم به مثلاً يصون حقوقنا	طُرَّاً فلا يغتـــالها رؤساء
هذا هو الحكم النزيه فطالبوا	بقيامه حتي يحل هنـــاء

بهذا ضمن الرسول ﷺ نزاهة الحكم ، ووقى الناس من ظلم الحكام واستبدادهم ، وتحكمهم وطغيانهم وفسادهم .. وبهذا حمى دماء الرعية من أن تراق ، وأموالها من أن تسلب ، وأعراضها من أن تخدش .. وإذا كان الرسول ﷺ لا يحل له شيء من ذلك بغير حق فأولى بقية حكام المسلمين .

ثالثاً : يتبع هذا الأصل السابق أن الحاكم يخطيء ويصيب .. وهو إن أصاب يطاع ، وإن أخطأ فعلى المسلمين نصحه وإرشاده ، وعليه أن يعود إلى الصواب دون مكابرة قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً** ﴾ [٤ : ٥٩] وقال تعالى : ﴿ **فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب** ﴾ [٣٩ : ١٧ ، ١٨] وعن تميم الدارى أن النبى ﷺ قال : « **الدين النصيحة** » قلنا لمن ؟ قال : « **لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم** » [أخرجه مسلم] وقال ﷺ : « **السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يُؤمر بمعصية .. فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة** » [أخرجه الستة] .

رابعاً : ولكون الحاكم بشراً يتعرض للخطأ والصواب طلب الإسلام من الحاكم أن يتشاور مع المسلمين فيما لا نص فيه ليتجنب الزلل بقدر

الإمكان ، وليهتدى إلى الحق وإلى ما فيه المصلحة .. قال تعالى : ﴿ **وشاورهم فى الأمر** ﴾ [٣ : ١٥٩] فالرسول ﷺ وهو إنسان يوحى إليه يمكنه أن يستغنى بتوجيه الله عز وجل وإرشاده ، كلفه المولى سبحانه وتعالى بمشورة أصحابه ليكون مثلاً أعلى لأتباعه ، يحتذون به فى الأخذ بمبدأ الشورى ، والعمل بما ينتهى إليه رأى الجماعة .. أخرج ابن عدى والبيهقى فى الشعب بسند حسن عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ **وشاورهم فى الأمر** ﴾ قال رسول الله ﷺ : « **أما إن الله ورسوله لغنيان عنها .. ولكن جعلها الله تعالى رحمة لأمتى .. فمن استشار منهم لم يعدم رشداً ، ومن تركها لم يعدم غيًّا** » . وأخرج البيهقى عن الحسن أنه قال فى الآية : قد علم الله تعالى ما به إليهم حاجة .. ولكن أراد أن يستن به من بعده .. وعن أبى هريرة قال : ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ [رواه الشافعى] .

وفى المؤمنين يقول الله تعالى ثناء عليهم ، وإطراء لهم : ﴿ **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم** ﴾ [٤٢ : ٣٨] نظم الشورى مع الصلاة فى سلك واحد لأن الشورى عماد الدنيا ، والصلاة عماد الدين ، وبهما يستقيم للإنسان أمر دينه ودنياه .. قال البخارى عقب هذه الآية : وشاور النبى ﷺ أصحابه يوم أُحد فى المقام والخروج فرأوا له الخروج .. فلما لبس لامته قالوا : أقم .. فلم يمل إليهم بعد العزم وقال : « **لا ينبغى لنبى يلبس لامته فيضعها حتى يحكم الله ..** » ثم قال : « وكانت الأئمة بعد النبى ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم فى الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها .. فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداء بالنبى ﷺ » .

خامساً : يتحتم على الحاكم أن يتحرى العدل فى أحكامه ويتوخى الإحسان إلى الرعية ، فيرأف بها ، ويتجنب كل ما يشق عليها .. قال تعالى : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ﴾ [٤ : ٥٨] وقال تعالى : ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾ [٥ : ٨] وقال ﷺ : « **اللهم من ولىَ من أمر أمتى شيئاً**

فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولىَ من أمر أمتى شيئاً فَرَفَق بهم فارفق به » [رواه مسلم والنسائى] وقال : **« من ولىَ من أمر الناس شيئاً فاحتجب عن أولى الضعف والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة »** [رواه أحمد] ، وعن معقل بن يسار عن النبى ﷺ قال : **« ما من أمير يلى على أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة »** [رواه مسلم والطبرانى] **وزاد : « كنصحه وجهده لنفسه »** .

ومن رفق الحاكم بالأمة ، وإحسانه إليها ألا يُقَلِّد أحداً عملاً إلا إذا كان أهلاً له ، وقادراً على تحمل تبعاته .. قال ﷺ : **« من قَلَّد رجلاً عملاً على عصابة وهو يجد فى تلك العصابة أرضى منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين »** [رواه الحاكم] .

ومن نزاهة الحاكم المطلوبة أن يتجنب المحاباة والمحسوبية ، واستغلال النفوذ ، وأن يطهر جميع أجهزة الدولة من مفاسدها ، فلا يرضى لنفسه ، ولا لغيره بأن يتلوث بها .. روى أحمد فى مسنده أن علياً وفاطمة أتيا النبى ﷺ فقال على : يا رسول الله .. والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى .. وقالت فاطمة : قد طحنت حتى مجلت يداى .. وقد جاءك الله بسبى وسعة فأخدمنا .. فقال ﷺ : **« والله لا أعطيكم وأدع أهل الصُّفة تطوى بطونهم من الجوع .. ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم »** لقن الرسول ﷺ فاطمة وزوجها درساً نافعاً يحقق العدالة الاجتماعية ، ويدرأ عن الرسول ﷺ تهمة المحاباة والمحسوبية ، وعَلَّم ﷺ حكام المسلمين أن يبدأوا بتربية أهليهم ، وإصلاح ذويهم ، ليحولوا بينهم وبين الطمع فى أموال الدولة ، وكذلك علَّمهم الحكمة فى صرفها ، فلا يعبثون ولا يسرفون ، ولا يضعونها فى غير موضعها .

وفى الصحيحين عن أبى حميد الساعدى رضى الله تعالى عنه قال : استعمل رسول الله ﷺ رجلاً على الصدقة وفى رواية على صدقات بنى سليم ، فلما قَدِم قال : هذا لكم .. وهذا أُهْدِى لى .. فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : **« أما بعد .. فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله عز وجل فيأتى فيقول : هذا لكم .. وهذا أُهْدى لى .. أفلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً ؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لَقِى الله تعالى يحمله**

على رقبته يوم القيامة إن كان بعيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر » ثم رفع يديه حتى رئى بياض إبطيه فيقول : « **اللهم هل بلغت ؟** » ثلاثاً .

هل رأيت أبلغ من هذا الدرس فى تهذيب الولاة ؟ إنه درس نبوى يعلمهم التعفف ، ويقضى على استغلال النفوذ ، ويحمى سمعتهم من القيل والقال .. فالهدية بريد الرشوة ، ومدعاة إلى خراب الذمم ، وضياع الحقوق ، وفساد الحكام والمحكومين .

سادساً : وضماناً لحسن الإدارة ، وحرصاً على نزاهة الحكم وسلامة الدولة أوجب الإسلام على المحكوم أن يراقب الحاكم ، وعلى الحاكم أن يراقب المحكوم ، وعلى المحكومين أن يراقب بعضهم بعضاً ، ودعا إلى النقد البناء ، وحمى حرية الرأى التى لا تتعدى الحق والخير والفضيلة .. قال تعالى : ﴿ **والعصر * إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ [١٠٣] وقال تعالى : ﴿ **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز * الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ [٢٢ : ٤١] وصور الرسول ﷺ تضامن المسلمين فى المسئولية تصويراً بديعاً رائعاً فقال : « **مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً** » [أخرجه البخارى] .

دعائم الحكم الصالح فى خطبة الصديق :

يشير إلى أسس الحكم التى سلفت أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، فيقول فى خطبته التى رسم فيها منهاج حكمه : (**أيها الناس .. إنى وُلِّيت عليكم ولست بخيركم**) أى لا امتياز لى عليكم وأنا رجل مثلكم ، أخطىء ، وأصيب : (**فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقوِّمونى**) أى عليكم بمراقبتى حتى لا أحيد عن الحق ، وأسترسل فى الأخطاء .. فما

وجدتم من خير فأعينونى عليه ، وما وجدتم من شر فأبعدونى عنه .. كذلك علىَّ أن أراقبكم حتى أحجزكم عن الشر ، وأردكم عن العدوان (**فالضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه**) ودستورنا الذى يجب علينا التزامه واحترامه .. القرآن الكريم على ما أوضحته مذكرة السنة التفسيرية : (**أطيعونى ما أطعت الله ورسوله .. فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم**) .

دولة الوحدة المحمدية تهتم بالعلم والأخلاق :

لا يغفل الإسلام سلاح العلم .. بل يدعو إليه ، ويشجع عليه ، ويجعل لأهله مكانة عالية ، ومنزلة سامية .. قال تعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ [٥٨ : ١١] ولا يعنى ايلاسلام بالعلم علمـــا بعينه .. فالعلوم الشرعية والعربية ، والطبيعية ، والرياضية ، وسائر العلوم الكونية ــ كلها يدعو إليها الدين ، ويحض عليها الشرع عملاً بقوله تعالى ﴿ **قل انظـــروا ماذا فى السموات والأرض** ﴾[١٠ : ١٠] وقوله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ فعلينا أن نتعلم علوم الذرة ، والصواريخ ، وسفن الفضاء ، فهى فى عصرنا سبل القوة ، وبها ندفع خطر أعداء الإسلام .. نعم من هذه العلوم ما هو فرض عين ، ومنها ما هو فرض كفاية .. وأهل العلم الذين أثنى الله عليهم هم الذين فهموا آيات الله الكونية والتنزيلية ، وخضعوا لأحكامها ، وآمنوا بها ، وبذلوا جهدهم فى حمايتها .

أيا أمة الإسلام هذا رسولكم ... أتاكم بدين من يواليه يُنْصر
يشيد للعلم الصحيح معاقلاً ... ويكشف أسرار الوجود ويُظْهِر
ويدعو إلى التفكير فى ملكوته ... ويفتح آفاق السماء لتنظروا
فما بال قومى قد تعاموا عن الهدى ... وملوا حياة العلم حتى تأخروا
لقد كشف الأعداء أسرار خلقه ... ونحن بهذا الكشف أولى وأجدر
أعدوا لهم ما تستطيعون من قوى ... ولا تركنوا للجهل فهو مدمر

كذلك يهتم الإسلام بتربية الأمة على الأخلاق الكريمة .. فهى قوة تعصمها من الدنايا ، وتدفعها إلى الخير ، وتمنعها من الشرور والآثام ، وتأخذ بيدها إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب .. لهذا ساق إلينا الرسول

ﷺ عدة نصائح تمحق من المجتمع كل سوء ، وترقى به صعداً إلى مستوى أفضل ، وتوجهه نحو هدف أسمى وأنبل .. قال ﷺ : « **خياركم أحاسنكم أخلاقاً** » وقال ﷺ : « **تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة ، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة ، وبصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة** » وقال ﷺ : « **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولا تحسسوا ، ولا تناجشوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً** » [أخرج الثلاثة البخارى] .. وقال ﷺ : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره .. التقوى ههنا** ــ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ــ **بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه** » وقال ﷺ : « **من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه** » [أخرجهما مسلم] .

هكذا حرص الرسول ﷺ على أن يرسم لأمته منهاجاً أخلاقياً تسعى إليه ، وتتجمع حوله ، وتعيش فى هناءة به ..

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولا عجب فقد حدد الرسول ﷺ غايته الأولى فقال : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » [رواه مالك] .

والتاريخ يشهد :

هذه الأسس التى بنى عليها الرسول ﷺ دعوته ووحدته تنفى عن المسلمين الاستبداد والخنوع ، وتضمن لهم حرية الرأى ، وتقيم أمرهم على الشورى ، وتبنى دولتهم على العلم والأخلاق ، وتوفر لهم حياة كريمة عزيزة لا ذل فيها ولا هوان ، ولا خوف ولا احتياج ، ولا جهل ولا ضعف ، ولا نقص ولا رذيلة .

وحسبنا أن نرى هذه الحقائق **مجسمة** فى عهد سلفنا الصالح يوم أقيمت أسس الوحدة المحمدية ، وطبقت مبادئها .. روى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : « **أيها الناس من رأى منكم فىَّ اعوجاجاً فليقومه** » فرد عليه أحد الحاضرين قائلاً : « لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد سيوفنا » فأجابه عمر : « **الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد ﷺ من يقوِّم اعوجاج عمر بسيفه** » .

وذات مرة صعد المنبر فقال : « **أيها الناس اسمعوا** » . **فقال له** سلمان الفارسى : [وهو عبد الأمس] لا نسمع لك يا عمر .. فلم يسترسل عمر فى خطبته مهملاً له .. بل توقف وقال : « **ولِم يا سلمان** » ؟ قال لأنه جاءك فَىءٌ فأصاب كُلاًّ منا ثوب واحد وأنت عليك ثوبان .. لا يكفيك الذى كفانا .. **فمن أين لك الثوب الآخر ؟ فنادى** عمر : « **يا عبد الله** » (وكرر النداء) فأجابه ابنه عبد الله : نعم يا أبتاه .. فوجه إليه عمر سؤال سلمان فرد عليه عبد الله : « الثوب الآخر هو حظى من الفىء وقد مَنحتُكَه » .. عندئذ قال عمر : « **أسمعت يا سلمان ؟** » قال نعم .. الآن فقل نسمع .

إن النقد البناء ، والمعارضة المستهدفة لا يمكن أن يقف الإسلام فى طريقهما .. بل يسمح بهما ، ويشجع عليهما ، ويبيح .. **بل يوجب على** من كان له رأى أن يبديه فى حرية تامة ، ودون أدنى تردد .. أخرج أبو يعلى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ركب المنبر فنهى الناس عن أن يزيدوا فى المهر على أربعمائة درهم .. فاعترضته امرأة من قريش وقالت له : أما سمعت الله عز وجل يقول : ﴿ **وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً** ﴾ [٤ : ٢٠] فقال : « **اللهم غفراً .. كل الناس أفقه من عمر** » ثم رجع عن قوله .

إن التاريخ ليعتز بالمبادىء التى سطرها محمد ﷺ على قلوب تلامذته وصحابته بأحرف من نور ، وهو يرى أن هذه الوقائع التى يزهو بها ويفخر إن هى إلا انعكاس صادق لصورة الدين القويم الذى جاء به الرسول العظيم ﷺ .

ولا تعجب بعد ذلك أيها القارىء إذا وجدت الحاكم المسلم رقيق

الشعور ، دقيق الإحساس ، يحاسب نفسه على كل ما دق أو عظم ، ويراقب أهله حتى لا يحيدوا عن الجادة ، وينحرفوا عن الصراط المستقيم ، ويسأل عماله عن كل ما يريبه فيهم حتى لا يعبثوا بمصالح الدولة ، أو يقصروا فى رعايتها ، أو يطمعوا فى استغلالها .. أخرج الطبرى فى تاريخه عن إياس بن سلمة عن أبيه قال : مر عمر بن الخطاب فى السوق ومعه الدِّرَّة فخفقنى فأصاب طرف ثوبى وقال : « **أمط عن الطريق** » .. فلما كان فى العام المقبل لقينى فقال : « **يا سلمة تريد الحج ؟** » فقلت نعم .. فأخذ بيدى فانطلق إلى منزله فأعطانى ستمائة درهم ، وقال : « **استعن بها على حجك واعلم أنها بالخفقة التى خفقتك** » قلت يا أمير المؤمنين ما ذكرتها قال : « **وأنا ما نسيتها** » !! .

هكذا يكون الحاكم المسلم يبالغ فى حساب نفسه فيحاسبها على خفقة ، ويحاسبها عاماً كاملاً ، ويغرم من ماله الخاص ثمن هذا الحساب .

إن هذا الذى حدث من عمر فيه عظة وذكرى لولاة السوء ، الذين يركبون متن الجور ، ويروعون الناس فى بيوتهم بالليل وبالنهار كأنه لا رقيب يراقبهم ولا حسيب يحاسبهم .

وذات مرة رأى عمر نوقاً أعجبه منظرها لما بدا عليها من اثار النعمة .. فسأل : من صاحبها ؟ فقيل عبد الله - يعنى ابنه - فساقها إلى بيت المال خشية أن يكون انتفع بجاهه فى تنميتها ، واستفاد منه فى تربيتها .. ويرحم الله شاعر النيل إذ يقول :

وما وقى ابنك (عبد الله) أينقه	لما طلعت عليها فى مراعيها
رأيتها فى حماه وهى سارحة	مثل القصور قد اهتزت أعاليها
فقلت ما كان عبد الله يشبعها	لو لم يكن ولدى أو كان يرويها
قد استعان بجاهى فى تجارته	وبات باسم أبى حفص ينميها
ردوا النياق لبيت المال إن له	حق الزيادة فيها قبل شاريها
وهذه خطة لله واضعها	ردت حقوقاً فأغنت مستحقيها

رحم الله عمر .. فقد كان قدوة الحكام الصالحين ، ومثلاً أعلى يحتذونه فى السهر على مصلحة الرعية ، وتقليم أظفار أهله ، والقضاء على

أطماعهم حتى لا يتحدث الناس عنهم أنهم نالوا أية ثروة فى ظلال جاهه على حساب الشعب الكادح المكافح .

كذلك روى التاريخ أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص والى مصر : أنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق ، وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر .. فكتب إليه عمرو : إن أرضنا أرض مزدرع ومتجر .. فنحن نصيب فضلاً عما نحتاج إليه لنفقتنا .. فكتب إليه : **« إنى قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك إلىَّ كتاب من أقلقه الأخذ بالحق وقد سؤت بك ظناً ، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك ، فأطلعه عليه ، وأخرج إليه ما يطالبك به ، وأعفه من الغلظة عليك »** فلم يسع عمرو بن العاص على دهائه وعلو مكانته وبعده عن أمير المؤمنين إلا الخضوع لما أمره به ، ومقاسمة ابن مسلمة ماله .

شاطرت داهية السواس ثروته ولم تخفه بمصر وهو واليها
ولم تقل عاملاً منها وقد كثرت أمواله وفشا فى الأرض فاشيها

إن قانون (**من أين لك هذا**) الذى وضعته مصر منذ عهد قريب وضعه عمر بن الخطاب تنفيذاً لتعاليم الإسلام ، وطبقه منذ عهد بعيد .

ومن أروع ما سجل التاريخ أن عمر بن الخطاب استدعى القائد الفاتح عمراً وابنه ليحقق معهما فى شكوى قدمها إليه قبطى .. فلما حضرا سألهما فثبت لديه أن ابن عمرو قد اعتدى على القبطى بالضرب فأحضر سوطاً وقال : **« اضربه كما ضربك »** فضربه .. فقال : **« اضرب أباه .. فما ضربك إلا بفضل سلطانه »** قال : لا أضرب إلا من ضربنى .. فاتجه أمير المؤمنين إلى عمرو وقال : **« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟! »** .

إن الحاكم المسلم قوى الحاسة ، مرهف الشعور ، يقظ الضمير ، يسهر على مصلحة رعيته ، ويجنبها الأخطاء والأخطار ، لا ينام وفيها مكلوم يتأوه ، أو مظلوم يستصرخ ، أو ضعيف مهيض الجناح يتلوَّى .. إن وظيفته أن يملأ البلاد عدلاً وسلاماً ، ومحبة وخيراً ، ونعمة وبركة .

الوحدة المحمدية خير وأبقى

على ضوء ما أسلفنا يتجلى لك أيها القارىء الكريم أن الوحدة المحمدية خير وأبقى .. خير لأنها تضمن للإنسانية حياة طيبة ، وعيشة راضية ، وعدالة اجتماعية ، وحرية كريمة ، وسلاما عزيزاً ، وحكماً صالحاً ، واتجاهاً سديداً ، ومساواة فى الحقوق والواجبات ، ومحبة عميقة .

والوحدة المحمدية أبقى لأنها تقوم على أسس متينة تمتد جذورها حتى تصل إلى أعماق القلوب ، ويقوى سلطانها حتى تهيمن على جميع الحواس ، وتسرى روحها حتى تختلط باللحم والدم .. وكفى أنها تهتم بمطالب الروح والجسم ، وتفى باحتياجاتهما .. فليست روحية بحتة تصل بالناس إلى الرهبنة ، ولا مادية جافة تشغلهم بلقمة العيش عن متعة الروح .. كفى أنها من وحى الله : **﴿ صنع الله الذى أتقن كل شىء ﴾** [٢٧ : ٨٨] **﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾** [٢ : ١٣٨] .

وإذا كانت هذه الوحدة قد ضعفت وتمزقت يوماً ما .. فما ذاك إلا لما ابتلينا به من مؤامرات أجنبية ، وما فتنا به من مذاهب شرقية أو غربية صرفتنا عن التعاليم الإلهية ، والدعوة المحمدية .. فتبلبلت الأفكار ، واضطربت النظم ، واختلت الموازين ، وساءت الأحوال وعمت الفوضى : **﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾** [٨ : ٥٣] **﴿ وكأى من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذابـا نُكراً * فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً * أعد الله لهم عذاباً شديداً فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً * رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً ﴾** [٦٥ : ٨ - ١١] .

* * *

الزيات يرد على الزيات :

إذا كان الزيات قد انتقص الوحدة المحمدية لأنها تقوم فى نظره على العقيدة فقط .. والعقيدة قد تضعف أو تحول ، وامتدح الوحدة الناصرية لأنها ـ فى رأيه ـ قامت على أساس يضمن لها البقاء والنماء ، فقامت على الاشتراكية فى الرزق ، والحرية فى الرأى ، والديمقراطية فى الحكم .. إذا كان الزيات قد كتب هذا على أنه أديب له رسالة يوجه ولا يتوجه ـ كما فى مقال له ـ فإنا نؤكد لقراء مقاله أن الرجل نافق .. وأغرق فى النفاق .. وحسبنا أن ننقل ما كتبه الزيات بنفسه رداً على نفسه فى مجلة الأزهر بتاريخ ٢٣ يونية سنة ١٩٥٢ ص ٢ ونصه :

« إن من المبادىء التى ميزت الإسلام : (التوحيد) وهو سبيل القوة ، والإخاء ، وهو سبيل التعاون و (المساواة) ، وهى سبيل العدل ، و (الحرية) ، وهى سبيل الكرامة و (البر) ، وهو سبيل المحبة ، و (السلام) ، وهو سبيل الرخاء .. وكل هذه المبادىء معلومة من القرآن بالنصوص الصريحة فلا موضع فيها لتأويل أو تحميل أو تعسف .. وهى كما ترى تضمن أفضل ما فى الديمقراطية ، وأعدل ما فى الاشتراكية ، وأجمل ما فى المدنية .. فهى حَرِية أن تصلح ما فسد من أمور الناس ، وأن تقيم ما اعوج من نظام الدنيا .. وقد كانت كذلك يوم كان لِحُماتها دولة ، ولدعاتها صوت ، ولمعتقديها يقين .. فلما زالت الدولة ، وخشع الصوت ، وأراب اليقين تمزق المسلمون قطعاناً فى فدافد الأرض .. لا مرعى يجود ، ولا راع يذود ، ولا حظيرة تؤوى .. ثم كانوا بتخلفهم عن ركب الحياة حجة على الإسلام فى رأى السفهاء من مرضى الهوى أو الجهل ، فصموا عن دعائه ، وعموا عن ضيائه » .

هذا نص ما كتبه الزيات فى الجزء العاشر بالمجلد الثالث والعشرين من مجلة الأزهر .. ونقول له : لقد صدقت فيما كتبته عن الإسلام من قبل فى أخريات أيام فاروق .. ويؤسفنا أن ترجع اليوم عن رأيك ، وتنكص على

عقبك ، وتنقلب حرباً على نفسك ، وتتبع رأى السفهاء من مرضى الهوى والجهل الذين صموا عن دعائه ، وعموا عن ضيائه .. يؤسفنا أن يكون دينك الجديد اغتنام اللقمة .. ولو كانت ممزوجة بنقمة .

الزيات ينافق طول حياته :

طبيعة النفاق يبدو أنها متأصلة فى الأستاذ الزيات .. نما عليها وشب ، وشاخ فيها .. ونضع أمام القراء عينة مما كتب وهو الأديب الذى يقول : « الأدب رسالة يوجه ولا يوجه » .

فى أخريات أيام فاروق وبالضبط فى ٢٥ مايو سنة ١٩٥٢ كتب الأديب الكبير فى مجلة الأزهر مجلد ٢٣ جزء ٩ ص ٧ ما نصه :

> **« باسم الله جل اسمه ، وعز حكمه .. منزل كتابه هدى ، ومرسل رسوله رحمة ، وبهدى صاحب الرسالة محمد صلوات الله عليه .. لسان الوحى ، ومنهاج الشرع ، ومعجزة البلاغ .. وبعطف صاحب الجلالة الفاروق .. ناصر الإسلام ، ومؤيد العروبة ، وحامى الأزهر ، أعز الله نصره ، وجمل بالعلوم والآداب عصره » .**

هذا نص ما افتتح به الأديب الزيات مجلة الأزهر قبل طرد فاروق بشهرين .. وننشر إلى جانب ذلك ما افتتح به مجلة الأزهر فى يولية سنة ١٩٦٠ مجلد ٣٢ جزء ٢ .

> **« كان ملكاً على مصر قبل يوم ٢٣ يوليو ، وكان آية من آيات إبليس فى الجرأة على دين الله ، وعلى حرم الناس .. بلغ من جرأته على الله أنه كان كما حدثنى أحد بطانته المقربين إليه إذا اضطرته رسوم الملك أن يشهد صلاة الجمعة خرج إليها من المضجع الحرام فصلاها من غير غسل ولا وضوء ، وأداها من غير فاتحة ولا تشهد ، وكان يقول : إن أخوف ما أخافه أن يغلبنى الضحك وأنا أتابع الإمام فى هذه الحركات العجيبة .. وبلغ من جرأته على المحرمات أنه كان يغتصب الزوجة ويقتل الزوج ، ويسرق الدولة ويسفه الحق ، ويأخذ الرشا .. ثم أملى له الغرور فتبجح وتوقح وطغى (!!) » .**

هكذا تجرأ الزيات على فاروق بعد طرده .. وقد كان يدبج له المدائح فى عهده .. وهكذا يكتب عنه جليس بطانته ، وأنيس حاشيته .

نعم .. لقد عاش الزيات هكذا طول حياته يكتب ما يروج ، وينشر ما يجلب له النعمة والعافية .. وحسبه أنه ظفر فى عهد فاروق بلقب (صاحب العزة) وظفر فى هذا العهد بأكرم جائزة .. وفى مجلة الأزهر لا زال (يستأثر فيستغل) فيقبض منها مائة جنيه ليخرج عدد ذى القعدة ضمن ذى الحجة ، وليصدر عدد محرم فى شهر صفر ، وليكتب فيها كلاماً إنشائياً يمجه كل من كان له ذوق سليم .

* * *

صفعة للزيات من الرئيس :

فى يقينى أن الزيات ـ بعد ما أسلفته ـ قد افتضح أمره ، وانكشف ستره ، وأصبح كالعريان يمشى فى الطريق وليس عليه غلالة .. فلا يكاد يراه الناس حتى يغمضوا أعينهم ، ويغضوا أبصارهم نفرة منه ، وإعراضاً عنه .. وفى اعتقادى أنه لم يعد يصلح ـ بعد اليوم ـ ليتولى قيادة التوجيه فى مجلة الأزهر ولا فى غيرها من المجلات .. إلا أن تكون الأمة قد خلت من الرجال الأكفاء أرباب الضمائر الحية ، والنفوس المؤمنة ، والأقلام المجاهدة النزيهة !!.

والآن نسجل للرئيس كلمة كتبها فى فضل الرسالة المحمدية ، ليعلم الزيات أنه أغضب الله والرسول ولم يحز كلامه القبول .

قال الرئيس عبد الناصر فى مقدمة كتاب « الدعوة التحررية » مايو سنة ١٩٥٥ ص ٥ :

> **« رحمة الله التى وسعت كل شيىء قضت ولا راد لقضائها أن تهدى هذا العالم الضال ، وترده إلى الهداية والاستقرار .. فاختارت محمداً العربى اليتيم الفقير الناشىء فى جوف الصحراء ليكون النبى الأمى الملهم ، والرسول الموحى إليه ليرد البشرية إلى السلام والطمأنينة ، وإلى التراحم والتعاون ، وإلى الإيمان واليقين » .**

ولقد استطاع الرسول الكريم ﷺ أن يجعل دعوته مثالاً لكل الدعوات ، ومناراً لمن أتى بعده من المصلحين .. فقد كان خاتم الأنبياء ، وآخر الموحى إليهم من المرسلين .. فجعل من حياته دستوراً للحاكمين ، ومن سيرته شاخصاً يهتدى به الأحياء على مر الأجيال والأعوام .

وأظهر ما فى الدعوة « الاتحاد والتعاون » . فالمسلم أخو المسلم ، والمؤمن للمؤمن أنى كان هذا المسلم أو المؤمن .. فالفرقة ضعف ، والخروج على الجماعة خذلان !! .

أيها العرب .. أيها المسلمون .. أطيعوا الله وأطيعوا الرسول بأن تكونوا يداً على من عاداكم ، مسالمين لمن سالمكم ، ولا تفرقوا ولا تهنوا فأنتم الأعلون .. وليست هذه العبارة ألفظها من الشفاه ، أو يرددها اللسان .. ولكنها نابعة من قلبى المؤمن إيماناً عميقاً بدعوة الإسلام التى هى دعوة للقوة والسلام .. فهل تضعون أيديكم فى يدى ، وهل تلبون هذه الدعوة الحارة من قلب يؤمن بالعروبة والإسلام .

وليس يكفينى أن بلغت ، ولكنى سأسعى ما حييت بكل ما فىَّ من جهد وعزم وإيمان لتصبح هذه الدعوة حقيقة لا ريب فيها .. والله على ما أقول شهيد .

انتهى بالحرف الواحد كلام الرئيس .. ونستأنف المقال :

سيادة الرئيس :

هذا عهدك الذى قطعته على نفسك وأشهدت الله عليه .. وقد قال الله تعالى فى كتابه : ﴿ **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً** ﴾ [١٧ : ٣٤] وقال تعالى : ﴿ **ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً** ﴾ [٤٨ : ١٠] .

إن مؤازرة الدعوة الإسلامية بصدق ، وتجديد الوحدة المحمدية بحق يتطلب ذلك منا أن نوجه قوانينا توجيهاً جديداً سديداً يتمشى مع روح الشريعة الإسلامية ، ويمحو عنها الصبغة الأجنبية ، ويعلن للناس أن دولتنا قد

استقلت فى الشئون القضائية كما استقلت فى الشئون السياسية .. كذلك يتطلب منا ألا ننسى فريضة الزكاة .. فهى ركن من أركان الإسلام اهتم بها الإسلام أعظم اهتمام .. وأخيراً يتطلب منا أن نحارب المنكرات التى فشت فى البلاد ، وضج منها العباد .. قال تعالى : ﴿ **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز * الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ [٢٢ : ٤٠ - ٤١] .

رفقاً بأنفسكم وبالأمة :

لا نخاف على رسول الله ﷺ من استهانة بعض الكتاب بوحدته التى جاء بها .. ولكننا نخاف على الأمة إذا هى انحدرت إلى هذا المستوى .

لقد بلغ رسول الله ﷺ مكاناً عالياً لم يبلغه نبى .. فضلاً عن أن يناله ولى أو غير ولى .

كيف ترقى رقيك الأنبياء   يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك فى علاك وقد   حال سنا منك دونهم وسناء

إن رسول الله ﷺ فى غنى عنا وعن دفاعنا جميعاً بما حباه الله من مكانة عالية ، ومنزلة سامية .. وإذا كنتُ قد بادرت بالرد على الأستاذ الزيات .. فذلك لاعتقادى أنى أدافع عن الأزهر ومجلته وسمعته ورسالته .. بل لاعتقادى أنى أدافع عن وجودى ووجود المسلمين الذين وجدوا العزة والكرامة ، والهناءة والسعادة ، والقوة والغنى ، والحضارة والمدنية ، والمساواة والحرية ، والعدالة الاجتماعة فى مبادىء الوحدة المحمدية التى جاء بها سيد البشرية صلوات الله وسلامه عليه .. وما ضر الرسول ﷺ أن يأتى أحد الكتاب ينتقص مما جاء به أو يستهين بمبادئه :

ماضر شمس الضحا فى الأفق طالعة   ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

إن محمداً ﷺ لا يزال اسمه يدوى على المنابر والمآذن فى مشارق الأرض ومغاربها ، آناء الليل وأطراف النهار .. وحسبه أن الله رفع ذكره ، وطيب نشره ، وخلد أثره ، وجعل له لسان صدق فى الآخرين ، وفى أفواه الملايين .. قال تعالى : ﴿ **ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذى أنقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك** ﴾ [٩٤ : ١ - ٤] .

نص العريضة

التى قدمتها للكتور محمود حب الله

أمين مجمع البحوث الإسلامية

بعد نشر مقال الزيات قدمت عريضة إلى فضيلة الدكتور « محمود حب الله » أمين مجمع البحوث الإسلامية وهو المسئول الأول عن مجلة الأزهر .. وهذا نصها :

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الدكتور محمود حب الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ..

فقد نشرت مجلة الأزهر فى عددها الصادر فى شهر المحرم سنة ١٣٨٣ هـ مقالاً لمديرها ورئيس تحريرها الأستاذ أحمد حسن الزيات تحت عنوان : « **أمة التوحيد تتوحد** » وفى هذا المقال وردت العبارة التالية ص ٤ عمود ١ سطر ٧ ـ ١٨ ونصها بالحرف :

« إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة .. لأنها قامت على العقيدة .. ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول ، وأن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة .. لأنها قامت على السلطان .. والسلطان يعتريه الوهن فيزول .. أما الوحدة الناصرية فباقية نامية لأنها تقوم على الاشتراكية فى الرزق ، والحرية فى الرأى ، والديمقراطية فى الحكم .. وهذه المقومات الثلاثة ضمان دائم للوحدة ألا تستأثر فتستغل ، وألا تستبد فتطغى ، وألا تحكم فتتحكم .. والأثرة والطماعية والطغيان والحسد كانت وما زالت علة العلل فى فساد الزمان وهلاك الأمم » .

هذا نص عبارته .. ولنا عليها مآخذ :

١ ـ أنها تدل صراحة ودون ريب على أن الأساس الذى بنى عليه الرسول ﷺ وحدة الأمة أساس ضعيف لا يضمن لها البقاء ، ولا يقوى على الصمود .

٢ ـ تتضمن أن الدين الذى جاء به الرسول ﷺ قد خلا من المقومات والضمانات التى تضمن للوحدة ألا تستأثر فتستغل ، وألا تستبد فتطغى ، وألا تحكم فتتحكم .. وهذا دون شك بعيد عن الصواب ، وكتاب الله الخالد ، وسنة نبيه الكريم ﷺ ، وعلوم الأزهر وكتبه تشهد بأن الإسلام دين الله ، وشريعته صالحة لكل زمان ومكان .. ففيها كل عناصر الخير ، ومقومات السعادة ، وما يحتاج إليه البشر لصلاح دنياهم وأخراهم .

٣ ـ تتضمن انتقاص الرسالة ، والتعاليم التى جاء بها الرسول ﷺ لكى يطهر القلوب ، ويصلح النفوس ، ويوثق الروابط بين الله والناس ، وبين الناس بعضهم مع بعض .

ومعلوم أن الرسول ﷺ مبلغ عن ربه .. فقد كان يقول كما فى القرآن الكريم : ﴿ **إن أتبع إلا ما يوحى إلى** ﴾ فالانتقاص من شأن الرسالة انتقاص من شأن المرسل .. ونعوذ بالله من هذا .

يا صاحب الفضيلة :

إن مجلة الأزهر تحمل فى صدرها عنوان الأزهر وكرامته .. وهذا الذى نشره مدير المجلة ورئيس تحريرها يشين الأزهر ، ويتنافى مع الأهداف النبيلة التى من أجلها أنشئت المجلة ، ويسجل على الأزهريين قصورهم وتقصيرهم فى خدمة الدين والدفاع عنه .

إن هذه السقطة الواضحة الفاضحة سيلتقطها المستشرقون ، ورجال التبشير ، وأرباب الديانات الأخرى فى الداخل والخارج ، لينالوا من الإسلام ويكيدوا له ، وسيتلقفها خصوم الدولة ليشنعوا على علماء الأزهر ، ويسيئوا إلى مكانة الجمهورية العربية فى نفوس المسلمين .

* * *

« لهـــذا أقترح »

• **التحقيق مع كاتب المقالة ، واتخاذ ما يلزم لتوقى الوقوع فى مثل هذا الخطأ .**

• **مصادرة الصحيفة ، ونزع مقال الأستاذ الزيات .. ليكون البدء بمقال الإمام الأكبر (فى مطلع العام الهجرى) وهو ما كان ينبغى أن يراعى أثناء الطبع ، وبعد نزع المقال لا مانع من إعادتها إلى باعة الصحف .**

• **أن يتحمل الأزهريون ما ينجم عن ذلك من خسائر مادية دون رجوع على الخزانة .. وإنى أعلن أنى على أتم استعداد لدفع قسط كبير تقرباً إلى الله ورسوله .**

• **معالجة الأستاذ الزيات لخطئه فى العدد التالى ، والإسراع بطبعه مع نشر كلمة لفضيلة الإمام الأكبر ترد إلى المسلمين ثقتهم فى الأزهر ، وتقوى إيمانهم بالدين .**

• **تدوين محضر رسمى تاريخى يشهد بأن الأزهر أدى رسالته وواجبه ، ولم يسكت على هذه الزلة المنكرة .**

هذا رأيى .. وإنه ليشاركنى شعور الألم من هذه الزلة جميع علماء الأزهر .. بل عامة المسلمين .

وختاماً أسأل الله تعالى أن يوفقكم وشيخ الأزهر ووزيره لخدمة العلم والدين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمود عبد الوهاب فايد

* * *

وقد أرسلت برقية إلى الرئيس (جمال) ويؤسفنى أن أقول : إنه لم يصنع شيئاً .. بل كان الرد إعادة مجلة (الرسالة) إلى (الزيات) ليتقاضى على إصدارها مئات الجنيهات بعد أن أغلقها تهرباً من الضرائب – كما قيل – .

نص البرقية التى أرسلتها إلى
رئيس الجمهورية (جمال عبد الناصر)

السيد رئيس الجمهورية .. القاهرة .

من قلب مخلص أنبهكم لخطر المقارنة بين الوحدة المحمدية والناصرية المنشورة بمجلة الأزهر عدد المحرم ، راجياً مصادرة الصحيفة ، ومحاسبة الزيات على إساءته للرسول ﷺ وللأزهر .

محمود عبد الوهاب فايد

المدرس بمعهد القاهرة

الاثنين ٣ صفر سنة ١٣٨٣ هـ
الموافق ٢٤ يونية سنة ١٩٦٣ م

* * *

مع الزيات .. مرة أخرى

من لم يحترم الرسول ﷺ فلا حـــرمة له

نشرت بمجلة الاعتصام فى عدد ربيع الآخر سنة
١٣٨٣ هـ ـ الموافـق : سبتمبر سنة ١٩٦٣ م

لم يكن فى نيتى أن أكتب عن الزيات بعد ما كتبته عنه فى العدد السابق .. غير أن الحقائق المؤسفة التى سمعتها عنه ، والهراء الذى قرأته له .. دفعنى كل ذلك إلى الكتابة عنه مرة أخرى .. ردعاً له بعد أن خان البيت الذى نَمَّاه ، والأزهر الذى آواه .. حضرت جزءاً من التحقيق الشفوى الذى قام به أمين مجمع البحوث الإسلامية فى مقال الزيات .. فهالنى أن أسمع أن مصحح المجلة نبه الزيات لخطئه وضلاله قبل طبع مقاله .. ولكنه أبى واستكبر ، وعاند وأصر ، وأخذته العزة بالإثم ، فاستبقى هذه الفقرة الخطيرة المثيرة .

« إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة .. لأنها قامت على العقيدة .. ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول ، وإن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة .. لأنها قامت على السلطان .. والسلطان يعتريه الوهن فيزول .. أما الوحدة الناصرية فباقية نامية لأنها تقوم على الاشتراكية فى الرزق ، والحرية فى الرأى ، والديمقراطية فى الحكم » .

أصر الزيات على نشر هذه الفقرة ، وأعرض عن نصح الناصحين له ، وتجاهل القيم الإسلامية ، وتطاول على الحضرة النبوية ، واعتدى ـ مع سبق الإصرار والترصد ـ على الأزهر ورسالته ، وأساء بقصد الاستغلال إلى مجلته وكرامته . **﴿ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ﴾** [٢ : ٢٠٤ ـ ٢٠٦]

لقد أراد الزيات أن يحظى بالمال الوفير ، والمرتب الكبير ، فكتب يعلن عن نفاقه مبدياً سوأته ، كاشفاً عورته .. وأقام البرهان ـ بتجاهله لنصح

الناصحين ـ على أنه ليس فى قلبه لله خشية ، ولا فى نفسه لرسوله هيبة ، وأنه على شيخوخته لا يزال تائهاً فى ضلالاته ، حائراً فى ظلماته ، لا يحرك قلمه إلا رنين الدينار والدرهم ، ولا يغذى خياله إلا بريق المرتب والمغنم !!.

نشر الزيات ثيابه القذرة على مرأى من الناس ، وفوق مئذنة الأزهر ، فثار الأزهريون ، وهاجت الأمة ، وارتفعت أصوات الشعب تطالب بتنحيته ، وأصدرت جبهة العلماء بياناً حكمت فيه بإلحاده وردَّته ، وشنت المجلات الدينية الحرة ـ أمثال « الاعتصام » و « لواء الإسلام » و « العشيرة المحمدية » حملتها عليه ، ووجهت سهام نقدها إليه ، وخشى الزيات أن يستجيب الحكام لرغبة الأمة فحنى قامته ، وطأطأ هامته ، وطلع على الناس بإيضاح وبيان عسى أن تهدأ النفوس الهائجة .. ولكن البيان الذى أصدره ـ على الرغم من أنه أشير عليه بتعديله ثلاث مرات ـ كان بياناً متهافتاً يفضح صاحبه ، ويخزى كاتبه ، ولننظر فى بيانه ، ولنقرأ مقاله من عنوانه (وحدة .. لا وحدتان) :

يا زيات .. لقد ذكرت فى مقالك المسموم المشئوم ثلاث وحدات ، وجعلت لكل وحدة خصائص ومميزات ، وحكمت عليها بأحكام متغايرة متباعدة .. فكيف يمكن أن تكون الثلاث أو الاثنتان واحدة .

جعلوا الثلاثة واحداً لو أنصفوا لم يجعلوا العدد الكثير قليلاً

لقد قلت فى مقالك : إن وحدة محمد ﷺ قامت على العقيدة .. والعقيدة قد يطرأ عليها الضعف والفناء .. أما الوحدة الناصرية فقد حكمت عليها أيها الأديب الملهم بالبقاء والنماء .. أيمكن بعد هذا أن تكون الوحدتان وحدة ؟.. إن قلت : إن الوحدة الناصرية ترجع إلى وحدة النبى محمد ﷺ .. فالوحدة الناصرية إذن بحكم منطقك مهما تدم قد تضعف أو تحول .. وإن قلت : إن وحدة النبى محمد ﷺ ترجع إلى الوحدة الناصرية فقد جعلت التابع متبوعاً ، والمتبوع تابعاً ، وذلك ـ لعمر الحق ـ غاية الضلال .. بل غاية الخبال .

لقد كان مقالك شؤماً على الوحدة .. فلم تكد تفرغ من كتابته حتى تعثرت وتعسرت ، ووجدت نفسك فى حرج وأنت تعالج خطأك فقلت

لتستر موقفك : (الوحدة الناصرية المقترحة) خشية أن يبدو تهافتك فى دعوى بقائها ونمائها أن الوحدة وهى مطمع الأنظار ، وملتقى الأفكار ، وهدف كل مسلم غيور ، وغاية كل عربى مخلص لا تقوم بملق المتملقين ونفاق المنافقين .. ولكنها ستقوم وتدوم ، وتتحقق وتتوثق بجهود المؤمنين ، وجهاد المخلصين ، وكسح المضللين .. لقد كتب الزيات ما كتب طمعاً فى الربح الحرام ، وغاب عنه وهو الأديب الكبير ما ورد فى الأمثال « **تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها** » ، وعاد بعد أن تعالت أصوات الأمة بالاستنكار يخاتل ويخادع ، ويلتوى هذا الالتواء الذى ضحكت منه العامة ، وسخرت منه الخاصة ، راح يلقى التهمة على الإيجاز الذى أدى إلى هذه الجملة ، وقد كانت أمامه فرصة ليطنب ويوضح فكرته يوم نُبِّه إلى ذلك قبل الطبع .. فلو كان فى قلبه لرسول الله ﷺ مهابة لرجع عن ضلاله ، وأصلح من مقاله .. ولكنه بدافع النفاق أبى وأصر ، وآذى رسول الله ﷺ من فوق منارة الأزهر .. فليسمع قول الله تعالى : ﴿ **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم * يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين * ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزى العظيم** ﴾ [٩ : ٦١ - ٦٣] .

وليسمع قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون * فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون * وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** ﴾ .

[٢ : ٨ - ١٢]

يا زيات .. لقد حكم الله على أمثالك بالخزى العظيم ، والعذاب الأليم .. فلتهنأ إلى حين فى مجلة الأزهر بمائة جنيه تقبضها من خزانته على الرغم من أنوف الأزهريين .. ولتهنأ إلى حين فى مجلة الرسالة بمئات الجنيهات تقبضها من خزانة الدولة على الرغم من أنوف أبناء الدولة المؤمنين .. ولتهنأ إلى حين بحرية الرأى قَدْحاً فى وحدة خير الأنام .. على الرغم من أن دين الدولة هو الإسلام .. ولتهنأ إلى حين بالاشتراكية فى الرزق تسوق إليك من

عملك الجديد مئات الجنيهات بعد مقالك المشئوم بأسبوعين على الرغم من أنوف العاملين المخلصين الذين يظفرون بجنيهين علاوة كل سنتين .

ليسمح لى الزيات أن أستعير منه وإليه .. فأقول : « إنه اندس – فى مجلة الأزهر – اندساس الإثم فى الضمير ، والداء فى البدن .. فكان فى الوحدة مظهر تفريق ، وفى النهضة مصدر تعويق ،وفى العقيدة مثار شبهة .. وحسبه أن مجلة الأزهر صارت فى عهده (مذلة) بعد أن كانت (مجلة) .

عندما انقطع أمل المدّاحين :

إن المادة فى حياة الزيات الفارغة هى كل شىء غلف بها قلبه ، وأفعم بها فمه ، وجعلها قياساً لكل قضية ، وسبباً لكل حكم ، وأساساً لكل نقد ، وغرضاً من كل عهد .

ويكفي شاهداً على هذا أنه فى العهد الماضى ظل يثنى على الفساد وأبطاله ، فأطرى فاروقاً حتى نهاية أيامه ، ودبج له المدائح برغم فضائحه وآثامه .. ونعود فنضع أمام بصره ما كتبه فى مجلة الأزهر بقلمه يوم ٢٥ مايو قبل طرد المليك بشهرين ، قال الأديب الذى يقول : « **الأدب رسالة يُوجِّهُ ولا يُوجَّه** » فى المجلد ٢٣ ج ٩ ص ٧ ما نصه : « **باسم الله .. وبهدى صاحب الرسالة .. وبعطف صاحب الجلالة الفاروق ناصر الإسلام ، ومؤيد العروبة ، وحامى الأزهر أعز الله نصره ، وجمَّل بالعلوم والآداب عصره** » .

هكذا لوَّث الزيات وجه صحيفة الأزهر ، ووقف فى خشوع وتذلل فوق هذا المنبر ، رافعاً أكف الضراعة إلى سيده فاروق يستمد منه العطف ، ويطلب منه العون ، ويلتمس منه الرضا !!.

أين كان الزيات فى ذلك الوقت حين خرجت الأمة عن بكرة أبيها تستنكر جرائم الفاروق ، وفضائح أسرته ، وتطالب بإبعاده إلى (أنقرة) أو دفنه فى مقبرة .. كان الزيات فى ذلك الوقت واقفاً على الأبواب ، يتمرغ لدى الأعتاب ، ينتظر العطف الذى استجداه ، ويرتقب العون من مولاه ، ويرتل الابتهالات فوق منارة الأزهر سائلاً الله أن يعز نصره ، ويجمل بالعلوم والآداب عصره .. فلما انتهى عهد فاروق ، وآل الحكم إلى غيره ، وانقطع

أمل المدّاحين من خيره ، بادر الزيات بالتبرىء منه ، وقال كما يقول الشيطان لمن زين له الإثم والطغيان ﴿ **إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين** ﴾ [٥٩ : ١٦] .

ونعود مرة أخرى فنسجل ما كتبه الزيات نفسه فى مجلة الأزهر نفسها بالمجلد ٣٢ ج ٢ قال فى فاروق ما نصه بالحرف :

> **« كان آية من آيات إبليس فى الجرأة على دين الله ، وعلى حرم الناس ، بلغ من جرأته على الله أنه كان كما حدثنى أحد بطانته المقربين إليه إذا اضطرته رسوم الملك أن يشهد صلاة الجمعة خرج إليها من المضجع الحرام فصلاها من غير غسل ولا وضوء ، وأداها من غير فاتحة ولا تشهد » .**

هذا هو الفاروق بقلم الزيات بعد طرده .. وقد كان يصفه بناصر الإسلام ، ومؤيد العروبة ، وحامى الأزهر حتى أخريات عهده .. وحسب الزيات معرة أن يجالس ويحادث حاشية الملك السابق .. تلك الحاشية التى كانت تقوده إلى المضجع الحرام ، ثم تنطلق معه إلى بيت الله ليصلى الجمعة من غير غسل ولا وضوء ، ويؤديها من غير فاتحة ولا تشهد .. وأغلب الظن أن ما بلى به الزيات من نفاق وشره كان نتيجة هذه المعاشرة .. وفى الأمثال : « **نبئنى من تصاحب أخبرك من أنت** » لقد شاخ الزيات .. ولكن حاله لم يتغير ، ووضعه لم يتبدل ، وطبعه لم يتحول ، ويرحم الله صالح بن عبد القدوس إذ يقول :

والشيخ لا يترك أخلاقه   حتى يوارى فى ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد إلى جهله   كذى الضنى عاد إلى نكسة

لقد غالى فى إطراء هذا العهد حتى انتقص الوحدة المحمدية ، وأقحم الرسول ﷺ فى المقارنة دون أدب ولا روية .. وما فعل ذلك عن إخلاص وإيمان .. بل جرياً وراء الذهب الرنان .. تماماً كما صنع أيام فاروق قبل طرده .. وإلى أواخر عهده .. وهكذا الزيات طول حياته ينافق بغية القوت ، ويكتب بقلم نقش عليه هذا المثل « **طالب القوت ما تعدى** » .

يا زيات .. إن الرئيس عبد الناصر لو أنفق مثل أُحُد ذهباً ما بلغ ــ

بنص الحديث ـ مُدَّ أَحَدِ من أصحاب النبى ﷺ ولا نصيفه ، فكيف له يا جهول أن يبلغ مبلغ الرسول ؟!! .

ألا فلتسمح لى أيها الزيات وقد استضفتك اليوم على مائدة الاعتصام أن أقدم لك فاكهتك ، وأسوق إليك هديتك : « **إن الكفر خير من النفاق .. وإن العداوة أفضل من الخديعة .. وإن الصراحة على كل حال عظمة ، وإن المراءاة على أى وجه حقارة** » .

وخير ما نختم به هذه الكلمة قول الله تعالى : ﴿ **إن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين** ﴾ [٨ : ١٩] وقوله سبحانه : ﴿ **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ [٩ : ٥١] وقوله تعالى : ﴿ **قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون** ﴾ [٢٣ : ٨٨ ـ ٨٩] .

* * *

عيد .. بأية حال عدت يا عيد

« نشر هذا المقال فى عدد الاعتصام الصادر فى ذى الحجة عام ١٣٨٨ الموافق مارس عام ١٩٦٩

ويأتى العيد الأكبر فيذكرنا بقول المتنبى :

عيد بأية حال عدت يا عيد   بما مضى أم بأمر فيك تجديد
أما الأحبة فالبيداء دونهم   فليت دونك بيداً دونها بيد

يجىء العيد وبيننا وبين أهلنا فى العريش .. وسينا .. وفى الضفة الغربية .. وفى مرتفعات الجولان .. وفى الأراضى التى احتلتها اليهود .. بيننا وبين هؤلاء عدو خبيث .. دنىء خسيس .. فرق الأهل ، ومزق الشمل ، وأراق الدماء ، ونكل بالأبرياء ،واعتدى على الأطفال والكهول والنساء ، واستباح الحرمات ، وانتهك المقدسات .. ولا يزال يرغى ويزبد ، وينذر ويهدد ، ولا زلنا نسمع أنات أهلينا المستضعفين ، وصرخات إخواننا المنكوبين ، وننظر حولنا فلا نجد إلا ما يقض المضجع ، ويضرم الفؤاد ، ويُطيِّر عن العين الرقاد .

ومع هذا فكل من هنا مشغول .. مشغول بأمره عن أمر غيره ، لا يفكر إلا فى نفسه ، ولا يهتم إلا بشخصه .. كل من هنا يلقى المسئولية كلها ، ويلقى العبء كله على الجيش وعلى الحكومة .. كأنه لا مسئولية على طوائف الشعب وأفراد الأمة .. هكذا يشعرون .. أو هكذا يتعلمون .

كل من تلقاه يبدو على وجهه سمات الحيرة ، وتطالع فى جبينه أمارات القلق .

كل من فى هذا الوطن العربى الذى جار عليه اليهود يعيش قلقاً مضطرباً ، لا يطمئن على نفس ، ولا على أهل ، ولا على مال .. فالخطر ماثل أمام أعينهم ، يحيط بهم من كل جانب ، ويحدق بهم من كل ناحية ، ويهددهم فى كل لحظة .

ومع أننا نشعر جميعاً بالخطر ، وندرك سر البلاء ، ومصدر الشقاء ، يحلو لكثير منا أن ينام ، ويلذ له أن يلهو ، ويبحث عن وسائل السمر ،

وفرق الرقص .. إمعاناً فى الاستهتار ، وعدم المبالاة .. **هل تبلدت** أحاسيسنا ؟! هل تحجرت مشاعرنا ؟! هل عقمت أفكارنا ؟! هل نحن فى حاجة إلى ملاه تخدرنا ، ومراقص تلهينا ؟! أو فى حاجة إلى وعى يبصرنا وسلاح يحمينا ؟! إن من أوجب الواجبات علينا ـ خصوصاً فى أيامنا الحالكة ـ أن نستيقظ فلا ننام ، ونَجِدَّ فلا نلهو ، ونتسلح بالدين وبالوعى وبكل أنواع الأسلحة الحديثة .. إن من أوجب الواجبات على علماء الدين ، وأرباب الفكر ، وحملة الأقلام ، والقائمين على أجهزة الإعلام أن يبصروا الأمة بالخطر ، ويبعثوا فيها روح القتال والاستبسال ، ويحاربوا بالقول وبالفعل كل ما يثير الفتنة ، ويقتل النخوة ، ويثبط العزيمة ، ويضعف الهمة ، وينيم الأمة .

ما هذه الصور الخليعة التى تنشر ؟! ما هذه الأغانى البذيئة التى تسمع ؟! ما هذه السموم التى تعلن عنها الصحف وأجهزة الإعلام ؟! ما هذه الرذائل ؟! ما هذه المنكرات ؟! أما آن لنا أن نفيق من سكرتنا ، ونستيقظ من نومتنا ؟! أما آن لنا أن ندرك سر نكبتنا ؟! أما آن لنا أن نسأل لنفهم : « **لماذا لم يستطع جيشنا بأسلحته الوفيرة أن يبقى فى سيناء ـ وهى أرضنا ـ عشرين يوماً ؟ واستطاع العدو أن يبقى فيها على الرغم منا عشرين شهراً قابلة للمزيد** (١) ؟! » .

* * *

سؤال يجب أن يسأله كل منا لنفسه ، وأن يوجهه لغيره .. سؤال يجب أن نعرف جوابه الصريح الصحيح .. فإذا عرفنا الجواب ، وأدركنا الأسباب ، وفهمنا أسرار ضعفنا وجب علينا أن نسارع إلى تفاديها ، ونبادر بتلافيها .

---

(١) كان هذا يوم كتابة هذا المقال . وقد مضى إلى اليوم تسع سنوات ، ونحمد الله على هذا النصر الجزئى الذى حققناه فى رمضان سنة ١٣٩٣ بعد أن عدنا إلى الدين ، وبعد أن طردنا خبراء الروس ، وتوكلنا على الله معتمدين على أنفسنا ، ونسأله سبحانه أن يوفقنا لاسترجاع كل أرض العروبة وأرض الإسلام .. آمين .

فى عام ١٩٤٨ ضاعت قطعة من فلسطين بسبب الأسلحة الفاسدة ، وخَوَر نفر من الحكام .. ومن أجل هذا قامت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .

فى عام ١٩٦٧ ضاعت فلسطين كلها .. وضاع معها جزء من مصر .. والأردن .. وسوريا والأسلحة جيدة متوافرة .

فى عام ١٩٤٨ استطعنا بأسلحتنا الفاسدة أن ندق أبواب تل أبيب لأن القلوب كانت صالحة .

فى عام ١٩٦٧ استطاع العدو أن يصل إلى القناة ، ويحرز أعظم كسب فى أقصر وقت وبأقل ثمن ، ويغنم أسلحتنا الصالحة لأن القلوب كانت فاسدة .

* * *

إننا فى هذه الأيام أحوج ما نكون إلى إصلاح شامل يرتكز إلى عقيدة دينية ، ونأخذ من اليهود عبرة .. فقد استطاعوا تحت لواء الدين أن يتكتلوا ، ويظفروا ، ويجذبوا العالم إليهم .. على الرغم من أن تعدادهم فى إسرائيل مليونان .. أى نصف تعداد القاهرة .. وتعدادهم فى دول العالم ستة عشر مليوناً .. أى نصف تعداد الجمهورية العربية وحدها .

لقد أشاعوا فى العالم بدعة الفصل بين الدين والدولة .. لكنهم أعلنوا ولا يزالون يعلنون فى كل مناسبة أن دولتهم قائمة على التوراة .. التوراة التى بين أيديهم ويؤمنون بها .. اختاروا لدولتهم اسم « إسرائيل » وهو اسم نبى من أنبياء الله .. به يتعلقون .. اختاروا لدولتهم لافتة دينية تستميل القلوب ، وتجذب المال والرجال .

ولا تمر فترة حتى يصرح الصهيونيون بأسانيدهم الدينية فى احتلال الأراضى التى وقعت فى أيديهم .. لقد أعلنوا للعالم أن إسرائيل لها مطالب إقليمية دينية فى أجزاء من الأراضى التى احتلتها .. لأن دولتهم تقوم على ثلاث مقومات ١ ــ التوراة ٢ ــ الشعب اليهودى ٣ ــ أرض الميعاد .

وقالوا : إن الدين الذى أبقى على الآباء والأجداد هو الذى يُبْقى على الأبناء والأحفاد .. وتمشياً مع هذا المبدأ وضعوا خطة لتربية أبنائهم تقوم على إلزام الطفل بتعلم العبرية فى سن الثامنة ، وقراءة التوراة بها فى سن الثانية عشرة ، ودراسة التلمود وحفظ حكمه فى سن الرابعة عشرة .. على هذا أقاموا دولتهم ، وربوا ناشئتهم ، يقول [هيرمان ووك] فى كتاب (هذا ربى) .

سألنى ابن جوريون : كيف يمكن لليهود أن يقاوموا العناء فى العالم كله ؟ فأجبت عن طريق الدين .. فقال ابن جوريون : أجل هذا هو الطريق الوحيد .

إن اليهود لا ينسون أن يرفعوا شعار الدين فى كل مناسبة .. ولما دخلوا بيت المقدس قالوا : الآن ثأرنا لأجدادنا فى خيبر .. وزحفوا نحو حائط المبكى على بطونهم يبكون ، وأسرع قائدهم (ديان) يقبله ويبلله بدمع عينه [الواحدة] بعد ساعات من استيلائه عليه ، وكان على رأسهم جميعاً حاخامهم الأكبر يرفع التوراة بين يديه .

إن الحاخام هنالك هو الذى يوجه السياسة بلسانه ويده ، بقلمه وخطبه .. وهو فى إسرائيل له مكانة مرموقة .. فإذا ما سار على قدميه فى أى شارع من شوارع إسرايل يتوقف المرور فيه .. فلا يمكن لسيارة أن تمر أمامه .. وليس هذا التقدير للحاخام الأكبر وحده .. بل لكل حاخام يعيش فى إسرائيل .. كما نشرت ذلك الأهرام فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٨ ص ١ ع ٥ .

إن التوراة تؤدى دوراً كبيراً فى صراع اليهود معنا .. فى كتاب (المعتدون اليهود) ص ٥ :

« لقد وجدنا اليهود الذين وقعوا فى الأسر ومع كل منهم نسخة من هذه التوراة .. وكأنها سلاح من أسلحتهم فى المعركة .. ومن الخطأ الفادح أن نعتبرها مجرد كتاب للبركة ، أو نظام للعبادة .. ولكنها منهاج عمل بالنسبة لهم » .

لقد وقف الإسرائيلى فى المعركة ومعه سلاحان .. سلاح التوراة .. وسلاح المدفع .

ووقف العربى فى المعركة .. فماذا كان معه ؟ اكتفى بنقل هذا الخبر .. وقد نشر فى العامود الثالث من الصفحة الأخيرة بجريدة الأهرام أول يونية ١٩٦٧ أى قبل الحرب بأربعة أيام ونصه :

« وضع مجدى العروسى مدير صوت الفن جميع الإمكانيات تحت تصرف إدارة التوجيه المعنوى فى القوات المسلحة ، كما بدأ فى طبع ٤٠ ألف صورة كارت بوستال عليها صورة عبد الوهاب ، و ٤٠ ألفاً عليها صورة عبد الحليم حافظ ، و ٤٠ ألفاً عليها صورة نجاة الصغيرة ، و ٤٠ ألفاً عليها صورة شادية .. على كل منها إهداء من صاحبتها .. سترسل من الغد إلى جنودنا الربضين فى الجبهة » .

وفوق هذا الخبر أغنية لأم كلثوم وصور مختلفة لها فى استديو ٣٥ .

هذا ما نشر .. لقد اعتمدنا على الفن كل الاعتماد .. وفى يوم المعركة اختفى صوت الدين بين جلبة المغنيات والمغنين .

إن لدينا أجهزة دينية كان من الممكن أن تخدم الدولة والأمه ، وتؤدى دوراً كبيراً قبل المعركة وأثناءها وبعدها .. لكنا مع الأسف أهملناها .. فلم تقم بجهد يقنع الأمة ، ويروى ظمأها ، ويقوى أبناءها ، ويرهب أعداءها .. لدينا الأزهر ، والمعاهد ، والكليات الأزهرية ، ولدينا المساجد الدينية .. لكن دورها فى الصراع الأخير مع العدو كان خافتـا باهتاً لا يتناسب مع مكانتها ، ولا مع خطر المعارك التى كتب على الأمة أن تخوضها .

والعجيب أن يعقد مجمع البحوث الإسلامية عدة اجتماعات بعد النكبة .. وفى يوم الاجتماع الأخير اتخذ عد قرارات :

منها : حشد كل الطاقات المادية والمعنوية للأمة العربية والإسلاميه ، وتدريب جميع القادرين على حمل السلاح وعلى استعماله .. وحتى الآن لم يبد لهذا القرار أثر .. بل فوجئنا والمعركة تزداد عنفاً بإلغاء مادة الفتوة بعد أن كانت مقررة يمتحن فيها التلاميذ .

ومنها : إنشاء صندوق لتمويل كفاح أبناء الشعب الفلسطينى ، ورعايه

أسر المجاهدين ، والشهداء ، والعمل على أن تكون للصندوق فروع فى كل بلد إسلامى .. ولم نسمع حتى الآن وبعد أن مر ما يقرب من نصف عام على البدء فى تنفيذ هذا القرار .. ولكن سمعنا عن نشاط صهاينة العالم فى دعم إسرائيل ، ومبادرتهم بجمع التبرعات ، وتقديم المعونات التى تقدر بملايين الجنيهات .

ومنها : تأليف وفد يطوف بالبلاد الإسلامية لتوثيق عرى المودة والتعاون حتى يتم توحيد الصفوف لمواجهة العدو الغاصب .. ولم تظهر إرهاصات حتى الآن تبشر بقرب ميلاد هذا الوفد .

نعم .. لقد طافت أم كلثوم بعدد من البلاد العربية والغربية وجمعت منها جميعاً مالا يزيد على ثمن ربع طائرة من طائراتنا الحربية .. فهل اكتفى علماء الأزهر وأعضاء مجمع البحوث بجهودها ، وقنعوا بنشاطها ؟ وهل رأوا فى نبراتها الموسيقية ، وأغانيها العاطفية ما يكفى فى الإعلان عن الأزهر وعن وجه مصر الإسلامية ؟.

صدقونى يا بنى الإسلام والعروبة إذا قلت : إن الأمر جد وليس بالهزل .. إننا فى حرب وقتل .. لا فى زمر وطبل .

صدقونى إذا قلت لكم : إن العدو خبيث بالغ الخبث .. وقد أطلق أخيراً على الأراضى التى احتلها اسم (الأراضى المحررة) كأننا اقتطعناها من دولته ، فحررها منا وردها إلى حوزته .. فهل يمكن أن يتنازل عن شبر إلا تحت ضغط قوة ساحقة ، وأسلحة ماحقة ؟.

لابد إذن أن نعلن التعبئة العامة ، ونجند كل فرد وندربه على حمل السلاح واستعماله ، وعلى عمل فى المعركة يناسب استعداده واختصاصه حتى يؤدى الجميع واجبهم فى معركة التحرير والمصير .

يجب أن نصدر على الفور أمراً بإحصاء المدارس ، والمعاهد ، والمساجد ، والنوادى ، وأجهزة الإعلام على اختلافها ، ونصدر أمراً بإحصاء عدد الكتاب ، والعلماء ، والأدباء ، والخطباء ، ورجال الصحافة ، ونقوم فى الحال بتوزيعهم على هذه الأماكن ليؤدوا فيها باستمرار واجب التعبئة والتوعية .

يجب أن نفتح الطريق أمام الأزهر .. علمائه وطلابه وموظفيه ، ونشجعهم على أن يقوموا بواجبهم الديني في تبصير الأمة والجنود ، وشحذ عزيمتهم ، وتقوية همتهم .. لا أقول : نشجعهم تشجيعاً مادياً .. بل أقول : **نشجعهم تشجيعاً أدبياً .. فما ينبغي أن يتقاضوا على هذا الواجب المقدس مكافآت فوق ما يصرفونه من مرتبات .**

إن العدو يعرف أثر السلاح الديني في المعركة .. ولهذا تسلح به ، واستفاد منه ، وحاول أن يصرفنا عنه .. فواجب أن نعود إلى القرآن لينير بصائرنا ، ويذكي هممنا ، ويقوي عزائمنا .

إن أم كلثوم تستطيع بأغانيها أن تجمع الفلوس .. ولكنها لا تستطيع أن تبني النفوس .. أما العلماء إذا صلحوا ، ونصحوا ، وأخلصوا فإنهم يستطيعون بجاذبية الدين أن يقوموا بدور فعال في تربية الرجال ، وإعداد الأبطال ، وتوفير الأموال .

بالأمس وفي أيام الرسول ﷺ كان للدين أثر بارز في تربية المسلمين .. فقد نَمَّى فيهم شجرة الحرية ، ونفخ فيهم روح الكرامة ، وجعل شعارهم : ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ [٦٣ – ٨] علمهم أن يجودوا بأرواحهم وأموالهم ، وألا يتهيبوا قوة أعدائهم .. فهم إن ماتوا ماتوا شهداء .. وإن عاشوا عاشوا سعداء : ﴿ **قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون** ﴾ [٩ : ٥٢] فانطلقوا بهذه الروح الثائرة إلى دول العالم ففتحوها بجنود قليلة ، وأسلحة ضئيلة .. وإذا كانوا تعلموا أن يستجيبوا للدين ، ويجودوا له بأرواحهم فهل يبخلون عليه بأموالهم .. لا .. فقد كانوا مسرعين بإحضار ما عندهم ولا يتباطأون .. في إحدى الغزوات رغّب الرسول ﷺ في النفقة .. فقام أبو بكر وأتى بمال وفير .. وقام عمر فأتى بمال كذلك .. فقال عليه الصلاة والسلام : « **ما تركت لأهلك يا أبا بكر** » قال : تركت لهم الله ورسوله .. وقال لعمر : « **ما تركت لهم ؟** » قال : قسمت مالي نصفين فأتيت بنصفه وتركت لهم نصفه .

إن الدين عظيم الأثر في الإعداد للحروب .. فواجب أن نعتمد عليه ، ونهتم به ، ونربي الناس على فضائله .. واجب أن نمكن القرآن من أن يؤدي دوره في بناء الدولة كما تؤدي التوراة دورها في بناء إسرائيل .

وبعد .. فما هذا البلاء الذى حل بالعرب ، ونزل بالمسلمين ، حتى صاروا يتزاحمون على حفلات يعلن عنها المطربون والمطربات ، والراقصون والراقصات .. هل نسوا إخوانهم الذين قتلوا ، والذين شوهوا ، والذين فقدوا ؟ هل نسوا أنهم معرضون لهذا المصير ما دام العدو يحتل أرضهم ، ويقيم بينهم ؟!.

إننا فى حاجة إلى تربية إسلامية حتى تتوحد قلوبنا ومشاعرنا على منهج الرسول ﷺ الذى يقول : « **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » [أخرجه أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير] .. إننا فى حاجة إلى تربية إسلامية تحبب إلينا جهاد النفس ، وجهاد الأعداء حتى نعيش عيشة السعداء ، أو نموت ميتة الشهداء .

يا بنى العروبة والإسلام :

هذا الوقت ليس هو الوقت المناسب لإلغاء مادة الفتوة .. بل هو الوقت الذى يجب أن نتعلم فيه جميعاً كل وسائل القوة .

هذا الوقت ليس هو الوقت المناسب للعكوف على الملاهى .. بل هو الوقت الذى يجب أن نتوب فيه عن السيئات ونكف عن الشهوات .

هذا الوقت ليس هو الوقت المناسب لإقامة موائد يتكدس عليها الشاى والتورتة والتفاح . بل هو الوقت الذى يجب أن نقتصد فيه لنوفر ثمن السلاح .

يا بنى العروبة والإسلام :

تقشفوا وحافظوا على أنفسكم وأموالكم ، وادخروها ليوم لقاء عدوكم .. خذوا حذركم وأسلحتكم ، وجاهدوا الصهيونيين : ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين** ﴾ [٩ : ١٤] ، ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾ [٣٠ : ٤ ـ ٥] .

وختاماً أقول : لو أن (شوقى) بعث اليوم من قبره فماذا كان يقول ؟ أغلب الظن أنه كان ينشد :

والله مادون الجلاء ويومه   يوم تسميه العروبة عيداً

العدل .. العدل .. العدل

الحفاظ على قدسية العدالة وعلى صون كرامة الإنسان!!!

[نشر هذا المقال بمجلة الاعتصام عدد ذى القعدة سنة ١٣٨٧ هـ ـ الموافق فبراير سنة ١٩٦٨ م]

سبق أن كتبنا مقالات كثيرة تدعو إلى الحفاظ على قدسية العدالة ، وصون كرامة الإنسان ، والوقوف فى وجه الانحراف أياً كان مصدره .

ونعود اليوم فندعو من جديد إلى حماية هذه القدسية ، وإعادة بناء الوطن على أساس من الحب والحق ، والخير والأمن ، والحرية والكرامة .

وخدمة الدولة تكون بإبطال الباطل ، ونصرة الحق ، وإثابة المحسن ، وتأديب المسيء ، ورفع الظلم ، ونشر العدل .. وفى الأمثال : « **العدل أساس الملك** » ، « **لا قيام للباطل إلا فى غفلة الحق عنه** » ، « **الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل** » ، « **الظلم مرتعه وخيم** » .. فلابد أن نعود إلى الحق ، وندعم سلطانه .. ولا عجب فهو عماد الحكم ، وقوام الأمن ، ومبعث الاستقرار ، ومصدر الهناءة والألفة والارتباط ، والتعاون بين الحاكم والمحكوم ، وبين المحكومين بعضهم مع بعض .

إن الحق عظيم فى مبناه ومعناه .. يستمد قدسيته من الله عز وجل .. فهو سبحانه أول من تسمى بالحق .. قال تعالى : ﴿ **فذلكم الله ربكم الحق** ﴾ [١٠ : ٣٢] وقال تعالى : ﴿ **فتعالى الله الملك الحق** ﴾ [٢٠ : ١١٤] وهو سبحانه يلتزم الحق فى قوله .. قال تعالى : ﴿ **إن الحكم إلا لله يقص الحق** ﴾ [٦ : ٥٧] وقال تعالى : ﴿ **والله يقول الحق وهو يهدى السبيل** ﴾ [٣٣ : ٤] وكذلك يلتزمه فى دعوته .. قال تعالى : ﴿ **له دعوة الحق** ﴾ [١٣ : ١٤] ويلتزمه فى حكمه .. قال تعالى : ﴿ **والله يقضى بالحق** ﴾ [٤٠ : ٢٠] .

ولنعرف مدى تقديس الله للحق يَلْزَمُنا أن نعلم أن المولى سبحانه كشف لرسوله ﷺ الحقيقة ، وأبان له الحق فى قضية لم يكن للرسول ﷺ إطلاع عليها .. وكاد يجانب الصواب فى حكمه لولا أن حماه الله .. روى أن طعمة بن أبيرق أحد بنى ظفر سرق درعاً من جار له اسمه قتادة بن

النعمان فى جراب دقيق .. فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد ابن السمين رجل من اليهود ، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم .. فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودى فأخذوها .. فقال : دفعها إلى طعمة ، وشهد له ناس من اليهود .. فقالت بنو ظفر : انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ .. فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا : إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبُرِّىء اليهودى .. فَهَمَّ رسول الله ﷺ أن يفعل فنزل قول الله تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً * واستغفرِ الله إن الله كان غفوراً رحيماً * ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً * يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً * هأنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً * ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً * ومن يكسب خطيئة أو إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً * ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً * ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمَّت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شىء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾ [٤ : ١٠٥ - ١١٣] . إن المتهم فى هذه القضية يهودى من بين أولئك الذين شهد الله أنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا .. ولكنه برىء .. والرسول ﷺ كاد ينخدع بملابسات القضية وهى تثبت الجريمة على غير مرتكبها .. فهل يَدَعُ الله نبيه ﷺ يتورط فى حكم جائر استناداً إلى الظاهر فى زمن لا يزال الوحى يتنزل فيه ؟ لا .. فقد سارع جبريل بوحى من الله عز وجل يتلو على النبى ﷺ تسع آيات نزلت فى حق يهودى لم ينزل مثلها فى حق صحابى .

وتقديس الله للحق يوم القيامة ليس بأقل من تقديسه له فى الدنيا .. ولنتأمل هذه المحاكمة الأخروية .. ففيها تبرز دقة العدالة الإلهية فى كل مراحلها :

(أ) فى هذا اليوم يحاسب كل فرد على ما اجترحته يداه .. فلا يؤاخذ إنسان على جريرة غيره ، ولا يَحْمِل فى هذا اليوم أحد عن أحد قال تعالى : **﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى ﴾** [٣٥ : ١٨] وقال تعالى : **﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق ﴾** [٣١ : ٣٣] .

(ب) ويعطى الله الفرصة لعبادة كى يدافعوا عن أنفسهم فى حرية فلا يأمر بتعذيبهم قبل المحاكمة بناء على ما علم ـ وسبحانه لا تخفى عليه خافية ولا يجوز عليه سهو أو نسيان أو خطأ ـ ولا يؤاخذهم أخذاً بما سجلته الملائكة مع أنه مدون بالحق لا يتأتى فيه مطعن : **﴿ وإن عليكم لحافظين * كراماً كاتبين * يعلمون ما تفعلون ﴾** [٨٢ : ١٠ ـ ١٢] .. **﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾** [٤٥ : ٢٩] لا يأمر بمعاقبتهم على الفور استناداً إلى ما علم أو إلى ما كتب .. بل يحاكمهم ويسمح لهم بأن يدافعوا عن أنفسهم .. قال الله تعالى : **﴿ يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتُوفَّى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ﴾** [١٦ : ١١١] ولا يقف الكفار فى مجال الدفاع عند حد .. بل يأخذون الحرية إلى آخر مدى حتى إنهم ليطعنون من شدة الحيرة والدهشة فيما كتبته الملائكة ، ولا يرضون شهادتهم ، ويقسمون بالله يوم لقائه ووقت المحاكمة أنهم ما كانوا كافرين .. قال تعالى : **﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴾** [٦ : ٢٣] .

(جـ) ويرخى الله لهم العنان ، ويرتضى شهادة حواسهم وجوارحهم ، ويطلب إليها أن تتكلم بالحق : **﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون * يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين ﴾** [٢٤ : ٢٤ ـ ٢٥] .

(د) ولا ينظر الله إلى السيئات وحدها .. بل ينظر إلى الحسنات والسيئات جميعاً .. فلا يضيع عنده مثقال ذرة من خير أوشر .. قال تعالى : **﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا**

ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾ [١٨ : ٤٩] ، **﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾** [٢١ : ٤٧] .

(هـ) وبعد أن توزن الأعمال يصدر الحكم القضائى الربانى ملتزمـاً سبيل الحق دون شطط أو محاباة .. مع العلم بأنه سبحانه وتعالى لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه .. قال تعالى : **﴿ فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون * فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون * تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون * ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ﴾** [٢٣ : ١٠١ ـ ١٠٥] وقال سبحانه : **﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور * والله يقضى بالحق ﴾** [٤٠ : ١٩ ـ ٢٠]

هذه مراحل المحاكمة الربانية الأخروية تتجلى فيها تماماً العدالة الإلهية .. ولأمر ما تجد كل آية من الآيات السابقة مختومة بخاتم الحق ، ونفى الظلم .. وتأمّل معى قوله تعـالى فى المرحلة الأولى : **﴿ إن وعـد الله حق ﴾** [٣١ : ٣٣] وفى المرحلة الثانية : **﴿ وهم لا يظلمون ﴾** [١٦ : ١١١] وفى المرحلة الثالثة : **﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾** [٢٤ : ٢٥] وفى المرحلة الرابعة : **﴿ ونضع الموازين القسط ﴾** [٢١ : ٤٧] فالموازين مدموغة بدمغة القسط وهو الحق ، وسائر الأعمال توزن : **﴿ فلا تظلم نفس شيئاً ﴾** [٢١ : ٤٧] وفى المرحلة الأخيرة يقول : **﴿ والله يقضى بالحق ﴾** [٤٠ : ٢٠] .

نعم .. إن الحق هو أساس هذه المحاكمات وغايتها وظهارتها وبطانتها .. ولا عجب فقد قال تعالى فى حديث قدسى رواه مسلم عن أبى ذر : **« يا عبادى .. إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا »** .

لقد بدأ الله بنفسه ، فالتزم الحق فى قوله وفعله ، فى دعوته وحكمه .. ليفرض علينا أن نسلك سبيله .. فلا نتهرب منه ، ولا نحيد عنه .. وأول الناس تأثراً واستجابة لله فى دعوته إلى الحق ، وحضه على العدل هو رسول الله ﷺ ، وحسبنا أن نتأمل هذين الحديثين .

(أ) يروى أن يهودياً جاء إلى النبى ﷺ يتقاضاه ديناً فأغلظ له قائلاً : « إنكم يا بنى عبد مناف قوم مُطْل » فانتهره عمر رضى الله تعالى عنه وقال له : « أى عدو الله .. أتقول هذا لرسول الله ﷺ وتصنع به ما أرى ؟ فو الذى بعثه بالحق لولا ما أخاف فوته لسبقنى رأسك » فابتسم النبى ﷺ وقال : « **أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج منك يا عمر .. تأمرنى بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضى** » ثم قال : « **لقد بقى من أجله ثلاث** » وأمر ﷺ بأن يقضيه ماله ويزيد عشرين صاعاً لما روعه .. فكان هذا سبب إسلامه .. [أخرجه البيهقى وغيره عن ابن سلام ، كما فى شروح الشفاء ج ٢ ص ٢٦ ، ٢٧] .

ما أجمل هذا الحديث وما أروعه .. إنه يؤكد أن الدولة الإسلامية فى عهد نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام كانت تتكفل بحماية كل من يعيش فى ظلالها على اختلاف دياناتهم .. تتكفل بحماية دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، تتكفل بنشر الأمن والطمأنينة ، والعدل والحرية بين جميع أفراد الرعية .. فها هو ذا نبى الله عليه الصلاة والسلام يحمى دم هذا اليهودى وكرامته ، ويحمى ماله ، ويأمر له بدفع غرامة مالية جزاء إزعاج عمر له .

وتأمل معى أيها القارىء هذا الموقف الرائع لنبينا الأمين ﷺ الذى بعث بالحق رحمة للعالمين .. كيف يطلب من عمر الذى اهتدى قبل على يديه أن يزجى النصح إليه ، ليعلمنا أن نشجع غيرنا على نصحنا ، ونتقبل منهم النصح ولو كانوا من تلاميذنا وأتباعنا .

(ب) وقف ﷺ فى نهاية حياته ومرض وفاته على المنبر فقال : « **من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضى فليستقد منه ، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالى فليستقد منه .. لا يقولن رجل إنى أخشى الشحناء من قِبَل رسول الله ﷺ .. ألا وإن الشحناء ليست من طبيعتى ولا من شأنى .. ألا وإن أحبكم إلى من أخذ حقاً كان له أو حللنى فلقيت الله وأنا طيب النفس** » فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله .. إن لى عندك ثلاثة دراهم .. قال : « **أما إنا لا نكذب أحداً ولا نستحلفه .. فيم صارت لك عندى ؟** »

قال : تذكر يوم مر بك مسكين فأمرتنى أن أدفعها إليه ؟ قال : « **ادفعها إليه يا فضل** » [رواه أبو يعلى والطبراني] .

إن الرسول ﷺ ـ كما هو معروف للجميع ـ أكرم الناس خُلُقاً ، وأزكاهم نفساً ، وأطهرهم قلباً ، وأبعدهم عن البغى والعدوان .. فما عرف عنه أنه اعتدى على أحد فى عِرْضٍ أو نفس أو مال .. لكنه عليه الصلاة والسلام أراد قبل أن يخرج من الدنيا أن يبرىء ذمته ، وينصح أمته ، ويلقنها درساً لا تنساه مدى الحياة .. فأعلمها أنه وهو رسول الله يخشى أن يقابل مولاه ولأحد من أبناء رعيته حق فى زقبته .

ولما تقدم أحد الحاضرين إليه وطالبه بثلاثة دراهم كانت ديناً عليه .. سأله عليه الصلاة والسلام : فيم كانت لك عندى ؟ لم يك هذا تلكؤاً فى السداد .. ولكنه أراد أن يكشف للحاضرين سرها ، ويوضح لهم أمرها حتى لا يهلك أحد منهم بسوء الظن فيحسب أنه ﷺ أخذها بطريق غير مشروع ، ولغرض غير محمود .. فلما عرف الناس أنه أخذها بطريق سليم ، ولغرض كريم بادر عليه الصلاة والسلام بسدادها ، وسارع إلى دفعها :

وبهذا حمى عليه الصلاة والسلام ظهور الناس من أن تجلد ودماءهم من أن تراق ، وأعراضهم من أن تنتهك ، وأموالهم من أن تسلب ، وحقوقهم من أن يعتدى عليها .. وبهذا رفع راية العدل ، وأقام دعائم الأمن ، وقوض أركان الظلم ، وحمى الأمة من استبداد المستبدين ، وعبث العابثين ، وطمع الطامعين ، واستهتار المستهترين .. إن المجتمع الإسلامى الصحيح يضع نصب عينيه قوله تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى** ﴾ [١٦ : ٩٠] .

وبعد .. فليعلم الذين يسيئون استعمال سلطتهم ، ويظلمون الناس ، ويبغون فى الأرض بغير حق أنهم لا يَأْمَنُون غدرات الزمان ، وتقلبات الأيام ، وليذكروا على الدوام قول الشاعر الحكيم القديم :

لا يأمن الدهر ذو بغى ولو ملكاً جنوده ضاق عنها السهل والجبل

ليعلموا أن الظلم مرتعه وخيم ، وأنه على الباغى تدور الدوائر ، وأن الله عز وجل وعلا لا ينام ، وهو شديد الانتقام .. قال عليه الصلاة والسلام : « **اللهم من ولِىَ من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولِىَ**

من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به » [رواه مسلم] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « **إن الله يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** » [أخرجه البخارى ومسلم] .. وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : جاء رجل فقعد بين يدى رسول الله ﷺ فقال : إن لى مملوكين يكذبوننى ، ويخوننى ، ويعصوننى فأشتمهم وأضربهم .. فكيف أنا منهم .. فقال رسول الله ﷺ : « **إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك .. فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك ، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل** » . فتنحى الرجل وجعل يهتف ويبكى .. فقال له رسول الله ﷺ : « **أما تقرأ قول الله تبارك وتعالى :** ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾ [٢١ : ٤٧] فقال الرجل : يا رسول الله .. ما أجد لى ولهؤلاء خيراً من مفارقتهم أشهدك أنهم كلهم أحرار . [رواه أحمد والترمذى]

والتاريخ خير شاهد على أن الظالم عاقبته وخيمة ، ونهايته أليمة .. جاء فى خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٤٠٦ : كان ابن الزيات قد اتخذ تنوراً من حديد وأطراف مساميه المحدودة إلى داخله وهى قائمة مثل رءوس المسال ، وكان يعذب فيه أيام وزارته ، فكيفما انقلب المعذب أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير فى جسمه ، وإذا قال له أحد : ارحمنى أيها الوزير فيقول له : « **الرحمة خور فى الطبيعة** » فلما اعتقله المتوكل أمر بإدخاله فى التنور وقيده بخمسة عشر رطلاً من حديد ، فقال : يا أمير المؤمنين .. ارحمنى فقال له : « **الرحمة خور فى الطبيعة** » .

كذلك يروى أن ملكاً هدم بيت عجوز وأضافه إلى فناء قصره .. فلما عادت ورأت ما صنع ببيتها رفعت يديها إلى السماء وقالت : يارب غِبْتُ وأنت حاضر ، وظُلِمْتُ وأنت المعين الناصر .. فسمعها الملك فهزأ بها وسخر منها ، فلم يمض زمن طويل حتى خسف الله به وبداره الأرض ، فقال أحد الشعراء :

أتهزأ بالدعـــاء وتزدريـــه ... وما يدريك ما فعل الدعاء
سهام الليل لا تخطى ولكن ... لها أجل وللأجل انقضاء
وقد شاء الإله بما تراه ... فما للملك عندكم بقاء

فيا من اغتروا بمسالمة الزمان ، وحسبوا أنهم من غدره فى أمان .. عودوا إلى التاريخ وتصفحوه ، واقرأوا ما سجله وتأملوه ، ينبئكم أن الدهر قلب ، وسروره لا يدوم .

فى شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٨٦ ـ ٣٨٩ : أن المعتمد على الله محمد بن المعتضد كان ملكاً على الأندلس ، وكان بابه محط الرجال وكعبة الآمال ، حاربه يوسف بن تاشفين فغلبه وقهره وسجنه بأغمات .. فقال المعتمد بعد حبسه يصف الفارق بين يومه وأمسه :

تبدلت من ظل عز البنود   بذل الحديد وثقل القيود

ودخلت عليه بناته السجن فى يوم عيد ، وكُنَّ يغزلن للناس بالأجرة .. فرآهن فى أطمار رثة ، وحالة سيئة فصدعن قلبه وأنشد :

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً   فساءك العيد فى أغمات مأسوراً
ترى بناتك فى الأطمار جائعة   يغزلن للناس لا يملكن قطميراً
برزن نحوك للتسليم خاشعة   أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن فى الطين والأقدام حافية   كأنها لم تطأ مسكاً وكافوراً
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلاً   فردك الدهر منهياً ومأموراً
من بات بعدك فى دهر يسر به   فإنما بات بالأحلام مغروراً

ومن شعره :

قالت لقد هُنَّا هُنَا   مولاى أين جاهنا
قلت لها إلى هُنَا   صيرنا إلهنا

ودخل عليه وهو فى تلك الحال ولده أبو هاشم والقيود قد عضت بساقيه عض الأسود ، والتوت عليه التواء الأساور السود ، وهو لا يطيق إعمال قدم ، ولا يريق دمعاً إلا ممتزجاً بدم .. فلما رآه بكى وأنشد :

قيدى أما تعلمنى مسلماً   أبيت أن تشفق أو ترحما
دمى شراب لك واللحم قد   أكلته لا تنهش الأعظما
يبصرنى فيك أبو هاشم   فينثنى والقلب قد هشما
ارحم طفيلاً طائشاً لبه   لم يخش أن يأتيك مسترحما
وارحم أخيات له مثله   جرعتهن السم والعلقما

منهن من يفهم شيئاً فقد خفنا عليه للبكاء العمى
والغير لا يفهم شيئاً فما يفتح إلا للرضاع القما

تلك شواهد من التاريخ فيها عبرة لمن كان له قلب سليم ، وعقل حكيم .

وفى هذا المجال يروى أيضاً أن أحمد بن طولون كان فى أول عهده ظالماً باغياً .. فلما ساءت الأحوال ، وجبن العلماء عن نصحه ، اعترضته امرأة فى الطريق فقدمت له بطاقة كتبت فيها :

« ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ، وأُنْعِمَ عليكم ففسقتم ، ووردت إليكم الأرزاق فقطعتم .. هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة ، لا سيما من قلوب أجعتموها ، وأكباد أوجعتموها .. اعملوا ما شئتم فإنا صابرون ، وجوروا فإنا بالله مستجيرون ، واظلموا فإنا إلى الله متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

فلما قرأها هدى الله قلبه فعدل لوقته .

نسأل الله أن ينصرنا بالحق ، وينصر بنا الحق .. ونسأله لأنفسنا وأمتنا أن يجنبنا الأخطار والأشرار ، ويجملنا بأخلاق الأخيار ، وينزلنا منازل الأبرار .

* * *

الإسلام .. والمسلمون

لو التزم المسلمون دينهم لعاشوا أعزاء ولأصبحوا سادة العالم وقادة الأمم

[نشر هذا المقال فى ذى القعدة سنة ١٣٨٨ هـ
الموافق فبراير سنة ١٩٦٩ م]

الإسلام قوى لا يعتريه وهن ، ولا ينتابه ضعف ، كيف لا .. والقوة صفة لمن أوحى به ، ولمن دعا إليه ، ولسجله الذى يقوم عليه .

وهل أدل على قوة الله عز وجل الذى أوحى به من أن تقوم السماء والأرض بأمره ، ووفق حكمته .. قال تعالى : ﴿ **بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ [٢ : ١١٧] ، ﴿ **فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين * وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾ [٤٥ : ٣٦ - ٣٧] ، ﴿ **وما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز** ﴾ [٢٢ : ٧٤] ومهما عظم شأن الإنسان ، ونبه ذكره : ﴿ **فما له من قوة ولا ناصر** ﴾ [٨٦ : ١٠] .. وإنما يستمد قوته من مولاه : ﴿ **ما شاء الله لا قوة إلا بالله** ﴾ [١٨ : ٣٩] وحين ينسى الإنسان هذه الحقيقة ، ويجادل فيها يكون مستأهلاً لعذاب الله ، مستحقاً لغضبه ومقته .. كما حدثنا المولى عن عاد : ﴿ **فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون * فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون** ﴾ [٤١ : ١٥ - ١٦]

وكم لله من آيات تشهد بعظيم قوته ، وبالغ حكمته .

وحامل هذا الدين هو جبريل القوى الأمين قال تعالى : ﴿ **علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى** ﴾ [٥٣ : ٥ - ٧] وقال تعالى : ﴿ **إنه لقول رسول كريم * ذى قوة عند ذى العرش مكين * مطاع ثم أمين** ﴾ [٨١ : ١٩ - ٢١] .

ومُبَلِّغ هذا الدين إلى الناس هو النبى ﷺ ، القوى عقلاً وخلقاً ، العظيم شأناً ومقاماً .

وحسبه دليلاً على قوة عقله أن يكون الله هو الذى أعده ووهبه العلم والحكمة .. قال تعالى : ﴿ **وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾ [٤ : ١١٣] .

وحسبه دليلاً على قوة خلقه شهادة الله نفسه .. قال تعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ وحسبه تنويهاً بمكانته ، وعلو درجته قوله سبحانه : ﴿ **ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذى أنقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك** ﴾ [٩٤ : ١ - ٤] .

وسجل هذا الدين - وهو القرآن الكريم - أقوى ما يكون مبنى ومعنى ، ووسيلة ومرمى ، وأسلوباً وتأثيراً .. قال تعالى : ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾ [١١ : ١] وقال تعالى : ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله** ﴾ [٥٩ : ٢١] .

وحسب القرآن دليلاً على قوة مبناه أن يعجز البلغاء جميعاً عن أن يأتوا بمثله ، أو بمثل سورة من سوره .

قال تعالى : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾ [١٧ : ٨٨] وقال تعالى : ﴿ **وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ [٢ : ٢٣] .

هذا الإسلام نزل من ربٍّ قويٍّ على رسول قوى يحمله إليه ملك قوى بأسلوب قوى .. فهل يعقل بعد هذا أن يكون ضعيفاً غير ذى بال يخذله ربه المهيمن عليه ، ولا يسنده بقوة تحفظه من خلفه ومن بين يديه ؟! .

لا .. فقد تكفل الله تعالى بحفظه ، ووعد بنصره ، وتحقق وعد الله ولن يخلف الله وعده ، فبقى كتابه محفوظاً مرعياً ، متيناً قوياً ، يصرع الزمان ولا يصرعه الزمان ، يتغير الكون وما فيه ولا يتغير حرف فيه .. قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [١٥ : ٩] وقال تعالى : ﴿ **وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ [٤١ : ٤١ - ٤٢] ، وبقى هذا الدين مصوناً قوياً ينازل خصومه فيغلبهم بالحجج الباهرة ، وأدلة القاهرة ، ويرد كيدهم فى

نحورهم ، وسهامهم إلى صدورهم .. قال تعالى : ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذى أرسل رسوله بالهـدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ .

[٦١ : ٨ - ٩]

إن القوة من سمات هذا الدين البارزة .. فهو قوى فى عقائده .. فلست ترى فيه عقيدة واهية يعوزها الدليل ، أو ينقصها البرهان .. فعقائده التى جاء بها تهدى إليها الفطرة ، وتؤيدها الحجة ، وتثمر ثمرتها الطيبة فى سلوك الإنسان مع ربه ونفسه والمجتمع الذى يعيش فيه .. كذلك هو قوى فى تشاريعه ... سواء منها ما يربط العبد بربه ، وما يربطه بمجتمعه ، وإنك لتجد - أيها القارىء - تماسكاً عجيباً بين العقائد والتشاريع أبلغ ما يكون التماسك .. فالعقائد تهدى إلى التشاريع ، والتشاريع تهدى إلى العقائد .. وكلاهما يهدى إلى السلوك الحسن ، والعلم النافع ، والعمل الصالح ، وحب الخير ، والتزام الحق ، والتحلى بالفضيلة ، ومجاهدة النفس ، والوقوف أمام الأعداء ، ودفع شرهم وإبعاد خطرهم .

ولو التزم المسلمون تعاليم دينهم لكانوا أقوياء ولعاشوا أعزاء ، ولأصبحوا سادة للعالم ، وقادة للأمم .. قال تعالى : وهو أصدق القائلين : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً** ﴾ [٢٤ : ٥٥] .

فى عصر نزول القرآن كان العرب متخلفين متقاطعين ، لا رابطة تربطهم ، ولا جامعة تجمعهم .. لم يكن لهم دولة ، ولم يكن لديهم حكومة ، ولم يكن عندهم جيش ، وكانت أطراف بلادهم تابعة للفرس أو الرومان .. فما كاد الإسلام يبزغ فجره ، وينشق عموده ، ويسطع نوره حتى هدى قلوبهم ، وأصلح نفوسهم ، وأنار بصائرهم ، وجمع شتاتهم ، وأقام لهم دولة لها هيبة وصولة ، وأوجد لهم حكومة ترعى شئونهم ، وتقيم أودهم ، وتصلح مُعْوَجَّهم ، وأنشأ لهم جيشاً قوياً فتياً متسلحاً بالإيمان يطهر أطراف بلادهم من الفرس والرومان ، ويخرج من وراء الحدود لينشر دعوة الرحمن .. كانوا مع الله فكان الله معهم ، ونصروا دينه فأعزهم الله ونصرهم ، وخذل أعداءهم ، وما هى إلا فترة وجيزة حتى ملكوا البلاد ،

وسادوا العباد ، واستولوا على الأمصار ، فأمسوا ولهم الكلمة فى آسيا ، والسيطرة على أفريقيا ، والهيبة فى أوربا .. وهكذا استخلفهم الله فى أرضه ، وولاهم على خلقه ، ومنحهم الأمان لما قوى فى قلوبهم الإيمان ، وأنعم عليهم بنعمة السلام لما نفذوا تعاليم الإسلام .. فلما تجاهل المسلمون نصائح ربهم ، ووصايا دينهم ، وافتتنوا بالشرق وبالغرب ، وأخلفوا الوعد ، ونقضوا العهد زالت عنهم النعمة ، وحلت بهم النقمة وصدقت فيهم الآية الأخرى : **﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾** [٨ : ٥٣] **﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾** [١٦ : ١١٢] .

لقد انتصر الإسلام ، وبقى ينتصر حتى اليوم ، ولا يزال إلى اليوم قوياً يكلؤه الله بعنايته ، ويشمله برعايته .. وإذا كان المسلمون قد هانوا وضعفوا ففرّق بين الإسلام والمسلمين .. على أن المسلمين لم يضعفوا إلا بعد أن شذوا عن تعاليمه ، ونفروا من أحكامه .. لقد كانوا هم أيضاً بلاء على الإسلام ، وفتنة للذين كفروا .. ويرحم الله جمال الدين الأفغانى إذ يقول : « إذا أردنا أن ندعو أحرار أوربا إلى الإسلام وجب علينا أن نقنعهم أولاً بأننا لسنا مسلمين ... لأنهم ينظرون إلى الإسلام هكذا : ورفع كفيه وفرج بين أصابعهما ... فيرون أقواماً فشا فيهم الجهل والتخاذل ، والتواكل والذل ، والفرقة والضعف والفساد .. فيقولون : لو كان هذا الكتاب حقاً مصلحاً ما كان أتباعه كما نرى » .

أعود فأقول : إن الإسلام لا يزال يوالى انتصاراته على الرغم من خذلان « المسلمين » له ، ومؤامرات « الأعداء » ضده .. فالمستعمرون والصليبيون والصهيونيون يرصدون الأموال ، ويجندون الرجال ، ويرسمون الخطط لزحزحته عن أرضه ، وإزالته من مكانه .. ومع هذا لا يزال قائماً شامخاً راسخاً على الرغم من أن ظروفه معهم غير متكافئة لا يزال يعلن عن نفسه ، وينتصر على أعدائه بعقائده النيرة ، وتعاليمه الطاهرة ، وحججه الباهرة ، وبراهينه القاهرة .. لا يزال ينتصر على « المسلمين » الذين انتسبوا إليه ، وخرجوا عليه ، فأراهم آياته واضحة ، وشواهده صادقة ، حتى تأكد لديهم أنه دين حق ، وأن ما أخبر به صدق .

لقد وعدهم إن عملوا به وساروا وفق كتابه بالنصر المبين ، والأمن والتمكين ، وتحقق ذلك أيام سلفنا ، وفى كل عهد قويت فيه الروح الدينية .

وأوعدهم بالخذلان والهوان ، والخيبة والخسران إن شذوا عنه ، ونفروا منه .. وتحقق ذلك فى عصرنا ، وفى كل وقت « أهملت » فيه التعاليم الإسلامية .. وتأمل معى بلاد الإسلام ورجاله كيف انفرط عقدهم ، وتضاءل مجدهم ، وهوى نجمهم ، وتقطعت أوصالهم ، وتبخرت آمالهم حتى أخذوا يتواصون فيما بينهم بقول (معروف الرصافى) فى ديوانه ص ٤٤٨ .

يا قوم لا تتكلمــــــــوا ... إن الكـــــــلام محرم
نامـــوا ولا تستيقظـــوا ... ما فاز إلا النُّــــوَّمُ
وتأخروا عن كل مـــا ... يقضى بأن تتقدمــــوا
ودعــوا التفهــم جانبــاً ... فالخير ألا تفهمـــــوا
وتثبتـــوا فى جهلكـــم ... فالشر أن تتعلمــــوا
أمــا السيــاسة فاتركـــوا ... أبــداً وإلا تنــدمـــوا
إن السيـــاسة سرهــــا ... لو تعلمـــون مطـــلسم
وإذا أفضتم فى المبـــاح ... من الحديث فجمجمـــوا
والعـــدل لا تتـــوسموا ... والظلـــم لا تتجهمـــوا
من شاء منكـــم أن ... يعيش اليوم وهـو مكرم
فليـــمس لا سَمْـــعٌ ولا ... بَصرٌ لديــــه ولا فم
لا يستحـــق كرامـــة ... إلا الأصم الأبكـــــم
ودعـــوا السعـــادة إنما ... هى فى الحيـــاة توهـــم
فالعـــيش وهـــو منعـــم ... كالعـــيش وهــو مذمم
فارضوا بحكـــم الدهـــر ... مهمـا كان فيـه تحكـــم
وإذا ظلـــمتم فاضحكـــوا ... طربـــاً ولا تتظلمـــوا
وإذا أهـــنتم فاشكـــروا ... وإذا لطـــمتم فابسمـــوا
إن قيـــل هذا شهـــدكم ... مُرٌّ فقولـــوا علقـــم
أو قيــــل إن نهاركم ... ليـــل فقولـــوا مظلـــم
أو قيـــــل إن بلادكم ... « يا قـــوم » ســوف تقسم
فتحمَّـــدوا وتشكَّـــروا ... وترنَّحـــوا وترنَّمـــوا

نعم .. تأمل معى بلاد المسلمين ، وما آل إليه أمرها ، وما انتهى إليه وضعها .. لقد ساء حالها .. وتعرى نساؤها ، واحتلها أعداؤها ، ولا يزال أهلوها يحيون حياة اللهو والمجون ، يقتلون أوقاتهم فى الملاهى ، ويشغلون فراغهم على المقاهى ، ويتبارى نساؤهم فى العرى ، وأحدث الزينات ، وأجمل التسريحات .. فى الوقت الذى احتل فيه العدو ولا يزال يحتل أرضهم ، ونهب ولا يزال ينهب أموالهم ، وقتل ولا يزال يقتل إخوانهم ، وأهان ولا يزال يهين نساءهم .. لقد ناموا والعدو يقظ يهددهم .. نساء اليهود وصبيانهم أجادوا فنون الحروب .. وشبابنا وشيوخنا لم يتدربوا حتى على الهروب .

يرحم الله شاعر النيل حافظ إبراهيم إذ يقول :

وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم   هى[1] أمة تلهو وراع ينهب

ويرحمه الله إذ يقول :

متى أرى النيل لا تحلو موارده   لغير مرتهب لله مرتقب
لقد غدت مصر فى حال إذا ذكرت   جادت جفونى لها باللؤلؤ الرطب
كأننى عند ذكرى ما ألمَّ بها   قرم تردد بين الموت والهرب

وبعد .. فهل يفيق المسلمون من سكرتهم ، ويستيقظوا من نومتهم ، ويتبعون سبيل المؤمنين بعد أن جاءهم نذير إسرائيل على غرة ، وحل بهم على غفلة ؟.

تالله إن لم يسلكوا طريق الدين ، ويسيروا على الطريق المستقيم ، ويعتادوا حياة الجد التى لا تعرف العبث أو المجون ، والعرى والخلاعة ، ويتدربوا على أساليب الجهاد ، وفنون الحرب ، ويتعلموا ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، ويتجنبوا فتن الحياة .. تالله إن لم يفعلوا هذا ليمكُثُنَّ فى العذاب المهين : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**

---

(١) أصل البيت (هى أمة تلهو وشعب يلعب) وقد غيرته ليصف واقع المسلمين ، وليكون أكثر فائدة .. فالأمة تساوى الشعب .. والشعب يساوى الأمة .. ومن الظلم أن نُحمِّل على الأمة وحدها .. وإنما الذنب ذنب الراعى والرعية .

واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون * واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب * واذكروا إذ أنتم مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون * يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون * واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ [٨ : ٢٤ - ٢٨] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل * إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شىء قدير ﴾ [٩ : ٣٨ - ٣٩] .

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه .

* * *

على الإيمان .. قامت دولة الإسلام

باسم الإيمان يُدعم الله نظام الحكم فيوجب للحاكم الطاعة في غير معصية ويوجب عليه العدل في غير تفريط

[نشر هذا المقال فى ربيع الأول سنة ١٣٨٥ هـ
الموافق يولية سنة ١٩٦٥ م]

لكل نظام قاعدة يقوم عليها ، ودعامة يستند إليها .. وقاعدة النظام الإسلامى : الإيمان ، ودعامته : اليقين .. والإيمان واليقين محلهما القلب .. والقلب هو أمير البدن وراعيه .. وبصلاح الراعى تصلح الرعية ، وبفساده تفسد .. وإلى هذا يشير الحديث الذى أخرجه البخارى : « **ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله .. ألا وهى القلب** » .

نعم .. لقد كان الإيمان هو محور الدعوة الإصلاحية الإسلامية .. ومن أجل هذا اهتم الرسول ﷺ به منذ اللحظة الأولى ، وبقى يهتم به حتى اللحظة الأخيرة .. فدعا الناس إلى الإيمان بالله واليوم الآخر .. والإيمان بالله ترشد إليه الفطرة الإنسانية ، وتهدى إليه الآيات التكوينية والتنزيلية .. وبهذا الإيمان يرتبط المخلوق بالخالق ، وتقوى علاقته به ، ويستمد الهداية والقوة منه .. والإيمان باليوم الآخر تقتضيه عدالة الله ، وتستلزمه حكمته .. وبهذا الإيمان يسارع المؤمن إلى فعل المأمورات ، وترك المنهيات .. رغبة فى الثواب ، ورهبة من العقاب .. وأوامر الله ونواهيه ترمى إلى تزكية النفس ، وتوجيهها للخير ، وتنفيرها من الشر ، وربط الناس بعضهم مع بعض بروابط الأخوة والمحبة ، والتعاون على البر والتقوى .. لا على الإثم والعدوان !!.

على هذا الأساس بنيت الدعوة الإصلاحية الإسلامية .. فهى تسير على نور الإيمان ، وتهتدى بهدى الرحمن ، وتجرى على سنن القرآن ، وتنهج نهج الرسول عليه الصلاة والسلام .

ومن مزايا هذه الدعوة أنها تكرم الإنسان وتمجده .. فلا تهدر آدميته .. بل تشيد بها ، وتنوه بفضلها ، ولا تكبل عقله .. بل تطلقه وتعطى له

أكمل الحرية ، فتطلب منه أن يفكر قبل أن تطلب منه أن يؤمن ، وتنعى على الذين يهملون عقولهم ، ويغفلون حواسهم .. قال تعالى : ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ [٧ : ١٧٩] ومن مزايا هذه الدعوة أنها لا تفرض نفسها على الناس كرهاً ، ولا تقبل من أحد أن يؤمن بها عن تقليد أو إكراه .. قال تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ [١٢ : ١٠٨] وقال تعالى : ﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** ﴾ [٢ : ٢٥٦] وقال لرسوله ﷺ : ﴿ **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾ [١٠ : ٩٩] .

من مزايا هذه الدعوة أنها لا تهدد الناس فى أرزاقهم ، ولا فى حياتهم .. قال رسول الله ﷺ : « **ليس أحد ـ أو ليس شىء ـ أصبر على أذى سمعه من الله .. إنهم لَيَدَّعون له ولداً .. وإنه ليعافيهم ويرزقهم** » [أخرجه البخارى] .

من مزايا هذه الدعوة أنها لا ترتكز على الجاسوسية ، وتقرر مبدأ الحصانة المنزلية .. قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا** ﴾ [٤٩ : ١٢] وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها** ﴾ [٢٤ : ٢٧] .

من مزايا هذه الدعوة أنها تحارب الاستبداد ، وتكافح الظلم ، وتنشر الأمن ، وتطمئن المخالفين المسالمين كما تطمئن الموالين المسلمين ، وتحمى هؤلاء وهؤلاء ، وتعطيهم أوثق الضمانات على سلامة أنفسهم وأموالهم .. قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾ [٥ : ٨] وقال تعالى : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين • إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** ﴾ [٦٠ : ٨ ـ ٩] .

وتأمل معى أيها القارىء صدر هذه الآيات ، وقف وقفة تدبر عند صيغة النداء : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ تجد أن المولى يبنى على الإيمان كل مطالبه الإصلاحية .. وباسمه يدعونا إلى كل خير ، وينهانا عن كل شر ، ويدفعنا إلى ما فيه نفعنا وهناءتنا ، ويهيىء لنا حياة طيبة ، وعيشة راضية مرضية .

نعم .. تأمل هذا النداء لتعلم أن الإيمان يحيى موات القلوب ، ويرسم الخطة السليمة لإصلاح الفرد ، وبناء المجتمع ، ونهضة الأمة ، وعز الدولة ، وسعادة الحاكم والمحكوم .. فالإيمان الحق هو الركيزة التى يقوم عليها منهج الإصلاح الإسلامى فى كل ناحية من نواحى الحياة .

باسم الإيمان يدعم المولى العقيدة بالعبادة الخالصة :

يدعمها بالصلاة .. والصلاة لا ريب صلة بين العبد وربه .. قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾ [٢٢ : ٧٧] يدعمها بالصوم .. والصوم إمساك عن شهوتى البطن والفرج ، وهما أساس المخالفات ، وباب الموبقات .. قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ [٢ : ١٨٣] .

يدعمها بالزكاة .. والزكاة طهارة للنفس ، ونماء للمال ، ورباط للمجتمع ، وبرهان على صدق الإيمان .. قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد** ﴾ [٢ : ٢٦٧] .

يدعمها بالحج .. والحج عبادة مالية وبدنية ، فى ساحته يتلاقى المؤمنون ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله .. قال تعالى : ﴿ **ولله على الناس حِجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين** ﴾ [٣ : ٩٧] .

باسم الإيمان يدعم الله المجتمع فيرشد إلى عناصر الخير وينهى عن وسائل الشر :

يحترم الملكية المشروعة ويحميها ، ويوقف المعتدين عند حدهم .. قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً** ﴾ .

[٤ : ٢٩]

ويحذر من التعامل بالربا ، ويحث على الصدقة ، ويرغب فى الإحسان ، ليحارب الشح ، ويزكى النفوس ، وينمى فيها ميول الخير .. لا كما يزعم الجهلة المفسدون ، والشيوعيون الملحدون .. قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون * واتقوا النار التى أعدت للكافرين * وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون * وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين * الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾ [٣ : ١٣٠ - ١٣٤] .

ينهاهم عن كل ما يثير الخصام ، ويفسد الوئام .. قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** ﴾ .

[٤٩ : ١١]

باسم الإيمان يدعم الله نظام الحكم :

فيوجب للحاكم الطاعة فى غير معصية ، ويوجب عليه العدل فى غير تفريط ، يوفر للحاكم الهيبة ، ويوفر للمحكوم الأمن والرحمة ، يفرض على الراعى والرعية أن ينقادوا لشرعه ، ويذعنوا لحكمه ، ويتجنبوا الميل مع الهوى والغرض ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ [٤ : ٥٩] وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً** ﴾ .

[٤ : ١٣٥]

باسم الإيمان يدعم الله السلام على وجه الأرض ، ويثبت ركائز الأمن فى نواحى المعمورة .

فيدعوهم إلى الانتظام فى مبادئه ، والابتعاد عن سبيل الشيطان .. قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾ [٢ : ٢٠٨] .

باسم الإيمان يحارب النفاق :

فيحول مبادىء الإسلام الفاضلة إلى أعمال تتفق مع الأقوال .. قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾ [٦١ : ٢ - ٣] .

هذه دعوة الإسلام الإصلاحية ، وعليها قامت دولته ، وتربت أمته ، فقوانينهم نابعة من تعاليم دينهم ، وأخلاقهم مقتبسة من أخلاق نبيهم ﷺ ، ومعاملاتهم على وفق ما ورد فى كتاب ربهم سبحانه .. لا يحلون حراماً ، ولا يحرمون حلالاً ، ولا يُشَرِّعون مالم يأذن به الله، ولا يحيدون عن إرشاداته ووصاياه .

ولهذا عز أسلافنا الأوائل ، وسادوا واتحدوا ، وكانوا قوة يهابها الأعداء ، ويخشى بأسها الخصوم الألداء : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً** ﴾ [٢٤ : ٥٥] .

بهذه الدعوة حكم المسلمون من قَبْلُ أطراف المعمورة ، فأقاموا العدل ، ونشروا الرخاء ، ووطدوا السلام .. وحسبهم أن يشهد لهم خصومهم فيقول أحدهم وهو يوغستاف لوبون : (ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب) .

أيها المسلمون :

عودوا إلى الدين .. ففيه ما ينقذكم من الظلم ، ويخلصكم من الاستبداد ، ويحقق لكم الرخاء والرفاهية ..

عودوا إلى الدين .. ففيه ما ينصف الفقير ، ويثقف الجاهل ، ويعالج المريض ، ويسعف المحتاج ، ويغنى الدولة .

عودوا إلى الدين .. ففيه ما يوحد صفوفكم ، ويؤاخى بينكم ، ويقوى أمتكم ، ويحفّظ دولتكم .

عودوا إلى الدين ، ولا تنسوا قول الله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ [٥ : ٣] ، وقوله سبحانه : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ [٣ : ٨٥] .

* * *

لا سلام بدون القدس

أول خطبة جمعة ألقيت فى (المسجد الأقصى)

بعد أن استعاده صلاح الدين من أيدى الصليبيين

[نشر هذا المقال فى عدد رجب سنة ١٣٩٠ هـ الموافق سبتمبر ١٩٧٠ م]

القدس حاضرة فلسطين .. فيها المسجد الأقصى .. وهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، والمسجد الذى امتاز على بقية المساجد بأن النبى ﷺ هو الذى افتتحه ليلة الإسراء والمعراج بحضور حشد من الملائكة الأطهار ، والأنبياء الأخيار ، كما نطقت بذلك الأخبار والآثار ، والتقاء الأنبياء السابقين بنبينا محمد ﷺ فى هذا المكان الطاهر يوحى بتلاق الرسالات وتآزرها ، ويرمز إلى ما بين الرسل من صلات وثيقة ، وروابط أكيدة ، ويشعر بأن الإسلام لم يجىء ليهدم ما بناه رسل الله .. بل جاء معترفاً بها ، مكملاً لها ، مصدقاً لما قاله النبى ﷺ فى حديث رواه البخارى : **« مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه ، وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة .. فأنا تلك اللبنة ، وأنا خاتم النبيين »** .

وتأكيداً لهذا المعنى أعلن الإسلام وجوب الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه .. قال تعالى : **﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾** [٢ : ١٣٦] وقال تعالى : **﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾** [٢ : ٢٨٥] ، وقال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾** [٤ : ١٣٦] ، وقال تعالى : **﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون**

نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً * والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ [٤ : ١٥٠ – ١٥٢] .

هذه الآيات وأمثالها كثير فى القرآن ، تكشف بوضوح سعة أفق الإسلام ، ورحابة صدره ، وتطمئن أرباب الديانات السماوية ، وتنحى عنهم الخوف والقلق ، وتبدد كل ما يخشونه من جور أو انحراف .. لقد تسلم عمر بن الخطاب زمام القدس من البطريرك [صفرونيوس] سنة ١٧ هـ وفى ذلك اليوم حضر وقت الصلاة ، فصلى عمر خارج كنيسة القيامة وأبى أن يصلى داخلها .. فلما سئل فى ذلك قال : أخشى أن يحولها المسلمون إلى مسجد ويقولون : هنا صلى عمر .

لقد نعمت بلاد الشام كلها بعد الفتح الإسلامى بالحرية والهناءة ، والسلام والرخاء ، والعدالة والطمأنينة .. وإن أنس لا أنس أبا عبيدة بن الجراح وقد أمر كل وال خلفه على مدن الشام أن يرد إلى أهلها ما جمعه من الجزية والخراج ، لأنه أخذ ذلك مقابل حمايتهم ، وقد اشتغل عنهم بحروب الروم .. فى كتاب الخراج لأبى يوسف ص ١٣٩ مانصه : (كتب أبو عبيدة إلى كل وال ممن خلفه فى المدن التى صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما جُبى منهم من الجزية ، وكتب إليهم أن يقولوا لهم : (إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وأنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم .. وإنا لا نقدر على ذلك .. وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن على الشرط ، وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم .. فلما قالوا ذلك لهم ، وردوا عليهم الأموال التى جبوها منهم قالوا : ردكم الله علينا ، ونصركم عليهم .. فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئاً ، وأخذوا كل شىء بقى لنا) .

هذا الذى صنعه أبو عبيدة بن الجراح – وهو أمين هذه الأمة كما فى حديث رواه البخارى ومسلم – يدل دلالة واضحة على السماحة التى غرستها المدرسة الإسلامية فى نفوس تلامذتها ، ودعمتها فى قلوب أبنائها ..

ومن شدة حرص عثمان على رعاية أهل الذمة وإنصافهم كتب إلى عماله هذا الكتاب ونصه :

« أما بعد .. فإن الله خلق الخلق بالحق فلا يقبل إلا الحق .. خذوا الحق ، واعطوا الحق ، والأمانة الأمانة .. قوموا عليها .. لا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم .. الوفاء الوفاء .. لا تظلموا اليتيم ، ولا المُعَاهِد ، فإن الله خصم من ظلمهم » .

هذه الروح الطيبة سرت فى نفوس المسلمين فى الشام ، وفى كل بلد فتحوه .. ومن أجل هذا رحبت البلاد المفتوحة بحكمهم ، واستبشرت بقدومهم .. قال أرنولد فى كتابه : « الدعوة إلى الإسلام » :

(لقد سكنوا إلى الحكم الإسلامى وادعين مستبشرين ، كما استمر الحكام المسلمون على عادتهم القديمة من التسامح ، وسعة الصدر لأهل الملل الأخرى ، ولم يكن الحكم الإسلامى يفرق فى المعاملة بين المسيحيين واليهود .. فهؤلاء وهؤلاء فى نظره أرباب ديانة سماوية ، وكلاهما ينتمى إلى نبى عظيم .. والإسلام لا يفرق بين أنبياء الله ، ولم يطب لليهود العيش فى أى عهد من العهود كما طاب فى عهد الحكم الإسلامى .. لقد ذاقوا لذة العيش بعد أن فتح المسلمون بلاد الشام ، وأمنوا اضطهاد الحكام ، ولطالما تجرعوا كئوس الذل على أيدى الفاتحين على اختلاف جنسياتهم ومللهم .. ويسجل التاريخ أن اليهود بعد أن طردوا من أسبانيا سنة ١٤٩٢ م ذهب عدد كبير منهم إلى الشرق العربى .. وفى سنوات معدودة تجمع فى القدس مائة وثلاثون أسرة يهودية من أسبانيا حتى بلغ عددهم ١٥٠٠ نسمة ، وظلوا يتدفقون فراراً من جور الحكام وبطشهم حتى صاروا ١٣٠٠ أسرة سنة ١٥٢٢ م) . أ . هـ .

ومن العجيب أن السماحة التى سجلها التاريخ للمسلمين أيام حكمهم لم يظفروا بمثلها من المسيحيين ولا من اليهود عندما آلت الأمور إليهم .

فعندما زحف الصليبيون على القدس ، واستولوا عليها قتلوا من أهلها سبعين ألف نسمة ، لاذوا بالمسجد الأقصى ، وساحته الشريفة ، وحماه المبارك ، ورفعوا هذه البشرى إلى الباب أريان الثانى فى كتاب قالوا فيه :

(إذا أردت أن تعرف ما يجرى لأعدائنا فثق أنه فى معبد سليمان كانت خيلنا تغوص إلى ركبها فى بحر من دماء المسلمين) .

وعندما استولى اليهود على القدس أزالوا كثيراً من الآثار المقدسة ، وأحرقوا المسجد ، وارتكبوا من الجرائم الوحشية ما كان موضع استنكار من جميع الهيئات العالمية .. ولكن القدس تحت لواء الإسلام نعمت بنعمة السلام والاستقرار ، والعدل والطمأنينة ، والرخاء والرفاهية ، وبعد أن زال عنها الحكم الصليبى الظالم الغاشم وعادت إلى الحكم الإسلامى بقيادة صلاح الدين الحاكم العادل أبى أن يعامل خصومه بالمثل ، وضرب أروع الأمثال فى الرحمة والسماحة والكرم والفضل .

لقد عين صلاح الدين حراساً على كل شارع من شوارعها يمنعون وقوع أى عدوان على الغربيين فى النفس والمال ، ورأى بعض الفرنجة يحملون على ظهورهم أقاربهم المرضى والضعفاء فأمر بإعطائهم دواب تساعدهم ، ولم يأخذ من بطريركهم اللاتينى سوى فديته ، وسمح له بأن يأخذ كنوزه معه ، ولم يقتطع منها فدية الفقراء والعجزة ، وقال لمن أشار عليه بذلك :

« إنى أخاف الله وأخشى أن يحاسبنى لو غدرت بعهد أعطيته » .

إن الجرائم الفظيعة ، والمآسى الشنيعة التى ارتكبها الصليبيون لم تدفع المسلمين إلى الشطط فى معاملتهم مقابلة بالمثل .. بل أظهرت أصالة المعدن الإسلامى ، وتَرَفُّع المسلمين عن الدنايا ، وبغضهم للجور ، وكراهيتهم للعنف ، ورحم الله القائل :

حكمنا فكان العفو منا سجية   فلما حكمتم سال بالدم أبطح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا   وكل إناء بالذى فيه ينضح

إن من اللازم على المسلمين أن يكونوا فى هذه الأيام أشد يقظة وأكثر استعداداً وأعظم تماسكاً حتى يخلصوا القدس وسائر أرض العروبة من عدوان المعتدين .. والأمل كبير فى الله أن يرد كيد الأعداء فى نحورهم ، وسهامهم فى صدورهم ، ويُعلى كلمة الإسلام والمسلمين كما أعلاها من قبل أيام صلاح الدين .

ولا يفوتنى هنا أن أنقل إلى القراء طرفاً من الخطبة التى ألقاها (محمد بن على بن زكى الدين) أمام « صلاح الدين » فى أول جمعة صليت بالقدس بعد الفتح .. عسى الله أن يعيد علينا أمثال هذه الأيام المباركة ويمدنا بجنده ، ويؤيدنا بروح من عنده .. قال رحمه الله فى خطبته :

(الحمد لله معز الإسلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور بأمره ، ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكفار بمكره ، الذى قدر الأيام دولاً بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاء على عباده من ظله ، وأظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليقته فلا ينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فما يدافع .. أحمده على إظفاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ، ونصره لأنصاره ، وتطهير بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .. شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى ربه .. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، رافع الشك ، ومدحض الشرك ، وماحق الإفك ، الذى أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وعرج به منه إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، ما زاغ البصر وما طغى .. صلى الله عليه وعلى خليفته أبى بكر الصديق السابق إلى الإيمان ، وعلى الإيمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذى النورين الجامع للقرآن ، وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب مزلزل الشرك ومكسر الأوثان ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان .. أيها الناس : أبشروا برضوان الله الذى هو الغاية القصوى ، والدرجة العليا ، لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة ، وردها إلى مقرها من الإسلام بعد ابتذالها فى أيدى المشركين قريباً من مائة عام ، وتطهير هذا البيت الذى أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه ، وإماطة الشرك عن

طرقه ، بعد أن امتد عليها رواقه ، واستقر فيها رسمه ، ورفع قواعده بالتوحيد فإنه بنى عليه ، وشيد بنيانه بالتمجيد ، فإنه أسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه ، فهو موطن أبيكم إبراهيم ، ومعراج نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام ، وقبلتكم التى كنتم تصلون إليها فى ابتداء الإسلام ، وهو مقر الأنبياء ، ومقصد الأولياء ، ومدفن الرسل ، ومهبط الوحى ، ومنزلٌ به ينزل الأمر والنهى ، وهو فى الأرض المقدسة التى ذكرها الله فى كتابه المبين .. وهو البلد الذى بعث الله إليه عبده ورسوله وكلمته التى ألقاها إلى مريم وروحه عيسى الذى كرمه برسالته ، وشرفه بنبوته ، ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته فقال تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ﴾ [٤ : ١٧٢] كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ﴾ [٢٣ : ٩١] .. وهو أولى القبلتين ، وثانى المسجدين ، وثالث الحرمين ، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد الموطِنَيْنِ إلا عليه .. فلولا أنكم ممن اختاره الله من عباده ، واصطفاه من سكان بلاده لما خصكم بهذه الفضيلة التى لا يجاريكم فيها مجار ، ولا يباريكم فى شرفها مبار .. فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم الواقعات البدرية ، والعزمات الصديقية ، والفتوحات العمرية ، والجيوش العثمانية ، والفتكات العَلَوية .. جددتم للإسلام أيام القادسية ، والملاحم اليرموكية ، والمنازلات الخيبرية ، والهجمات الخالدية .. فجزاكم الله عن نبيه محمد ﷺ أفضل الجزاء ، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم فى مقارعة الأعداء ، وأثابكم الجنة فهى دار السعداء .. فاقْدُروا ـ رحمكم الله هذه النعمة حق قدرها ، وقوموا لله تعالى بواجب شكرها .. فله المنة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة ، وترشيحكم لهذه الخدمة .. فهذا هو الفتح الذى فتحت له أبواب السماء ، وتبلجت بأنواره وجوه الظلماء ، وابتهج به الملائكة المقربون ، وقرّ به عيناً الأنبياء والمرسلون .. أليس هو البيت الذى

ذكره الله فى كتابه ، ونص عليه فى محكم خطابه ، فقال تعالى : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ [١٧ : ١] أليس هو البيت الذى عظمته الملل ، وأثنت عليه الرسل ، وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة من الله عز وجل ؟ فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم ، واحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التى من تمسك بها سَلِم ، ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم ، واحذروا من اتباع الهوى ، ومواقعة الردى ، ورجوع القهقرى ، والنكول عن العدا ، وجاهدوا فى الله حق جهاده ، وبيعوا عباد الله أنفسكم فى رضاه إذ جعلكم من خير عباده ، وإياكم أن يستذلكم الشيطان ، وأن يتداخلكم الطغيان ، فيخيل إليكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد ، وخيولكم الجلاد ، وبجهادكم فى مواطن الجهاد .. لا والله .. ما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .. فاحذروا عباد الله بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل أن تقترفوا كبيراً من مناهيه ، وأن تأتوا عظيماً من معاصيه ، فتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، وكالذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين .. والجهاد الجهاد .. فهو من أفضل عباداتكم ، وأشرف عاداتكم ، انصروا الله ينصركم ، احفظوا الله يحفظكم ، اذكروا الله يذكركم .. أعاننا الله وإياكم على اتباع أوامره ، والازدجار بزواجره ، وأيدنا معشر المسلمين بنصر من عنده ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ﴾ [٣ : ١٦٠] .

هذه مقتطفات من خطبة ابن زكى الدين نقلناها من وفيات الأعيان ٣/٢٦٥ ـ ٣٦٩ نسأل الله تعالى أن يقوى جندنا ، ويعيد إلينا مجدنا ، ويعيننا على تطهير أرضنا من دنس الأعداء .. إنه سميع مجيب الدعاء .

* * *

مسئولية العلماء والأمراء

العلماء هم المسئولون عن النصح والتوجه
والأمراء هم المسئولون عن التنفيذ والتطبيق

[نشر هذا المقال فى مجلة الاعتصام عدد شوال سنة ١٣٨٨ الموافق يناير سنة ١٩٦٩ رداً على كلام الرئيس جمال عبد الناصر فى تعقيبه على كلام الشيخ عاشور عندما حمَّله مسئولية الاستخفاف بالدين ورداً على (عبد الرحمن النجار) فى بيانه الذى قال فيه (إن عاشور لا يحمل شهـادة) بإيعاز من (عبد العزيز كامل) نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف]

روى فى الأثر :

« صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس ..
وإذا فسدا فسد الناس : العلماء والأمراء » .

فى هذا الأثر إشارة إلى أثر العلماء والأمراء فى الأمة ، ومسئوليتهم عنها .. ولا عجب فالعالِمُ يقتدى الناس به ، ويقلدونه فى سلوكه .. إن خيراً فخير .. وإن شراً فشر .. والأمير يحمل الناس على ما يصلحهم أو ما يفسدهم .. ولا يمكن لهم — فى يسر — مخالفته ، ولا يسهل عليهم دو دون عناء — مقاومته .

وتقديم العلماء على الأمراء فى هذا الأثر مرده إلى أن العلماء هم المسئولون عن التوجيه .. والأمراء هم القائمون بالتنفيذ .. فإذا كان التوجيه خاطئاً كان التنفيذ خاطئاً .. فمسئولية العلماء ثقيلة ، وتبعاتهم باهظة .. إنهم مسئولون عن أنفسهم أن يلزموها طريق الهدى ، ويبعدوها عن مسالك الردى .. كذلك هم مسئولون عن غيرهم أن يرشدوهم إلى الخيرات ، وينهوهم عن المنكرات .. وعليهم أن يتحملوا فى سبيل ذلك ألوان المشقات .. فطريق الدعوة محفوف بالأخطار ، ملىء بالأشواك .. والداعى إلى الله لابد أن يوطن نفسه على تحمل ما يصيبه من أذى ، وما يلاقيه من عنت ، وما يعترضه من عقبات .. ولأمر ما نجد التوصية بالصبر تلى التوصية بالدعوة .. ففى القرآن الكريم يقول تعالى فى سورة لقمان :

﴿ وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ﴾ .

[٣١ : ١٧]

ويقول تعالى : ﴿ **والعصر * إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ [١٠٣ : ١ - ٣] .

وبقدر النَّصَب والعناء يكون الأجر والجزاء .. قال ﷺ : « **أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر** » [أخرجه أحمد وابن ماجة عن أبى أمامة] ، وقال ﷺ : « **سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله** » [أخرجه الحاكم عن جابر] .

إن الإسلام يحرص كل الحرص على إقامة حكم نظيف ينعم فيه الناس جميعاً بالمساواة والعدالة ، والأمن والسلامة ، والحق والكرامة ، والخير والفضيلة ، والرخاء والرفاهية .. ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان فى المجتمع علماء هداهم الله ويهدى بهم ، وأمراء استقاموا على الجادة ويقيمون غيرهم عليها ، يطبقون أحكام الله على أنفسهم وعلى من عداهم .. فإذا انحرف العلماء ، وحادوا عن الطريق السوى استحقوا أعظم المقت ، وأشد السخط .. قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾ [٦١ : ٢ - ٣] .

وإذا انحرف الأمراء ، وظلموا العباد ، ونشروا الفساد وجب على العلماء أن ينصحوا لله ورسوله ، ويتخذوا كل وسيلة لإنقاذ السفينة .. فإن آثروا دنياهم ، واشتغلوا بها عن أخراهم ، ولم يرقبوا مولاهم ـ حرمهم الله لذة الدنيا ، ومنعهم نعيم الآخرة ، وغضب على الأمة بأجمعها ، وأنزل بها عذابه ، وأذاقها عقابه ، وسلط عليها من يذلها ولا يرحمها .. قال ﷺ : « **لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر أو ليسلِّطَنَّ الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم** » [أخرجه البزار والطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة] .

إن من اللازم على العلماء أن يبلغوا أحكام الله ولا يكتموها ، وينشروا تعاليم الله ولا يخفوها .. قال تعالى : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾ [٢ : ١٥٩] .. عليهم أن يبذلوا جهدهم فى النصح ، ويقوموا بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويحتملوا الشدائد التى يلاقونها .. فمن قبل أوذى خير عباد الله .. وهو رسول الله ﷺ ، وسخر

منه المجرمون .. فلم يضعف ، ولم يتراجع .. بل ازداد صلابة فى الحق ، وثباتاً على المبدأ ، واستمر فى طريقه حتى كتب الله له النصر ، ومكن له من خصومه ، وأصبح اسمه مقروناً بالتمجيد ، وظل حتى عصرنا هذا يدوى على المنابر والمآذن فى كل دول العالم شرقاً وغرباً ، جنوباً وشمالاً .. فما من دولة إلا وفيها مسلمون يعتنقون دينه ، ويمجدون تعاليمه .. لقد ظلت ذكرى رسول الله ﷺ بعد مماته باقية ، وآثاره خالدة ، وتعاليمه حية تعلن عن قوتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

إن العلماء عليهم واجب الدعوة .. والأمراء عليهم واجب التنفيذ .. ولا ينبغى للعلماء أن يُلْقُوا العبء على الأمراء وحدهم ، كما لا ينبغى للأمراء أن يلقوا العبء على العلماء وحدهم .. لابد لكى تصلح الأمة ، وتسعد الدولة أن يتعاون العلماء والأمراء على البر والتقوى .. لا على الإثم والعدوان .. على الخير لا على الشر .. على الحق لا على الباطل .. على نشر الفضيلة لا على نشر الرذيلة .. لابد أن يتعاون العلماء والأمراء تعاوناً وثيقاً متواصلاً .. وإلقاء العبء على أحدهما دون الآخر تهرب من المسئولية ، وقصور فى الفهم ، وجهل بطبائع الناس ووسائل إصلاحهم .

إن الدعوة الإسلامية ـ كأية دعوة ـ لابد لها من دعاة ينشرونها بالكلمة الطيبة ، والقول الحسن ، وكل طرائق الإعلام والإعلان .. ولابد لها من حماة يحمونها ، ويدفعون عنها عبث العابثين ، واستهتار المستهترين .

نعم .. لابد لها من قوة تؤازرها ، وسلطة تحميها .. فالحق إذا ساندته القوة تحققت له الغلبة ، وكتب له النصر ، وعاش فى أمان من تحرشات الباطل .. فإذا كان أعزل من السلاح أمكن للباطل أن يكدر صفوه ، ويعكر جوه ، ويفتن الناس عنه بما له من وسائل الإغراء ، وأساليب الفتنة .

إن الدعوة إذا لم يكن معها سلطة تناصرها ضعف أثرها وسيرها ، وتعثرت فى طريقها .. مثل ما حدث للإسلام فى مكة وهو محكوم غير حاكم .. وكذلك السلطة إذا لم يكن معها هاد يرشدها ، وناصح يصحبها ضلت السبيل ، وأخطأت الهدف ، وعرَّضت السفينة للغرق .

هذه حقيقة يعترف بها كل منصف ، ومن ذا الذى يقول : إن

مكافحة الجرائم يكتفى فيها بالوعظ ؟!! .

هل يقاوم القتل بالوعظ وحده ؟! .

هل يقاوم الزنا بالوعظ وحده ؟! .

هل يقاوم الاختلاس الذى تمشى وتفشى بالوعظ وحده ؟! .

هل تقاوم الرشوة والسرقة بالوعظ وحده ؟! .

هل يقاوم التخريب بالوعظ وحده ؟! .

هل تقاوم المخدرات بالوعظ وحده ؟! لا .. بل تقاوم كلها بالوعظ وبالقانون الرادع ، والعقاب الصارم ، والحكم العادل النزيه الذى لا جور فيه ولا محاباة .. ولو حوربت الجرائم بالوعظ وحده لسخر المجرمون من الواعظين ، وبسطوا إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء ، وازداد المعتدون عدواناً ، وازداد الطغاة طغياناً ، ولتفشت الجرائم ، وانتشرت الرذائل ، وضاعت القيم ، وفسدت الذمم ، وانهارت الأخلاق ، وبانهيارها تنهار الأمم .. فلابد فى محاربة الجريمة من أن تتعاون السلطة مع الدعوة .. لابد أن يكون النصح معضداً بالقانون .. وحسبنا أن الله سبحانه وهو خالق النفوس ، وأعلم منا بما يصلحها لم يكتف بإنزال الكتب وإرسال الرسل .. بل شرع العقوبات ردعاً للمجرمين ، وقطعاً للجريمة ، ومنعاً للعدوى ، وعلاجاً للمرضى ، وإصلاحاً للمجتمع .

وكما نحارب الجرائم بالوعظ والقانون ينبغى أن يحارب الوعظ والقانون أيضاً العرى ، والمينى جيب ، والميكروجيب ، وكل ما تفتقت عنه المدنية الزائفة من مظاهر فاتنة ، تفتح أبواب العلاقات الجنسية المشبوهة ، وتوقع كثيراً من الناس فى أحضان الرذيلة والجريمة .. فما أكثر جرائم القتل والاختلاس التى تولدت عن هذه العلاقات .

إن محاربة الجرائم يجب أن يتضافر فيها القانون مع الوعاظ .. يجب أن نوصد بكل وسيلة منافذ الجريمة .. صغرت أم كبرت حتى نصون مجتمعنا ، ونحفظ كرامتنا ، ونحمى مقدساتنا .

ولا يجوز أن نحتج بأن الجريمة موجودة من عهد ولد آدم .. فهذا

لا يرفع عنا المسئولية ، ولا يبرر مهادنة الجريمة .. فمن أجل الجرائم والرذائل كان الوعظ .. وكان القانون .. وكانت المحاكم .. وكانت الشرطة : **﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز ﴾** [٥٧ : ٢٥] .

كذلك لا يجوز أن نقول : إن هذا واجب أولياء الأمور فى البيوت .. لأن السلطة من حقها أن تتدخل باسم القانون إذا قصر هؤلاء فى أداء واجبهم ، وتربية أبنائهم وبناتهم .. ولا تكتفى السلطة بإلقاء المسئولية على عاتق أولياء الأمور أو توجيه اللوم إليهم إذا اعتدى أولادهم على النفوس والأموال والأعراض ، وخربوا المنشآت ، واحترفوا الرذيلة ، واستمرأوا الجريمة .. بل تحولهم إلى المحاكمة ، وتنزل بهم صارم العقاب .

إن مطالب النفس الإنسانية لا تقل أهمية عن مطالبها البدنية .. فواجب أن تتعاون السلطة مع البيت .. مع المدرسة .. مع كل أجهزة الدولة فى سبيل تهيئتها وتوفيرها ، ورعايتها وحمايتها .. واجب أن يهتم ولى الأمر الخاص ، وولى الأمر العام بالقيم الأخلاقية والروحية كما يهتمون بالمطالب المعيشية .. بل واجب أن يعطى القيم الروحية اهتماماً أكبر فهى أجدر بالعناية ، وأحق بالرعاية .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

* * *

وليس بعامر بنيان قوم   إذا أخلاقهم كانت خراباً

كذلك لا يجوز أن نقول : إن هذا حجر على الحريات .. فنحن نقول للمرأة اصنعى ما شئت فى بيتك وأمام زوجك فهو أحق الناس بأن يستمتع بك .. ولكن لا نسمح لك بأن تكونى وسيلة فتنة ، وداعية رذيلة .. على أن الحرية ــ ككل فضيلة ــ وسط بين طرفين .. فإذا تجاوزت الحدود ، وخرجت على الآداب انقلبت إلى همجية .. وهل نطلق الحريات ــ قياساً على هذا ــ لمن يريدون أن يعبروا عن آرائهم بوسائل التدمير والتخريب ؟ إن مفهوم الحرية واحد لا يتبدل .. فحيث تكون المصلحة تكون الحرية .. وحيث توجد المضرة توجد الهمجية .. فلندع الجدال ، ولننظر إلى المسائل نظرة ذاتية ، ولنحكم

عليها بعد فحصها ، ولنُعَوِّد أنفسنا قول الحق ، والإذعان له .. فالرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل .

لنحارب البغى والرذيلة ، ولنتعقب كل منافذ الجريمة ، ولنعمل على تقويم المرأة وتقويم الرجل ، ولنبادر بإصلاح أجهزة الإعلام على اختلافها ، ولنسارع إلى تطهيرها من المخازى ، وتدعيمها بما يفيد حتى تتلاقى جميع الأجهزة فى تربية الأمة تربية صالحة نافعة ، تدفع عنها موجة التحلل التى أضرت بها ، وأضعفت همتها ، ومكنت عدوها من احتلالها بعد اختلالها وانحلالها .

من اللازم أن يعمل الأزهر وقسم الوعظ والإرشاد ووراءهما الصحافة والإذاعة والتليفزيون والمسرح والسينما ، وسائر أجهزة الدولة لغاية واحدة هى خدمة الأمة ، وتقويتها وإعزازها وحمايتها من كل عوامل الانهيار ، وإعدادها إعداداً كاملاً يمكنها من إجلاء الصهيونية وتأديب المعتدين .. نعم يجب أن تتعاون جميع الأجهزة من أجل بلوغ هذه الغاية .. ولا ينبغى أن تتعارض خطتها ووجهتها فتضيع الأمة ، ونقع نتيجة لهذا فى حيرة واضطراب .

لنسهم جميعاً فى عملية البناء .. بناء الإنسان ، ومطالب الإنسان روحياً ومادياً ، ولنضرب بشدة على يد كل هدام يهدم الفضائل الإنسانية ، كما نضرب على يد كل هدام يهدم المنشآت المادية .. فكلاهما مسىء ، وأولهما أشد ، وآخرهما ضحية لأولهما ، ولا يمكن أن يتم البناء إذا كان ما ينبيه قوم صالحون يهدمه نفر طالحون .

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه   إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟

إن الإصلاح يقتضى أن تتعاون جميعاً أجهزة الدولة فى طريق البناء والتعمير .. يقتضى أن تتعاون أجهزة الدعوة والإعلام جميعها مع السلطة الحاكمة فى إقامة العدل ، ونشر الفضيلة ، ومحاربة الرذيلة ، ومقاومة الشر والجريمة .

إن كل موظف فى الدولة حاكماً ومحكوماً يتقاضى (ماهية) ــ وإن تفاوت قدرها ــ على ما يسند إليه من عمل .. فواجب على كل موظف أن

يراقب مولاه ، ويقوم بواجبه ، ويخلص فى وظيفته ، ويدفع الشر عن أمته ، ويحميها مما يضرها ويؤذيها داخل البلاد أو خارجها من أبنائها أو من أعدائها .

فى كتاب السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٢ :

« يروى أن أبا مسلم الخولانى دخل على معاوية فقال : السلام عليك أيها الأجير .. فقالوا : قل : أيها الأمير .. فقال : السلام عليك أيها الأجير .. فقالوا : قل : أيها الأمير .. فقال معاوية : دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول .. فقال : إنما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها .. فإن أنت هنأت جرباها ، وداويت مرضاها ، وحبست أولاها على أخراها وفَّاك سيدها أجرك .. وإن أنت لم تهنأ جرباها ، ولم تداو مرضاها ، ولم تحبس أولاها على أخراها عاقبك سيدها » .

* * *

أما بعد .. فإن الأمة إذا أراد الله لها خيراً يسر لها علماء عاملين لا يألون جهداً فى أن ينصحوا ، وأمراء جادين لا يدخرون وسعاً فى أن يصلحوا .. وأعنى بالعلماء أولئك الذين أنار الله قلوبهم بالعلم ، وعقولهم بالفهم ، ونفوسهم بالخير .. كسلفنا الصالح الذين لم يكن لديهم مؤهلات وشهادات .. وأعنى بالأمراء أولئك الذين مكن الله لهم فى الأرض ، ومنحهم النفوذ ، ووهب لهم السلطة ، وحمَّلهم المسئولية .. يروى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ركب المنبر فنهى الناس عن أن يزيدوا فى المهر على أربعمائة درهم .. فردت عليه امرأة من قريش وقالت :

أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ [٤ : ٢٠] .

فرجع عمر عن رأيه فى الحال وقال : **« أخطأ عمر وأصابت امرأة »** .

ووقف عمر ذات يوم على المنبر فقال : أيها الناس اسمعوا .. فقال سلمان : والله لا نسمع .. والله لا نسمع .. فقال عمر : ولِمَ يا أبا عبد الله ؟ فقال : بالأمس جاءتك ثياب فقسمتها علينا ثوباً ثوباً .. واليوم تخطبنا فى ثوبين ؟! فقال عمر : أين عبد الله ؟ فقال : ها أنذا يا أمير

المؤمنين .. قال : الثوب الثانى ثوب من ؟ قال عبد الله بن عمر : لى .. قال : أسمعت يا سلمان ؟ قال : « نعم .. الآن فقل نسمع » .

موقف رائع من عمر .. لقد توقف عن الكلام ولم يستمر فيه ، واستمع لسلمان حتى أفرغ ما فى جعبته ، وبدأ بعد ذلك يدافع عن نفسه يزيل الشبهة ، ويقيم الحجة ، ولم يعد إلى الحديث حتى استيقن أن سلمان قد اقتنع بهذا الجواب .

وموقف رائع أيضاً من الحاضرين .. فقد أنصتوا فى أدب ، واستمعوا للحوار فى هدوء ، ولم يحاول واحد ـ بدافع التملق ـ أن يقاطع سلمان أو يهدده ، أو يبدى استياءه منه وهو يحاسب أمير على ثوب يرتديه .. لا .. فقد تركوا سلمان يحاسب حاكمهم فى حرية .. تركوه يستجوبه فى ملبسه : من أين لك هذا ؟ وانتهى الحوار على الفور فى صفاء بعد أن زالت الريبة ، وتجلت الحقيقة .. ولكنه لم ينته .. فقد ظل على ألسن الناس ، وسجلته كتب التاريخ بحروف من نور ، وبمداد الفخر .. ونِقْس (1) الإعجاب شاهداً لعمر وعهده بالحرية الكاملة ، والعدالة الشاملة .

ويذكر فى هذا المقام ما قاله الغزالى فى إحياء (علوم الدين) ج ٢ ص ٣٠١ : « روى أن معاوية رضى الله عنه حبس العطاء .. فقام إليه أبو مسلم الخولانى فقال له : يا معاوية إنه ليس من كدك ، ولا من كد أبيك ، ولا من كد أمك .. قال : فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم : مكانكم .. وغاب عن أعينهم ساعة .. ثم خرج عليهم وقد اغتسل .. فقال : إن أبا مسلم كلمنى بكلام أغضبنى .. وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **الغضب من الشيطان .. والشيطان خلق من النار .. وإنما تطفأ النار بالماء .. فإذا غضب أحدكم فليغتسل** » وإنى دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم .. إنه ليس من كدى ولا من كد أبى .. فهلموا إلى عطائكم .

كذلك يروى أن عمر بن هبيرة استدعى ـ وهو وال على العراق ـ الحسن البصرى ، ومحمد بن سيرين ، والشعبى ، واستشارهم فيما وُكِلَ

---

(1) نقس : بكسر النون وسكون القاف بعدها سين معناها مداد .

إليه من أمور الناس .. وفيها الحق والباطل .. فقال ابن سيرين والشعبى قولاً فيه تقية .. وقال الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه : « يا ابن هبيرة .. خف الله فى يزيد .. ولا تخف يزيد فى الله .. فإن الله يمنعك من يزيد .. وإن يزيد لن يمنعك من الله ، وسيزيلك الله عن سريرك فتخرج من سعة القصر ونوره وأبهته إلى ضيق القبر وظلمته ووحشته .. ثم لا ينجيك إلا عملك » .

ودخل (عمر بن عبيد) على المنصور فقرأ : ﴿ **والفجر * وليال عشر ...** ﴾ [٨٩ : ١ - ٢] إلى قول الله تعالى : ﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾ [٨٩ : ١٤] ثم قال : « اتق الله يا أمير المؤمنين .. فإن ببابك ناراً تتأجج ، ولديك أعوان لا يعملون بكتاب الله ولا بسنة رسوله ﷺ .. وأنت مسئول عما اجترحوا .. وليسوا مسئولين عما اجترحت .. فلا تُصْلَحُ دنياهم بفساد آخرتك .. أما والله لو علم عمالك أنه لا يرضيك منهم إلا العدل لتقرب به إليك من لا يريده .. اتق الله يا أمير المؤمنين .. فإن هؤلاء اتخذوك سُلَّماً إلى شهواتهم .. فأنت كالماسك بالقرون وغيرك يحلب .. وإن هؤلاء لن يغنوا عنك من الله شيئاً .. » .

رحم الله أمثال هؤلاء الذين أدوا واجبهم ، وأراحوا ضمائرهم ، ورضى الله عنهم وأرضاهم ، ووفقنا للاقتداء بهم .

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالرجال فلاح

* * *

علام اتحد العرب .. وبم سادوا ؟!!

التاريخ يجيبنا .. فهو راوى الصدق .. وشاهد العدل

[نشر هذا المقال فى « الاعتصام » عدد صفر سنة ١٣٨٥ هـ ـ الموافق يونيه سنة ١٩٦٥ م]

أرهف التاريخ أذنيه ، وأصغى بقلبه الواعى ، وظل يستمع إلى المسلمين عدة قرون .. فما مل حديثهم الشيق ، وما سئم أخبارهم .. على الرغم من طولها .. بل زاده ذلك شوقاً وتلهفاً .. فركض وراءهم فى عامة البلاد التى فتحوها يستقصى أخبارهم ، ويتعرف أسرارهم ، وسجل بحروف من نور ما حفظه لهم من مناقب ومآثر ، ومكارم ومفاخر ملأت آلاف المجلدات دون أن ينتهى منها .. وتسأله أيها القارىء : ماذا أخذ بيد المسلمين وسما بهم ؟ وماذا رفع من شأنهم وأعلى من قدرهم ؟ فيجيبك وهو شاهد عدل ، وراوٍ صادق ، إنهم توقلوا ذروة المجد ، وتسنموا فروع العز .. يوم عرفوا دينهم ، وأخذوا على أنفسهم العهد أن يعملوا به ، ويتمسكوا بما فيه .. يوم صفت نفوسهم ، وطهرت أرواحهم ، وقويت عقائدهم ، واستقامت أعمالهم ، وترابطت قلوبهم ، والتفوا حول كتاب الله .. يتدبرونه ، وينفذون ما فيه .. لا يحيدون عنه قيد أنملة ، ولا يشذون عنه مقدار شعرة .. يوم باعوا نفوسهم وأموالهم لله .. يجاهدون فى سبيله ، ويقدمون أرواحهم رخيصة من أجل دينه .. لا يقاتلون رياء ولا سمعة ، ولا يحاربون طمعاً فى غنيمة ، أو تعصباً لقبيلة ، أو تحت راية عمية جاهلية .. بل كانوا يحاربون إعلاء لكلمة الله ، وإعزازاً للإنسانية التى كرمها الله .. لقد سمت نفوسهم فلم يمتلكها إلا الله الذى خلق الخلائق وملكها ، ودبرها وأحسن تدبيرها ، وقام عليها وأبدع نظامها .. سمت نفوسهم وعزت فلم يقبلوا لأحد غير الله أن يتحكم فيها ، أو يستبد بها ، أو يوجهها حسب هواه .. سمت نفوسهم وعزت فلم يذلوها إلا حيث يسمعون دعاء الله .

نعم .. لقد كان صوت القرآن هو الصوت الذى تجمع حوله عرب

الأمس ، فتأدبوا عند تلاوته ، وخشعوا فى حضرته ، وبكوا عند استماعه ، وتأثروا بسماعه ، وبقيت كلمات القرآن مرتسمة على صفحات قلوبهم ما عاشوا .. عليها قامت وحدتهم ، وانبنت دولتهم ، وتماسكت أمتهم .. وصدق الله العظيم إذ يقول مذكراً لهم وممتناً عليهم : **﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾** [٣ : ١٠٣] .

وكان من فضل الله تعالى على أمة العرب أن يبعث الرسول ﷺ من بينهم ، وأن ينزل القرآن بلسانهم ، وأن يُعِدَّهم لزعامة العالم ، فاجتث من نفوسهم بذور العصبية الجاهلية ، وأحل محلها بذور الأخوة الإسلامية ، والرابطة الإنسانية .. قال تعالى : **﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾** . [٤٩ : ١٣]

نداء من الله .. لا يخص العرب وحدهم .. بل يشمل الناس جميعاً .. وما كان يمكن أن يرعى الله بعض خلقه دون بعض .. هذا النداء الإلهى .. أصغى إليه العرب وتأملوه ، وفهموه ووعوه ، وعرفوا منه أن هذا الكتاب جاء بدعوة عامة تنشل الإنسانية – أياً كان عنصرها – من وهدتها ، وتنقذها – أياً كان وطنها – من ورطتها ، وتربط بين أفرادها – على اختلاف لغاتهم وظروفهم ، وحالتهم وبيئاتهم – برباط أخوى مقدس لُحْمَتُهُ الإيمان وسُداه العمل الصالح .. هذا النداء الإلهى أصاخ إليه غير العرب كما أصاخ إليه العرب .. فتملكهم الإعجاب به ، وعظم فى قرارتهم ما يرمى إليه من تكريم الإنسانية ، وإعزاز النفوس البشرية ، وتقوية الروابط الأخوية .. فخفُّوا سراعاً مجيبين دعاءه ، ملبين نداءه ، شاكرين للعرب ما بذلوه من جهود فى نشر هذه الدعوة الفاضلة ، وما قدموه من تضحيات فى سبيلها ، وأحلوهم فى بلادهم مكان الصدارة ، وأقعدوهم مقاعد العزة والسيادة .

نعم .. لقد قدرت الأمم الأخرى دعوة القرآن حق قدرها ، وتأثروا بها غاية التأثر .. ولهذا سارعوا إلى تعلم لغته ، وتفهم قواعدها ، ومعرفة أسرارها .. ليستعينوا بذلك على كشف كنوز القرآن ، والوقوف على

عجائبه وغرائبه ، وأدى بهم هذا إلى أن برزوا فى كل علم ، وسبقوا فى كل فن ، وأصبحوا أئمة يقتدى بهم ، ويسترشد بآرائهم .. ففى التفسير نبغ النيسابورى ، والرازى ، وغيرهم .. وفى الحديث سبق مؤلفو الكتب الستة : البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وأبو داود ، وابن ماجة .. وفى البلاغة تصدر الجرجانى ، والتفتازانى ، والسكاكى .

فى هذه العلوم .. وفى علوم أخرى لغوية ودينية وطبية نبغ نوابغ كانوا فى الأصل من سلالة أعجمية .. لكنهم بفضل تأثير القرآن فيهم انخرطوا فى مسلك العرب ، وانتظموا فى عقدهم ، واصطبغوا بصبغتهم .. وفى هذا الوقت بالذات لم تبد حاجة إلى ترجمة القرآن .. لأن تعاليمه كانت غالبة ، ووصاياه كانت نافذة .. فانتقل الناس إلى لغة القرآن بدلاً من أن ينتقل القرآن إلى لغتهم .. كل هذا تم يوم وجد القرآن دعاة أقوياء يبشرون بدعوته ، ويتفانون فى نشره وحمايته ، ويبذلون النفس والنفيس فى توطيد دولته .. ومن عجب أن أكثر بلاد هؤلاء الأفذاذ تعيش اليوم خلف ستار حديدى فى ظل الحكم الروسى الشيوعى .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (١) .

لقد كانت معجزة القرآن البارزة أنه أحيا أمة العرب بعد موات ، ووحدهم بعد شتات ، وألف بين قلوبهم فأصبحوا ـ بفضل تعاليمه ـ أمة بعد أن كانوا قبائل .. بل بعد أن تمزق شمل الأسرة الواحدة تبعاً لمزاعم جاهلية ، ومخاوف شيطانية : ﴿ **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون** ﴾ [١٦ : ٥٨ ـ ٥٩] .

كانت معجزة القرآن البارزة أنه أوجد لأمثال هؤلاء دولة واضحة المعالم .. لها نظامها ودستورها ، وقانونها وجيشها وحكومتها ، ومكن لهم حتى صاروا سادة الدنيا وملوك العالمين .

---

(١) منذ عام ١٩٩١ بدأ تفكك الاتحاد السوفيتى واستقلت دوله التى كانت ترزح تحت نير الاستعباد والإذلال واستغلال الثروات أكثر من سبعين عاماً ، وفتحت المساجد ، وتداولت الشعوب المسلمة المصاحف الشريفة وكتب الفقه والتفسير والسيرة وتعليم العربية وبدأت البعوث تتوجه إلى السعودية وإلى الأزهر فى مصر وانخرط الطلبة المسلمون فى الكليات والمعاهد الإسلامية ، وعادت هذه الشعوب إلى أصالتها وإلى سابق عهدها بالإسلام .. دين الفطرة .. فطرة الله التى فطر الناس عليها .

هذه هى دعوة القرآن ، وتلك آثارها ونتائجها .. لقد مات الرسول ﷺ .. ولكن رسالته لم تمت ، ودعوته لم تنته .. ومرجع هذا إلى كتاب الله الخالد ، وتعاليمه الباقية : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ .

[١٥ : ٩]

لقد بقى هذا القرآن ، وبقيت قوته كامنة فيه ، لم يؤثر عليها الزمن .. وإذا كان المسلمون اليوم قد ضعف أثر القرآن فيهم فذلك مرده إلى عزوفهم عنه بفعل التربية الاستعمارية التى بلوا بها منذ عهد طويل .. فلو عادوا إليه ، وطبقوا أحكامه ، ونفذوا وصاياه ، لأنفوا وقد جعلهم الله سادة العالمين أن يقفوا موقف المتسولين ، يولون وجوههم نحو المشرق تارة ، ويولونها نحو المغرب تارة أخرى .. لقد نسى هؤلاء أو تناسوا قول الله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ [٥ : ٣]

إن القرآن هو الذى جمع أشتات العرب ووحدهم ، وقواهم وأسعدهم .. وفى أيام الرسول ﷺ .. وفى عهد سلفنا الصالح لم يجتمع العرب على مغنية تطربهم ، ولا فنانة تشدو لهم ، وترقص أمامهم .. فقد أراد الله أن تنشأ هذه الأمة على الفضيلة ، وتتربى على الكرامة .. أراد الله تعالى أن تعرف هذه الأمة أن لها رسالة جادة تنأى بها عن اللهو ، وتسموا بها عن المجون ، وترتفع بها إلى مستوى القيادة لأمم العالم .

والعجيب أن التاريخ يحدثنا أن أبا جهل ــ قبل معركة بدر ــ أرسل إليه أبو سفيان يقول له ولمن خرج معه : (إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورحالكم فقد نجاها الله فارجعوا) . فقال أبو جهل .. واسمه الحكم ابن هشام : « والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدراً فنقيم عليه ثلاثاً فتنحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ــ أى الجوارى المغنيات ــ وتسمع بنا العرب ، وبمسيرتنا وجمعنا .. فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها » .. ففعلوا .. ولكن الله تعالى أراد أن يرينا عاقبة اللهو والمجون ، والغرور والفجور .. فما كاد ينتهى أبو جهل من حفلته الماجنة حتى بدأت المعركة ، وحمى الوطيس ، وأقبل المسلمون على الكفار يقتلونهم ويأسرونهم .. وراح أبو جهل ضحية آثامه ، وخر على الأرض صريعاً بيد

غلامين صغيرين نشآ على الإسلام ، ورضعا من ثديه ، وتغذيا بلبانه .. ونترك المجال لعبد الرحمن بن عوف أحد أعلام الصحابة يحدثنا .. ففى حديثه طلاوة لا يمكن أن نبلغها .. قال رضى الله تعالى عنه :

بينما أنا واقف فى الصف يوم بدر نظرت عن يمينى وعن شمالى فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما ، تمنيت أن أكون بين أصلح منهما ، فغمزنى أحدهما فقال : يا عم .. هل تعرف أبا جهل ؟ قلت : نعم .. ما حاجتك إليه يا ابن أخى ؟ قال : أُخبِرْتُ أنه يسب رسول الله ﷺ .. والذى نفسى بيده لئن رأيته فلن يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا .. فتعجبت لذلك .. فغمزنى الآخر فقال لى مثلها .. فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل يجول فى الناس فقلت : ألا إن هذا صاحبكما الذى سألتمانى .. فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه .. ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه : فقال ﷺ : « أيكما قتله ؟ » قال كل واحد منهما : أنا قتلته .. قال ﷺ : « هل مسحتما سيفيكما ؟ » قالا : لا .. فنظر فى السيفين فقال ﷺ : « كلاكما قتله » .

[أخرجه البخارى]

هذا أسلوب أبى جهل ومن على شاكلته .. وذاك أسلوب محمد ﷺ ومن على ملته .. أسلوب أبى جهل أسلوب ماجن فاجر ينتهى بالخذلان والهزيمة .. وأسلوب محمد ﷺ أسلوب جاد كريم ينتهى بالنصر والغنيمة .

لقد ربى الرسول ﷺ أصحابه على مبادىء القرآن : **﴿ والسماء ذات الرجع * والأرض ذات الصدع * إنه لقول فصل * وما هو بالهزل ﴾** [٨٦ : ١١ - ١٤] **رباهم على الجد والكد .. على الكفاح والنضال .. على الفداء والتضحية .. على الإيمان واليقين .. على الخلق والفضيلة .. رباهم ليكونوا أساتذة العالم فى حمل المسئوليات ، والنهوض بالتبعات ، والشعور والقيام بالواجبات .. رباهم ليتسلموا زمام البشرية ، ويأخذوا بيدها حتى تنعم بحياة هادئة هانئة قوامها العدل والرحمة ، والسلام والرفاهية ، والعزة والكرامة .**

ولا تعجب بعد ذلك ـ أيها القارىء ـ إذا رأيت الواحد منهم يغلب عشرة ممن عداهم : **﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ﴾** . [٨ : ٦٥]

لقد وقفوا فى هذه المعركة موقف الرجولة والبطولة فلم يفت فى عضدهم أن وجدوا أنفسهم قلة أمام عدو كثير العدد ، وافر العدد .. بل وقفوا بما لديهم من إيمان أمام عدوهم فى الميدان يجاهدونه بالرماح والسنان .. وهنا نقف قليلاً عند هذا المشهد لنعرف روح أصحاب رسول الله ﷺ فى هذه الغزوة .

استشار الرسول ﷺ أصحابه فى النفير بعد أن نجت العير .. فقال المقداد :

> **« يا رسول الله .. امض لما أمرك الله .. فوالله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون .. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .. والله لو سرْت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » .**

وقام بعده سعد بن معاذ فقال :

> **« يا رسول الله .. لقد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهودنا .. فامض لما أمرك الله .. فوالذى بعثك بالحق .. لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك .. وما نكره أن تلقى العدو بنا غداً .. إنا لصُبُرٌ فى الحرب ، صُدُقٌ عند اللقاء .. ولعل الله يريك منا ما تقر به عينيك .. فسر على بركة الله » .**

هذه روحهم .. روح ثلثمائة رجل ليست فى أيديهم عُدَّة .. أمام الف بيدهم العدة والعتاد .. إنها روح ملتهبة أذكاها الإيمان ، وأشعلها شعور مرهف بالمسئولية تجاه هذا الدين .. أما روح الكفار .. فهى روح حطمها الكفر ، وأفناها اللهو .. ولا عجب إذا انتهت المعركة بنصر ساحق أحرزه المؤمنون ، وخذلان مبين حازه الكافرون .. وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ۝ إذ تقول

للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين * وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم * ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ﴾ [٣ : ١٢٣ – ١٢٧] .

لقد كان لهزيمة الكفار المنكرة ، ونهايتهم المحزنة أثر مرير فى نفوسهم ، فحرموا على أنفسهم اللهو ، وتعاقدوا على أن ينصرفوا عن حياة المجون ، ولا يتطيبوا ، ولا يقربوا النساء حتى ينفضوا غبار الذل ، ويمسحوا عار الهزيمة عن جبينهم .. هكذا فعل العرب بحكم جاهليتهم قبل أن يدينوا بحكم الإسلام .

واليوم ما بالنا نلهو ونطرب ، ونمرح ونلعب .. وفلسطين وهى قلب العروبة النابض .. وسيناء .. والعريش .. والجولان .. قد سلبهما اليهود منا قهراً عنا .. إن روح الإسلام .. بل نخوة العروبة تأبيان على ذى النفوس الأبية أن تسترسل فى شهواتها ، وتتمادى فى ملذاتها ، وتغفل عما سلبه اليهود من أرضنا ، وما اغتصبوه من بلادنا .

أيها المسلمون :

عودوا إلى دينكم ، وارجعوا إلى ربكم .. **﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾** [٣ : ١٠٣] **﴿ عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون ﴾** [٧ : ١٢٩] .

أيها العرب :

عودوا إلى الإسلام ، وتمسكوا بكتابه ، وتأدبوا بآدابه يَعُدْ إليكم مجدكم الغابر وتراثكم السليب ، ووطنكم المغصوب .. وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير ، وهدانا جميعاً سواء السبيل .

* * *

رجاء إلى حكومة عبد الناصر بشأن السلفيات الربوية

[نشر هذا المقال فى مجلة الاعتصام عدد شعبان سنة ١٣٨٨ هـ الموافق نوفمبر سنة ١٩٦٨ م]

فى خطاب ٢٣ يولية سنة ١٩٦١ قال الرئيس جمال عبد الناصر :

« كيف نقيم المجتمع النظيف ومجتمعنا قائم على الربا .. كلنا نكره الربا .. ونكره الفائدة .. ونعرف أنها حرام .. لكن اتخلقنا لقينا فيه ربا فى بلدنا .. بنجرب نلغى الربا فى بنك التسليف .. حنسلف الفلاحين بدون فايدة عايزين نقضى على الربا » .

هذا ما قاله الرئيس منذ سنوات .. وقد أبان فيه حرمة الربا مستنيراً بقوله ﷺ : **« البر ما سَكَنَت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ، ولم يطمئن إليه القلب .. وإن أفتاك المفتون »** [أخرجه أحمد عن أبى ثعلبة] .

وعقب هذا التصريح سارعت الدولة إلى تطبيق هذا القرار .. ولكنها تراجعت عنه فأعادت الفائدة على الفلاحين بنسبة تبلغ ٧٪ ومنذ أسابيع سمحت الحكومة لأفراد القوى العاملة بقرض ما يساوى مرتب شهرين بفائدة ٣٫٥٪ يسدد على سنتين .. وقد حصل إقبال عظيم على هذه السلفة حتى أن موظفى البنوك أصيبوا بإعياء من شدة العمل ، وأغمى على خمسة منهم فى بنك مصر (المعادى) كما فى جمهورية ٨ أكتوبر ١٩٦٨ ص ٣ — ويدل هـذا الخبر على الحاجة الشديدة التى مست غالبية الشعب .. ورأيى — كعالم من علماء الإسلام — أن تنفذ بقوة وحزم مستعينين بالله ما قاله الرئيس فى خطابه الذى أشرنا إليه ، فتقرض الحكومة الفلاحين والقوى العاملة قرضاً حسناً بدون فائدة ذلك لأن :

(أ) لأن هذا حكم الله : **﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾** [٣٣ : ٣٦] .

(ب) لأن هذا تصريح الرئيس والشعب مقتنع به ، وفى حاجة ماسة ، ولا يزال يؤمل وينتظر تنفيذه .

(جـ) إن الذى يقترض ويدفع الفائدة هو المكروب ذو الأنة من الفلاحين والعمال .. وقد أعلن الرئيس جمال فى جميع خطبه أن الثورة قامت لمصلحتهم ، وتخفيف العبء عن كاهلهم .

(د) أن الحكومة اعتادت من قبل أن تمنح قوى العاملين منحة ، وقد تنازلوا عنها تقديراً لظروف الدولة ، فتنازل الحكومة عن الفائدة يعد رداً كريماً على هذا الشعب ، وتخفيفاً عنه فى وقت اشتدت فيه وطأة الغلاء ، وزادت فيه تكاليف المعيشة .. وبهذا ينال الشعب من الحكومة بدل منحة تعينه ، وتوثق الروابط بينها وبينه .

(هـ) أن الحكومة بكفها عن استلام الفائدة تساعد فى كف يد العمال والموظفين من التلاعب بأموال الدولة واختلاسها ، فيتوفر بطريق الأمانة ما كان يذهب بدداً بطريق الخيانة .

هذا هو رأيى أعلنه ويدفعنى إلى إعلانه :

١ ـ أننا فى هذه الظروف العصيبة يجب ألا يكتم أحد منا نصيحة يعتقد أنها تعود بالنفع والخير على الأمة ، وتفتح علينا رحمة الله ، وتمنع نقمته .

٢ ـ أنه يجب على العلماء خاصة أن يتلاحموا مع الشعب والجيش والحكومة ، ويقوموا بواجبهم كما أوجب الله عليهم .. قال تعالى : **﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾** [٢ : ١٥٩] .

٣ ـ أن هذه الفائدة رباً محرماً تؤخذ من مستدين ذى حاجة ، وقد حرمها الله رحمة منه بعباده .. وليس هناك عالم يرجو الله ويخشى عقابه يفتى

بإباحتها ، ولا ضرورة تدعو إليها .. فمن الممكن أن توفر هذه المبالغ ـ التى تتجمع عن طريق حرام ـ من طرق حلال بإثارة بواعث الخير فى القلوب ترغيباً وترهيباً بآيات الله عز وجل ، وأحاديث رسوله ﷺ ، وبأن نحارب الإسراف والاختلاس .. وإذا اشتدت الحاجة أمكن أن نحقق ما نريد بضرائب تصاعدية تحصل من أرباب الثراء ، وكبار الموظفين ، ويستثنى منها صغارهم وأرباب الضرورات .

٤ ـ أننا فى حاجة إلى إرضاء الله تعالى عسى أن يستجيب دعاءنا ، وينصرنا ويخذل أعداءنا .. وتناول الحرام لا بركة فيه ، وهو وبال على صاحبه فى الدنياوالآخرة ، ويحول دون استجابة الدعاء .. قال تعالى : **﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾** [٢ : ٢٧٥] وقال تعالى : **﴿ يمحق الله الربا ويربى الصدقات ﴾** [٢ : ٢٧٦] وقال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ۔ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ۔ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ۔ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾** [٢ : ٢٧٨ ـ ٢٨١] وقال ﷺ : **« لعن الله آكل الربا ، وموكله ، وشاهده ، وكاتبه »** [أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجة عن ابن مسعود] ، وقال ﷺ : لسعد بن أبى وقاص : **« يا سعد .. أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة »** [أخرجه الطبرانى عن ابن عباس] ـ وقال ﷺ : **« إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً »** .. ثم ذكر الرجل : **« يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : يارب .. ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام .. فأنى يستجاب لذلك »** . [أخرجه مسلم عن أبى هريرة] .

فلنعمل بقدر ما نستطيع بما يرضى الله ، وينيلنا عونه : **﴿ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾** [٥٩ : ٩] .

* * *

بطلان زواج الشيوعى بمسلمة
مقابلة مع الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر
وبيان هام لفضيلتــه

[نشر هذا المقال بمجلة الاعتصام عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٥ هـ الموافق سبتمبر ١٩٦٥ م]

قبل أن نبدأ رأينا فى حكم الزواج الشيوعى بالمسلمة يتعين علينا أن نعرف موقف الشيوعية من الدين .. ويكفينا أن نرجع إلى كتاب « حقيقة الشيوعية » المطبوع أول يناير سنة ١٩٥٥ ففيه ما يلى :

١ ــ قال الرئيس جمال عبد الناصر يومئذ فى تقديم هذا الكتاب ص ٦ :

« كل ما كسبه الشيوعيون من شيوعيتهم أنهم صاروا آلات فى جهاز الإنتاج العام وكانوا بشراً ذوى إرادة ، قد كفروا بالدين .. لأن الدين فى عرف الشيوعية خرافة ، وكفروا بالفرد .. لأن الفرد فى دين الشيوعية لا كيان له ، ولا حقيقة لوجوده .. وإنما الكيان للدولة ، وكفروا بالحرية لأن الحرية نوع من إيمان الفرد بذاته .. وليس للفــرد فى النظام الشيوعى ذات ولا إرادة .. وكفروا بالمساواة فى نظام الدولة .. لأن الدولة فى دستور الشيوعية طبقات تنتظم فى هرم يتربع على قمته فرد ، ويحتشد ملايين الشعب فى القاعدة » .

٢ ــ وفى ص ١٩٠ من هذا الكتاب نقل ما جاء فى برنامج المؤتمر الشيوعى الدولى السادس ونصه :

« الحرب ضد الدين أفيون الشعب تشغل مكاناً هاماً بين أعمال الثورة الثقافية ، ويلزم أن تستمر هذه الحرب بإصرار وبطريقة منظمة » .

وفى نفس الصفحة يقول لينين : قال ماركس :

« إن الدين هو أفيون الفقراء » ..

ويقول لينين :

« إن البحث عن الله لا فائدة منه .. وليس لك إله لأنك لم تخْلُقْهُ بعد .. والآلهة لا يبحث عنها .. وإنما تخلق » .

عقب هذا كله ورد فى نفس الصفحة من الكتاب الذى كتب مقدمته جمال عبد الناصر ما نصه :

« فالشيوعية تعادى الأديان جميعها ، وتعدها دليل الرجعية والرغبة فى مقاومة النظام الشيوعى ، وهى تخالف مبادىء الإسلام الأساسية .. لأن أساس العقيدة الإسلامية أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأنه خاتم النبيين ، واعتبار القرآن وحى الله للنبى محمد ﷺ ، وكذلك الإيمان بالحياة بعد الموت ، والجزاء والمثوبة والعقاب .. وهذه المبادىء تنكرها الشيوعية وتشكك فيها وتحاربها » .

٣ ـ وفى ص ١٨٦ من الكتاب أيضاً جاء ما نصه :

« فالشيوعى الكامل عندهم هو الذى ينبذ دينه ، ويتبرأ منه ، ويقطع كل صلة تربطه به فى كل شأن من شئون حياته .. فى العمل ، وفى غير العمل ، وفى الزواج والطلاق ، وفى الأبوة والأخوة والأمومة ، وفى كل ما جل أو قل من علاقاته العامة ، وشئونه الخاصة .. وهم لا يكتفون من الشيوعى بأن يبرأ من الدين بقلبه ولسانه .. بل يريدونه أن يعمل ما وسعه الجهد لرد المؤمنين بالله عن دينهم ليكون الناس جميعاً شيوعيين على دين ستالين ، ولينين ، وكارل ماركس .. لا على دين نبى من أنبياء الله ورسله .. وقد كان من الجرائم العظمى بروسيا فى يوم من الأيام أن يضبط روسى متلبساً بجريمة الصلاة ، أو العبادة فى كنيسة ، أو مسجد .. وقد هُدِمَ كثير من المساجد والكنائس فى روسيا منذ سنين بعيدة ، وحُوِّل كثير منها إلى مصانع أو مخازن ، أو مسارح للهو ، أو زرائب للماشية .. وبقى قليل منها كمتاحف » انتهى .

هذه هى الشيوعية ، وهذا هو الشيوعى .. قد رأينا أن نكتفى فى الاستشهاد بما ورد فى هذا الكتاب ففيه ما يغنى .

بقى بعد هذا أن نعرف حكم الشيوعى فى الإسلام .. وللإجابة عن هذا نقول :

الإسلام هو دين الله القيم الذى يصل العبد بربه عن طريق العقيدة الصافية ، والعبادة الهادية .. ويصل الإنسان بالإنسان عن طريق المعاملة الكريمة ، والسياسة الرحيمة .. وللإسلام عقائد وشرائع علم أمرها بالضرورة لا يكون الإنسان مسلماً إلا إذا آمن بها كلها وأذعن لها .. فمن **رفضها كُلاً أو بعضاً منها فهو كافر .. والشيوعى يرفض ما جاء به الإسلام** وعُلِمَ من الدين بالضرورة .. وإن زعم بعضهم أنه يأخذ من الشيوعية نظامها الاقتصادى فقط .. فهذا الزعم لا ينجيه .. لأنه يؤدى إلى إنكار ما علم من الدين بالضرورة .. كإباحته الملكية الفردية ، ونظام الميراث والزكاة .. وكثيراً ما رأينا بعض الشيوعيين يهاجمون الإحسان والصدقة ، ويسخرون منهما .. وفى القرآن يقول تعالى : ﴿ **ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين * وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين * أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون * إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** ﴾ [٢٤ : ٤٧ - ٥١] ويقول تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾ [٤ : ٦٥] ، ويقول تعالى : ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون * أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون** ﴾ [٥ : ٤٩ - ٥٠] .

هذا هو حكم الشيوعى .. وإذا كان هناك رجل مسلم فى صدر حياته

اعتنق مختاراً مذهب الشيوعية مؤثراً له على ما جاء به الإسلام فهذا الرجل مرتد عن دين الله .. يستتاب فإن تاب وإلا قتله الحاكم الشرعى المسلم .. ولا يُغَسَّل ، ولا يُصلَّى عليه ، ولا يدفن فى مقابر المسلمين .

وننقل هنا ما يؤيدنا من كتب المذاهب الفقهية :

فى شرح ابن قاسم فقه الإمام الشافعى ج ٢ ص ٢٦١ – ٢٦٣ :

« ومن ارتد عن الإسلام من رجل أو امرأة كمن أنكر وجود الله ، أو كَذَّب رسولاً من رسل الله ، أو حلل محرماً بالإجماع كالزنا وشرب الخمر ، أو حَرَّم حلالاً بالإجماع كالنكاح والبيع استتيب وجوباً ثلاثاً ، فإن تاب وإلا قتل ، ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين » .

وفى المغنى لابن قدامة فى فقه ابن حنبل ج ٨ ص ١٢٣ والمرتد هو الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر .. قال تعالى :

﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [٢ : ٢١٧] وقال النبى ﷺ :

« من بدل دينه فاقتلوه » .

وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد .. وروى ذلك عن أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، ومعاذ ، وأبى موسى ، وابن عباس ، وخالد ، وغيرهم ، ولم ينكر ذلك فكان إجماعياً .

وفى كتاب الشرح الكبير فى فقه الإمام مالك ج ٤ ص ٣٠١ ـ ٣٠٤ ما نصه :

الرِّدة كفر المسلم بصريح أو لفظ يقتضيه ، أو فعل يتضمنه ، أو استحل حراماً عُلِمَت حرمته من الدين ضرورة .. كالشرب للخمر ، أو جحد حل مجمع على إباحته ، أو وجوب مجمع على وجوبه .. واستتيب المرتد ثلاثة أيام فإن تاب وإلا قتل » .

وفى الدر المختار فى فقه أبى حنيفة ج ٣ ص ٣٠٨ ـ ٣١١ :

« المرتد : الراجع عن دين الإسلام ، وركنها إجراء كلمة الكفر على اللسان بعد الإيمان .. والكفر لغة : الستر .. وشرعاً : تكذيبه ﷺ فى شىء مما جاء به من الدين ضرورة ، من ارتد عرض عليه الإسلام استحباباً ، وتكشف شبهته ، ويحبس ثلاثة أيام إن استمهل ، فإن أسلم وإلا قتل لحديث : « من بدّل دينه فاقتلوه »
وإسلامه أن يتبرأ من الأديان سوى الإسلام ، أو عما انتقل إليه بعد نطقه بالشهادتين » .

هذا هو حكم المسلم الذى يعتنق المذهب الشيوعى .

* * *

زواج المسلمة بالشيوعى

الشيوعى كافر ـ كما أسلفنا ـ وزواج الكافر بالمسلمة حرام وباطل بإجماع فقهاء الإسلام .. لقول الله تعالى :

﴿ فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حِلٌ لهم ولا هم يحلون لهن ﴾ [٦٠ : ١٠] وإلى القارىء نصوص الفقهاء قديماً وحديثاً :

١ ـ فى فتح القدير ج ٣ ص ٢٨٨ :

« لا يصح تزوج الكافر مطلقاً مسلماً .. ولو وقع عوقب وعوقبت أيضاً إن كانت عالمة بحاله » .

* * *

٢ ـ وفى كتاب المغنى لابن قدامة ج ٦ ص ٤٧٢ :

« ولا يزوج كافر مسلمة بحال .. أما الكافر فلا ولاية له على مسلمة بحال بإجماع أهل العلم .. منهم مالك ، والشافعى ، وأبو عبيدة وأصحاب الرأى .. وقال ابن المنذر : أجمع على هذا كل من نحفظ عنه من أهل العلم » .

* * *

٣ ـ وفى المحلى لابن حزم ج ٩ ص ٤٤٩ :

« ولا يحل لمسلمة نكاح غير مسلم أصلاً .. برهان ذلك قول الله سبحانه تعالى ﴿ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾ [٢ : ٢٢١] **وقال عز وجل : ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾** [٤ : ١٤١] .

* * *

٤ ـ وفى كتاب حقوق الأسرة لعبد الحكيم بن محمد ص ٣٤ :

« ولا يجوز للمسلمة أن تتزوج بغير المسلم لخوف وقوعها فى الكفر ، ولما للزوج عليها من الولاية ، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » .

* * *

٥ ـ وفى الأحوال الشخصية للعلامة الشيخ أبو زهرة ص ١٠٦ :

« لقد اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز للمسلمة أن تتزوج غير مسلم ، سواء أكان مشركاً أم كتابياً .. وقد ثبت ذلك التحريم بنص القرآن والسنة والإجماع .. أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتوهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن ﴾ [٦٠ : ١٠] **.. وأما السنة فقد وردت الآثار الصحاح عن السلف الصالح : إنهم كانوا يفرقون بين النصرانى وزوجه إذا أسلمت .. وروى أن رجلاً من بنى تغلب أسلمت زوجه وأبى هو أن يسلم ففرق عمر بينهما » وروى عن ابن عباس أنه قال : إذا أسلمت النصرانية قبل زوجها فهى أملك لنفسها ..**

وبهذا استفاضت الأخبار عن أصحاب الرسول ﷺ .. وهو أمر لا يعرف بالرأى .. فلابد أن يكونوا قد سمعوا من الرسول ﷺ ما بنوا عليه حكمهم وقد انعقد إجماعهم على ذلك فكان ذلك ثابتاً بالإجماع مع أن نص القرآن حجة ناطقة لا مجال للشك فيها .

٦ ـ وفى أحكام الأحوال الشخصية للدكتور محمد يوسف موسى رحمه الله ص ١٣٥ :

> **« حرم الإسلام أن تتزوج المسلمة بغير المسلم مخافة أن تتأثر به عقيدتها فتخرج عن الإسلام ، ومخافة أن ينشأ أولادها منه على دين أبيهم إذ يرونه صاحب السلطان فى البيت » .**

* * *

٧ ـ وفى أحكام الأحوال الشخصية لفضيلة الشيخ عبدالرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق ص ٦٧ :

> **« ويندرج تحت هذا العقد الباطل عقد غير المسلم على المسلمة .. فالزواج فى هذا كله باطل لا يفيد شيئاً من الآثار ، وتجب الحيلولة بين الرجل والمرأة وعدم تمكينها من الدخول .. فإذا ارتكبت المعصية ووقع الدخول بالمرأة فلا يؤثر هذا الدخول على العقد ، ولا يرفع عنه البطلان ويجب التفريق بينهما جبراً إن لم يتفرقا اختيارياً » .**

واستطرد فضيلته فذكر أن بعض الفقهاء يعتبر هذا الدخول زناً يستوجب الحد .

* * *

٨ ـ وفى فتاوى الشيخ شلتوت شيخ الازهر السابق ص ٢٥١ :

> **« إذا كان الزوج غير مسلم ، والزوجة مسلمة فإن الحكم فى الإسلام الحرمة القطعية ، والمنع البات ، وهو من الأحكام التى أجمعت عليها الأمة من عهد الرسول ﷺ إلى يومنا هذا ، وصار منعه فى الإسلام من الأحكام التى يقول عنها الفقهاء : إن العلم بها ضرورى يحكم على من أباحه بالخروج عن الدين » .**

* * *

حكم زواج المسلم بالشيوعية

المرأة التى تؤمن بالشيوعية كافرة بما عُلم من الدين بالضرورة ، لا تؤمن بإله ، ولا برسول ، ولا بكتاب ، فلا يحل لمسلم أن يتزوج بها لقوله تعالى : ﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾ [٦٠ : ١٠] ويعجبنى هنا ما ذكره فضيلة الشيخ تاج فى كتاب الأحوال الشخصية ونصه ص ٧٦ :

« ولا يحل للمسلم التزوج بامرأة ملحدة تنكر الأديان ، ولا تعترف بألوهية .. كذلك لا يحل له التزوج بمشركة تعبد مع الله غيره من الإنسان والحيوان والجماد .. فالمرأة التى تعبد الكواكب ، أو التماثيل ، أو النار ، أو البقر ، أو تعتقد ألوهية الإنسان مشركة لا يحل للمسلم أن يتزوج بها إلا إذا آمنت .. لأن التباين التام فى العقيدة بينها وبين المسلم لا تحسن معه عشرة ، ولا يحقق السكن والمودة اللذين هما من أهم مقاصد الزواج ، ثم يخشى معه على النسل أن ينشأ على أخلاق أهل الشرك وعقائدهم .. ومن أجل هذا نهى القرآن نهياً صريحاً عن التزوج بالمشركة وذلك فى قوله تعالى ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمِنَّ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ﴾ [٢ : ٢٢١] ويلحق بالمشركة المرتدة عن دين الإسلام فإنها بارتدادها تعتبر غير ذات دين » .

حول فتوى نشرت فى الأهرام

بطلان زواج « المسلمة » « بالشيوعى »

نشرت مجلة « نور الإسلام » التى يصدرها علماء الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف فى عدد ربيع الآخر سنة ١٣٨٥ ص ٤٦ ـ ٤٨ لسائل يسأل عن حكم الشريعة فى زواج بنته المسلمة من رجل مسلم فى الأصل .. غير أنه عُرِف عنه بعد ذلك أنه شيوعى ينكر وجود الله .. وأجابت المجلة ببطلان هذا الزواج .. وكانت الإجابة موفقة فى كل حرف ذكرته .. نسأل

الله تعالى أن يزيد رجالها توفيقاً وثباتاً ، وأن يبارك فى جهادهم وجهودهم .. آمين .

وتلقفت جريدة الأهرام هذه الفتوى فنشرتها مشكورة فى الصفحة الأولى يوم الاثنين ٩ أغسطس ١٩٦٥ الموافق ١٢ ربيع الآخر ١٣٨٥ .. قالت الجريدة تحت عنوان :

رأى لجنة الفتوى بالأزهـــر
فى زواج المسلمة من شيوعى

« أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر رأياً ببطلان زواج المسلمة من أى شيوعى ينكر الله ، أو يتمسك بالإلحاد المادى .. وكانت لجنة الفتوى قد ردت على استفسار وجه إليها من أحد المواطنين يسألها رأى الإسلام فى قضية شاب عرف من تاريخه أنه شيوعى ، ويصر على شيوعيته .. تقدم لخطبة ابنته المسلمة .. والشاب نفسه يحمل اسماً إسلامياً .. ومن أسرة مسلمة .. فهل يجوز من وجهة نظر الإسلام أن يتم هذا الزواج ؟ وقالت لجنة الفتوى : إن الشيوعية مذهب مادى لا يؤمن بالله ، وينكر الأديان ، ويعتبرها خرافة .. فالشيوعى الذى عُرِف بشيوعيته ، ولا يزال مصراً عليها يعتبر فى حكم الإسلام مرتداً .. وإذا كان الإسلام حرم زواج المسلمة من مشرك بالله .. فمن باب أولى أن يكون ذلك ممنوعاً بالنسبة لمن لا دين له » . انتهى .

وبعد يومين قرأ الناس فى جريدة الجمهورية يوم الأربعاء ١٤ ربيع الآخر بياناً من مكتب شيخ الأزهر أخبرنى الأستاذ عبد العزيز قنديل أنه بروحه من إملاء فضيلة الشيخ « عبد اللطيف السبكى » ونص ما نشر تحت عنوان :

لا فتوى فى زواج الشيوعى بالمسلمة

« أعلن مكتب شيخ الأزهر أن أحداً لم يتصل بلجنة الفتوى

بالأزهر بشأن ما نشرته إحدى الصحف أول أمس عن بطلان زواج المسلمة بالشيوعى الذى ينكر وجود الله .. وبالتالى فإن اللجنة لم تصدر فتواها فى ذلك » . انتهى .

لم أكن قرأت البيان المذكور .. وحضر إلىَّ بعض العلماء ، وكنت مريضاً فأخبرنى به .. وحسبت أنها نكتة .. فلم أكن أظن أننا نتخاذل أمام الشيوعيين ، ونتنصل من بيان حكم الشريعة الذى يدمغهم بالمروق والإلحاد .. لم أكن أظن أننا نتباطأ فى إغاثة المسلمين ، وحماية أعراضهم .. خصوصاً بعد أن استغاثوا بنا ونحن حراس الإسلام وجنوده .. ومن ذا يجيبهم ويغيثهم إذا لم يَهُبَّ علماء الأزهر وإمامهم الأكبر لإجابتهم وإغاثتهم ؟!! .

لم أكن أظن أننا نهتم بأمر شكلى لا يترتب عليه ضرر دينى ، ونتغافل عن أمر جوهرى يترتب على عدم بيانه ضياع الإسلام ، وانتهاك حرماته !! .

لم أكن أظن أن فينا من يغمض عينه عن الخطر الحقيقى ، ويشغل نفسه بأمر رسمى أو إسمى .. نعم .. لم أكن أظن هذا .

وأعتقد أنه كان فى استطاعة الذين أصدروا بيان التكذيب أن يكونوا أكثر دقة ، وأبعد نظراً ، فيعلنوا أن الفتوى صحيحة ، وعلماء الأزهر وإمامهم الأكبر يقرونها ويعضدونها بالإجماع .. وإذا كان لهم على ما نشرته جريدة الأهرام ملاحظة فهى أنها نسبتها للجنة الفتوى ، وكان من اللازم أن تنسب لعلماء الوعظ والإرشاد فهم الذين كان لهم شرف إصدارها ونشرها فى مجلة (نور الإسلام) التى يصدرها الأزهر الشريف .

هذا ما كنت أعتقده .. وبقيت أياماً مريضاً .. وشاء الله عز وجل أن أتماثل للشفاء .. وكان أول عمل عملته أنى ذهبت فى إعياء إلى إدارة الأزهر ، وتحريت الحقيقة .. وحين أُتِيَ إلى بالبيان الذى أصدره مكتب شيخ الأزهر ـ وهو ما نقلناه قبل سطور ـ فزعت من صياغته ، وذهلت من عبارته .. فبعد أن يقول مصدر البيان صراحة : « **الشيوعى الذى ينكر وجود الله** » يتهرب وهو يتظاهر بالغيرة على الحق .. يتهرب من ذكر الحكم ، ويدع ما يعنى الأمة وما تنتظره منه ، ويذكر مالا يعنيها ولا يفيدها ، وتنحصر غيرته وحماسته فى نفى نسبته للجنة (!!!) .

إن بيان الحكم الصحيح أوجب وأجدر بالاهتمام ، وأنفع للناس وأليق بالعلماء من بيان تصحيح النسبة .. فالله تعالى يقول : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾ [٢ : ١٥٩] وهذا الحكم الذى نشرته مجلة (نور الإسلام) وأخذته عنها الأهرام ما ينبغى أن ينسب إلى هيئة دون هيئة .. فهو فليس محل خلاف .. بل هو مما يُجمِع عليه علماء الأزهر .. بل والعالم الإسلامى .. بعد أن قرأت البيان ــ فى إدارة الأزهر ــ دهشت .. وبادرت بمقابلة الإمام الأكبر وقدمت إليه هذا السؤال ونصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وفقه الله ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. أما بعد .. فقد قرأ الناس فى صحيفة الأهرام يوم الإثنين ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٨٥ هـ ٩ أغسطس سنة ١٩٦٥ م قرأوا فتوى صادرة من لجنة الفتوى بالأزهر فى موضوع « **زواج المسلمة بالشيوعى** » .. وقد قررت اللجنة مشكورة بطلان هذا الزواج .

وفى يوم الأربعاء ١٤ من ربيع الآخر ١١ أغسطس قرأ الناس فى دهشة بياناً مقتضباً صادراً من مكتب الأزهر تحت عنوان : « **لا فتوى فى زواج الشيوعى بالمسلمة !!** » وقد نشر فى جريدة الجمهورية .. ويهمنا اليوم وقد أثار هذا البيان تساؤل الناس أن يعرف حكم الشريعة فى هذا الزواج .. منعاً للبلبلة وخشية من الفتنة ، وأداء للواجب الذى أوجبه الله عز وجل على علماء الإسلام .. فضلاً عن أئمتهم .. وأرجو أن يصلنى الرد فى أقرب وقت ، وأن تتفضلوا بنشره فى مجلة الأزهر ، وفى بقية المجلات الإسلامية ، وفى الصحف اليومية .. وفقكم الله وأعانكم .

وأذكر لفضيلتكم أننى بنفسى سأتولى نشره فى المجلات التى لى اتصال بها مع بالغ الشكر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمود عبد الوهاب فايد

* * *

رد فضيلة الإمام الأكبر

تفضل حضرة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون فطلبنى لمقابلته يوم الأربعاء ٢٨ من ربيع الآخر .. فسارعت إلى لقائه على عجل .. وجرى بيننا حديث ودى انتهى بهذا البيان وننشره شاكرين لفضيلته رحابة صدره ، وسعة حلمه ، وجميل صنيعه .. وندعو الله أن يقويه وينفع به الإسلام والمسلمين .

وإلى القراء نص بيان الإمام الأكبر :

نص بيان شيخ الأزهر

فى زواج « الشيوعى » بـ « المسلمة »

« نشرت إحدى الصحف اليومية منذ بضعة أيام أن لجنة الفتوى بالأزهر أصدرت فتوى ببطلان زواج المسلمة بالشيوعى .. وبالتحرى تبين أن لجنة الفتوى بالأزهر لم يطلب منها فتوى فى هذا الموضوع ، وبالتالى لم يصدر فتوى منها فى هذا الموضوع فأرسل مكتبنا تكذيباً لهذه النسبة دون تعرض للموضوع .

وقد طلب منا فضيلة الشيخ محمود عبد الوهاب فايد المدرس بالأزهر أن نُعَرِّف الناس حكم الإسلام فى هذا الزواج .. منعاً للبلبلة ، وأداء للواجب الذى أوجبه الله على علماء الإسلام .. وواضح أن المسلم الذى يعامل بأحكام الإسلام ، ويحل له الزواج بالمسلمة هو المسلم الذى يؤمن بالله وحده ويؤمن برسله ، ويؤمن باليوم الآخر ، ولا ينكر شيئاً مما علم من الدين بالضرورة .. وإلا عُدَّ مرتداً وعومل معاملة المرتدين ، فيحرم عليه الزواج بالمسلمة ، ويبطل زواجه إن كان متزوجاً بها .. ونحن إذ نجيب فضيلة الأستاذ على سؤاله للأسباب التى أبداها نشكر الله سبحانه وتعالى على غيرته الدينية ، ونسأله التوفيق لجميع علماء الأزهر فى نشر تعاليم الإسلام ، والدفاع عن دعوته .

حسن مأمون

الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر

إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

كيف كان حال العرب قبل الإسلام

أمم متناحرة .. وعشائر متدابرة .. وأطراف الجزيرة خاضع لنفوذ الاستعمار .. الرومى أو الفارسى

[نشر هذا المقال بعدد الاعتصام الصادر فى ذى الحجة ١٣٨٧ هـ الموافق مارس ١٩٦٨ م]

ما أصاب الأمة العربية بعد العدوان الإسرائيلى فاق الخيال ، ولم يك ـ بهذه الصورة ـ يتوقعه أحد ، أو يخطر له على بال .. وهو حقيق بأن يحمل كل فرد على التفكير الجدى ، والعمل المثمر ، والسعى المتواصل لإزاحة هذا الكابوس عن قلب الوطن العربى .. والنكبة التى حلت بنا لا تحتمل التباطؤ ، وتحتاج إلى علاج حاسم وسريع .. فالعدو الإسرائيلى ما زال ماضياً فى عدوانه ، مستمراً فى طغيانه ، يتباهى أمام العالم بأنه أحرز أعظم كسب .. فى أقصر وقت .. وبأرخص ثمن .. وكلما مر يوم تفاقم خطره ، واستفحل ضرره ، وكثر عدد ضحاياه .

فالواجب أن نفكر جميعاً ، ونسهم فى التخطيط والاستعداد لرد حقوقنا المسلوبة ، وأرضنا المغصوبة .. وقد آن لنا أن ندرك أنه من العار إذا اقتحم لص مسلح بيت أحد منا ، ونزل فى إحدى غرفه مهدداً لأمننا .. من العار أن ندعه يسرح ويمرح ، ونتلهى بعيداً عنه فى سينما أو مسرح .. فالذين يذهبون إلى الملاهى ، أو يقبعون فى المقاهى .. عليهم أن يدركوا واجبهم ، وعلينا أن نحول هذه الأماكن إلى معسكرات توعية وتعبئة .. فالوقت جد لا يحتمل الهزل .. ومن واجب ولاة الأمور فى الأزهر أن يعقدوا المؤتمرات ، ويتخذوا القرارات ، ويضعوا المنهج العملى لتحرير أرضنا .. أرض العروبة والإسلام .. ويؤسفنى أنى دعوتهم لهذا فى عدد جمادى الآخرة من الاعتصام منذ نحو ستة أشهر .. ولم أجد استجابة ، ولم تشعر الأمة بنشاط ملحوظ فى هذا المجال تسجله لقادة الدين وأئمة المسلمين .

لقد دعا الرئيس جمال ـ فى مؤتمر الصحفيين ـ يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٦٨ جميع الهيئات لمثل هذه الاجتماعات .. فهل يبادر الأزهر بتلبية هذه الدعوة ، ويتمثل أمر رئيس الدولة ، ويقوم بعقد مؤتمرات تغطى حاجة الجمهورية العربية فى كل ناحية منها .

لقد بذل (تيتو) جهوداً انتهت ـ كما أعلن ـ إلى طريق مسدود .. فهل يسارع العلماء إلى بذل الجهود لإنقاذ أرض العروبة من خطر اليهود .. إننا نملك بحول الله وقوته المفتاح الذى يفتح الطريق ، والوسائل التى تعين على صد العدو ودفع خطره ، ورد كيده فى نحره .. فلنراجع أنفسنا ، ولنقرأ صحائف أعمالنا فى تدبر وروية لنتعرف أخطاءنا كيلا نقع فيها ، ولنتسلح بالسلاح المادى والروحى معاً حتى يتم النصر إن شاء الله .

وفى رأيى أن النكسة جاءت من إهمال التربية الدينية .. فأسلحتنا كانت كثيرة ، وجنودنا كانت وفيرة .. ولكن التربية الروحية كانت مفقودة .. ومن هنا جاءت الهزيمة .

لقد كان لزاماً علينا ـ وديننا الإسلام ـ أن نتأمل تاريخنا ونتدبر كتابنا ، ونتفهم رسالتنا ، ونقتبس من ماضينا المشرق ، وتراثنا المتلألىء ، وتجارب أسلافنا الميامين نوراً يهدينا السبيل ويدلنا على الطريق .

إن العرب قبل الإسلام كانوا قبائل متناحرة ، وعشائر متدابرة ، وكانت أطراف الجزيرة العربية خاضعة لنفوذ استعمارى فارسى أوروبى ، ولم يكن لهم قبيل بعثة الرسول ﷺ دولة لها هيبة وصولة .. فلم تكن لهم حكومة تتولى إدارة شئونهم ، وتصريف أمورهم ، ولم يكن لهم دستور يحدد شكل الحكم داخل بلادهم ، ولم يكن لهم جيش يرهب العدو ويقوم على حراسة حدودهم .. لم يكن لهم شىء من هذا .. وأقرب دليل على ذلك واقعة الفيل حين أقدم أبرهة الحبشى يريد هدم البيت الحرام .. فقد سار نحو مكة حتى أصبح قريباً منها دون أن يجد فى طريقه مقاومة تذكر ، أو معارضة تؤثر ، ولما وقع فى يده مائة بعير لعبد المطلب جاءه هذا على عجل يطالبه بها فى دهاء وذكاء .. وعجب منه أبرهة وقال له : أتتكلم معى فى الإبل ولا تتكلم فى شأن البيت وهو مفخرتك ومفخرة آبائك وأجدادك ؟! فقال عبد المطلب :

« أما الإبل فهى لى .. وأما البيت فله رب يحميه » .

إن عبد المطلب لم يكن يريد المال ـ كما حسب أبرهة .. لكنه خشى أن يتزود بها أعداؤهم اللئام ، أو يتقوى بها خصوم البيت الحرام .. فتحايل حتى استنقذها ثم ذبحها قربى إلى الله ، ومعونة للفقراء من قومه .. وخرج يجر أذياله إلى الكعبة ، ويتشبث بأستارها ، ويبتهل إلى الله أن يدفع عنهم أعداءهم ، ويرد كيدهم فى نحورهم ، وسهامهم فى صدورهم .

واستجاب الله دعاءه ، وصدر مرسوم من ملك الملوك ، وممن إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون .. صدر مرسوم بأن تنشأ طائرات ربانية ، وقذائف إلهية يرمى بها فوق رءوس أعداء الله فلا تخطىء الهدف ، ولا تضل السبيل .. ونفذ أمر الله ، وتحطم العدو ، وصدق الله العظيم : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم فى تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ [١٠٥ : ١ ـ ٥] .

لقد كان هذا النصر عام مولد النبى ﷺ ، وكان إيذاناً بإعلاء شأن العرب على يد الرسول العربى الأمى ﷺ .. فما كاد يبعث حتى سرت فى العرب روح جديدة وحدت بينهم .. وألفت بين قلوبهم ، وأزالت أسباب العداوة من نفوسهم .. وما كان أحد يتصور أن تقوم لهم قائمة ، أو يتم بينهم ألفة ، أو يصبح لهم دولة .. ولكن القرآن الذى أودع الله فيه سره تكفل بإقامة وحدة عربية إسلامية بين العرب الذين ألفوا حياة الغارات والحروب .. وبين الأوس والخزرج الذين ظلوا مائة وعشرين سنة يتقاتلون ويتناحرون ، ويورثون نطفهم وأبناءهم وأحفادهم العداوة والبغضاء .. تكفل القرآن بأن يحول حالهم من شقاق إلى وفاق ، ومن عداء إلى صفاء ، ومن غلظة إلى رقة ، ومن قسوة إلى رحمة .. تكفل القرآن بأن يقيم لهم دولة منظمة .. لها حكومة تصرف أمرها ، وتعالج مشكلاتها ، ولها قانون سماوى ينشرالعدل بين ربوعها ولها جيش يحمى حدودها ،

ويصون أطرافها ويحمل إلى العالم مشاعل الهداية الربانية ليهتدى الناس بها .. تكفل القرآن بأن يربيهم تربية مثالية ، وأن يوجد منهم فى مدة وجيزة أفواجاً تنطلق إلى جنبات المعمورة تملأها سلاماً وإسلاماً ، وأمناً وإيماناً وليشغلوا كل وظيفة تتطلبها ظروف الدولة التى اتسعت رقعتها حتى شملت بلاد الفرس .. والعراق .. والشام .. ومصر .. وغير ذلك من بلاد العالم .

كل الذين تخرجوا أومعظمهم تعلموا فى الجامعة النبوية .. تعلموا كتاب الله الذى يقول فيه سبحانه : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾ [١٦ : ٨٩] تعلموه على يد المعلم الفذ ، والمربى الأجل محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ .

نعم .. لقد تخرج فى الكلية الحربية النبوية أبطال كانوا على غرار المصطفى ﷺ فى البطولة .. وهل يتخرج على يد بطل الأبطال إلا الأبطال ؟ لقد خاضوا غمار الحروب فاتحين فضربوا فى الشجاعة والإقدام والثبات أروع الأمثال ، وتم على أيديهم فتح كثير من الأقطار والأمصار .

وتخرج فى كلية الحقوق الإسلامية رجال تولوا مناصب القضاء فى بلاد العالم التى فتحوها فملأوها عدلاً وسلاماً .

وتخرج فى كلية التربية النبوية مربون عهد إليهم بتربية النشء فأرشدوه بالقدوة الحسنة ، ونفحوه بالعلم الغزير المستقى من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ومصطفاه ﷺ .

وتخرج فى كلية السياسة النبوية رجال مهروا فى سياسة الدول ، وحكم الأمم .. ولا يزال عباقرة العالم المحدثون يبدون إعجابهم بالرسول العظيم ﷺ ، وفضله على العالم بما جاء به من مثل عليا ، ومبادىء سامية ، وما قدمه للبشرية من نماذج إنسانية عالية بلغت فى كل ناحية درجة راقية .. وإليك أيها القارىء بعض هذه النماذج :

وقف « أبو دجانة » يوم الحديقة ، وقد لاذ بها مسيلمة وتحصن فيها هو وأصحابه .. فقال أبو دجانة : وما وقوفكم معشر المجاهدين وعدوكم يجد ما يشاء من طعام وشراب ولا عليه أن تطول بكم الساعات والأيام ؟! » فقالوا : ماذا نصنع وها أنت ذا ترى ضخامة الأبواب ، وعلو

الأسوار ؟ » فقال : « ضعونى فوق الحجفة [الترس] وارفعوها على أسنة الرماح ، واقذفوا بى إلى الداخل بحذاء الباب ويكون الفتح إن شاء الله » فسمعوا كلامه وأنفذوا رأيه .. وفوجىء مسيلمة ومن معه بصاعقة تنزل عليهم من السماء .. ولم يَدَعْهُم أبو دجانة يفيقون من هول المفاجأة .. بل أعمل فيهم السيف حتى وصل إلى الباب وتمكن من فتحه .. وتدفق المجاهدون فكان النصر بإذن الله .. وكان أبو دجانة وحده فرقة « **الكوماندوس** » أمام المهاجمين ، وأول من هبط « **بالباراشوت** » على المحصورين ، وكان الثبات والإقدام ثمن هذا الانتصار على الأعداء .

* * *

ويروى عن **عمر** ـ **وهو أمير المؤمنين** ـ أن امرأته سألته أن يشترى لها حلواء .. فقال : ومن أين لى ثمن ذلك ؟ فادخرت من نفقة بيتها ما يكفى .. فلما نمى هذا إلى عِلْم عمر رَدَّ ما ادخرته إلى بيت المال ونقص من نفقتها بقدر ما ادخرت .. ولله درحافظ إبراهيم إذ يقول كما نقلنا بتصرف :

جوع الخليفة والدنيا بقبضته	فى الزهد منزلة سبحان موليها
فمن يبارى أبا حفص وسيرته	أو من يحاول للفاروق تشبيهاً
يوم اشتهت زوجه الحلوى فقال لها	من أين لى ثمن الحلوى فأشريها
قالت لك الله إنى لست طالبة	مالاً لحاجة نفس كنت أبغيها
لكن أجنب شيئاً من وظيفتنا	فى كل يوم على حال أسويها
حتى إذا ما ملكنا ما يكافئها	شريتها ثم إنى لاأثنيها
قال اذهبى واعلمى إن كنت جاهلة	أن القناعة تغنى نفس كاسيها
وأقبلت بعد خمس وهى حاملة	دريهمات لتقضى من تشهيها
فقال نبهت منى غافلاً فدعى	هذى الدراهم إذ لا حق لى فيها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به	أولى فقومى لبيت المال رديها

* * *

كذلك يروى أن خالد بن الوليد سيف الله المسلول ، والقائد الذى لم يهرب ولم يهزم فى معركة .. وكانت قيادته يتيمن بها المسلمون .. يروى أنه جاءه قرار العزل من عمر وهو يفتح بلاد الشام .. فأذعن للقرار ولم يسرها فى نفسه .. بل سار وراء القائد الجديد أبى عبيدة عامر بن الجراح يعاونه

ويؤازره فى طهارة نفس ، وصفاء قلب ، ولم يحاول أن ينقلب على عمر مستغلاً ثقة الجيش به وتفانيه فى حبه .. كلا .. بل أعلن السمع والطاعة ، والسير مع الجماعة ، منكراً ذاته .. ولا عجب فقد تخرج من الكلية الحربية النبوية ، فلم تجمح به الأغراض واللذات ، ولم تقتله الأهواء والشهوات .. بل عاش على الزهد وإنكار الذات .

غزا فأبلى وخيل الله قد عقدت ... باليمن والنصر والبشرى نواصيها
أتاه أمر أبى حفص فقبله ... كما يقبل آى الله تاليها
واستقبل العزل فى إبان سطوته ... ومجده مستريح النفس هاديها
فاعجب لسيد مخزوم وفارسها ... يوم النزال إذا نادى مناديها
يقوده حبشى فى عمامته ... ولا تحرك مخزوم عواليها
ألقى القياد إلى الجراح ممتثلاً ... وعزة النفس لم تجرح حواشيها
وانضم للجند يمشى تحت رايته ... وبالحياة إذا مالت يفديها
وما عرته شكوك فى خليفته ... ولا ارتضى إمرة الجراح تمويها

* * *

هذه نماذج إنسانية من الدرجة العالية ، لا يمكن أن تتحقق إلا فى ظلال الإسلام ، وعلى ضوء القرآن ، ومنهج النبى عليه الصلاة والسلام .

إن من اللازم أن نراجع أنفسنا فى هذه الفترة الحرجة ، ونسارع بتربية أمتنا بالقدوة والتعاليم الإسلامية الفاضلة .

من اللازم أن نتوب إلى الله ، ونعترف بأن ما أصابنا نتيجة إعراضنا عن هداه .. قال تعالى : ﴿ **قل يا عبادىَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون** ﴾ [٣٩ : ٥٣ - ٥٥] لقد حُرِمْنا من النصر ، وجاءنا عدوان اليهود بغتة بعد أن أعرضنا عن كتاب الله الذى أنزله رحمة بنا ، وبشرى لنا .. ومع هذا تداركنا الله بلطفه ، وغمرنا بفضله .. فالأرض التى لم يبق فيها عسكرى واحد - كما قال الرئيس فى مؤتمر الصحفيين - حفظها الله بعينه ، وتولاها بحفظه .. على حين وقعت الأرض التى كانت مكتظة بالسلاح والجنود فى قبضة اليهود ، كما قال الرئيس فى نفس المؤتمر :

« أكثر من ٨٠٪ من قواتنا المسلحة فقدت فى صحراء سيناء » .

ذهب الحارس والمحروس ، وتلقينا درساً من الله يعلمنا أن نعتمد ــ بعد الأخذ فى الأسباب ــ عليه ونكل أمورنا دائماً إليه : **﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾** [٣ : ١٦٠] .

من اللازم أن نحاسب الذين فكروا فى السلطان والأموال ، ولم يفكروا فى مسئوليتهم عن آلاف الضحايا والشهداء ، ومكدسات الأسلحة التى غنمها الأعداء .

من اللازم أن نأخذ الأمر مأخذ الجد ــ وعلى الأقل مدة المحنة ــ فلا مكان للهو ، ولا للترفيه حتى نتخلص من العدو ، ونمحو هذا العار ، ونتذوق ثمرة الانتصار .

ورأيى أن نستعين بطاعة الله عز وجل للوصول إلى رضاه عسى أن يهبنا النصر .. قال تعالى :

﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز * الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ [٢٢ : ٤٠ ـ ٤١] .

ولا يغير الله أحوالنا حتى نغير نفوسنا قال تعالى : **﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾** [١٣ : ١١] فلنسر فى طريق النصر حتى ينصرنا الله .. وفى هذه المناسبة أتقدم بالشكر للسيد الوزير حسين الشافعى على سعيه لإبطال حفلة (١) راقصة كانت ستقام فى الخامس

---

(١) فى أهرام ١٧ ديسمبر ١٩٦٧ م ــ ١٦ رمضان ١٣٨٧ هـ « ١٢٠ راقصاً وراقصة من بولندة (الشيوعية) ستقدم رقصاتها فى ساحة الحسين مساء ١٢/٢٦ ــ ٢٥ رمضان ــ وقيل : المقصود الترفيه عن الشعب فى نكسته فأنكرت هذا فى حفل حضره بعض الوزراء ، وعقب ذلك ألغيت الحفلة بسعى الوزير حسين الشافعى .. ونحمد الله تعالى أن دفع العدوان الأحمر ، على العمائم البيضاء والخضراء ، وشهر القرآن المطهر .

والعشرين من رمضان وفى شهر القرآن بين عتبات مسجد الحسين رضى الله تعالى عنه والأزهر المعمور .. فما كدت أنكر أن يزحف الشر على الخير ، والفساد على الصلاح ، وما كاد الوزير يسمع هذا حتى بادر إلى إلغائها .. ووقى الله هذا المكان العامر المطهر شر هذا المنكر .

والله تعالى نسأل أن يخلص كل شبر من أرضنا من رجس الصهيونيين والمستعمرين ، والملحدين والمتحللين .. إنه سميع مجيب الدعاء .

* * *

مغالطات محمد عودة فى جريدة الجمهورية
الإلحاد والإيمان ... ضدان لا يجتمعان

بل من المستحيل
التوفيق بين الإسلام والماركسية

[نشر هذا المقال بمجلة الاعتصام فى عدد صفر ١٣٨٧ هـ - الموافق ١١ مايو ١٩٦٧ م]

كتب الأستاذ « محمد عودة » بصحيفة الجمهورية الأربعاء ٩ محرم ١٣٨٧ - ١٩ أبريل ١٩٦٧ مقالاً فى الصفحة الأخيرة عن رحلته إلى روسيا وزيارته لطشقند وتحت عنوانين بالخط العريض : (١٣ مسجداً ، ٦٠ زاوية فى طشقند وحدها) ، (ليس من المستحيل التوفيق بين الإسلام والماركسية) .

وفى مطلع المقال تحدث الأستاذ عن مفتى المسلمين فى طشقند وقال إنه كان مشغولاً بتدبير أمر الحج ، ولذلك لم يتمكن من مقابلته ، واكتفى بمقابلة نائبه السيد يوسف .. وقد أجاب رداً على سؤال للأستاذ عودة :

> **« طبعاً تعلمون أن الدولة السوفيتية دولة لادينية ، ولا تشجع الدين .. ولكنها لا تضطهده .. وليس هناك اضطهاد دينى على المسلمين .. وهناك ثلاثة عشر مسجداً رئيسياً فى طشقند .. وهى مفتوحة على الدوام للصلاة والوعظ وهناك ما يقرب من ستين زاوية فى الأحياء الصغيرة .. والأموال اللازمة لكل ما يتعلق بالشئون الدينية تأتى من تبرعات المسلمين .. والتعليم الدينى يقوم به الآباء فى المنزل .. أما فى المدارس فبالطبع تدرس الفلسفة المادية » .. ويعنى الفلسفة التى تقوم عليها الاشتراكية الماركسية .**

وهنا وجه إليه الأستاذ عودة سؤالاً آخر :

هل تعتقدون أنه من الممكن التوفيق بين الإسلام والماركسية ؟ **فقال :**

« ولم لا » .

ثم أضاف السيد يوسف نائب المفتى :

« إن الدول الإسلامية الثورية مثل الجمهورية العربية المتحدة ، ومثل الجزائر .. تقوى حجتنا » .

وهذا الكلام يوهم قارئه أن التوفيق بين الإسلام والماركسية ممكن .. بل وواقع فى الجزائر وفى الجمهورية العربية المتحدة [بلد الأزهر] .. إن هذه الفقرة هى أخطر ما فى المقال .. والعجيب أن يتخذ منها الأستاذ عودة عنواناً كبيراً يلفت الأنظار يكتب من تحته صفحة بأكملها .. وأعجب من هذا أن يجعل عنوان « **ليس من المستحيل التوفيق بين الإسلام والماركسية** » تحت عنوان : « **١٣ مسجداً ، ٦٠ زاوية فى طشقند وحدها** » فصياغة العنوانين ، ووضعهما على هذا الترتيب يوحى بأن **الإسلام يعتزل العالم الذى يعيش فيه الناس ، ومهمته محصورة** فى المساجد والزوايا وما عدا ذلك من كل جوانب الحياة لا شأن له به ، **وللاشتراكية** الماركسية أن تملأ هذا الفراغ الذى تركه الإسلام إذا لم تتجاوزه إلى المساجد والزوايا التى يشغلها ويقبع فيها .

لقد تساءل الناس : كيف يكتب هذا فى صحيفة حكومية ؟ وهل بمثل هذا يمكن لمصر أن تقضى على الدعايات التى ينفثها خصومنا لدى الدول الإسلامية .. لقد قام الأستاذ محمد توفيق عويضة برحلة إلى بلاد العالم الإسلامى للتعرف على مشكلات المسلمين وحاجاتهم الملحة .. وفى هذه الرحلة لمس ما يثيره خصومنا حول نظمنا .. وعاد الأستاذ عويضة من رحلته الطويلة فتحدث إلى جريدة الجمهورية حديثاً فياضاً عن رحلته التى قام بها وما لمسه فيها وما حققه من نتائج .. ونشرت الجريدة عن رحلته للعالم الإسلامى يوم ١٣ أبريل .. أي قبل أن تنشر حديث الأستاذ عودة عن رحلته للعالم الشيوعى بأسبوع واحد .

فهل بمثل هذا العنوان الذى اختاره الأستاذ عودة « **ليس من المستحيل التوفيق بين الإسلام والماركسية** » هل بمثل هذا نخدم دولتنا ، ونحمى سمعتنا ، ونصون عقيدتنا ، ونحفظ أبناءنا وشعبنا من **انحرافات الاشتراكية** الماركسية التى تقوم أساساً على الإلحاد والكفر بالله ، وتحطيم كل المقدسات الدينية ؟!.

أعتقد أن الوقت قد حان لنقول كلمة الله عز وجل عسى أن ينفعنا الله بها ساعة الموت ، وفى حنايا القبر ، ويوم البعث واللقاء .. أعتقد أن الوقت قد حان ليقول العلماء كلمتهم ، ويبرئوا ذمتهم ، ويخدموا أمتهم .. قال تعالى : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾ [٢ : ١٥٩] .

لقد التبس على الناس الأمر ، وكاد المسلمون يفتتنون .. فمنذ أعوام حضر إلى مصر الرئيس الإندونيسى أحمد سوكارنو ومنحته مشيخة الأزهر (الدكتوراة الفخرية) وعاد إلى بلاده وعلى رأسه تاج الأزهر وكرامته ، فأكد أنه ـ وهو مسلم ـ يؤمن بمبادىء ماركس كما نشرت الأهرام ١٩٦٣/٧/٩ .. ولم يهمله الله فسلب منه السلطة ، وسلط عليه الجيش ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .. وفى تحقيق الأستاذ رضا خليفة عن زنزبار التى صارت جزءًا من تانزانيا فى أهرام ٦٦/١٠/١٩ جاء ما يلى :

قال لى أحد الوزراء الشبان وعضو مجلس الثورة : « إن اشتراكيتنا مزيج من الماركسية والإسلام » .

وهكذا أصبح كثير من الناس فى هذا العصر يؤمن بأن الإسلام يمكن التوفيق بينه وبين الماركسية .. وهذا خطأ شنيع يحرم السكوت عليه : ﴿ **ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ [٦٠ : ٥] .

وقبل أن أبدأ الحديث أحب أن يكون مفهوماً ومعلوماً أنى لا أمانع فى أن نتعامل مع الروس ، ونتعاون معهم فى كل ما يعود على أمتنا وعلى الإنسانية جمعاء بالازدهار والقوة ، والسلام والهناءة .. لنأخذ منهم كل ما نحتاج إليه من قوت وسلاح ، وعلوم طبيعية ، وآلات زراعية وصناعية .. لنقبل العون المادى .. ولنرفض التسلل الشيوعى ، والمذهب الماركسى .. ولنا فى رسولنا ﷺ أسوة حسنة .. فقد أخـذ من اليهود ـ وهم كما نطق القرآن ـ أشد الناس عداوة للذين آمنوا .. أخذ منهم ما احتاج إليه من غذاء وسلاح ، وتحاشى كل ما عندهم من ضلال وزيغ ، ونزل القرآن يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين**

أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين * وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ﴾ [٣ : ١٠٠ – ١٠١] .

إن المسلم يرضى بالجوع ، ولا يقبل الكفر أو الخنوع .. فقد أبى عليه الصلاة والسلام أن يجارى الكفار .. وبعد أن قاطعوه ثبت على مبادئه ، ووضع على بطنه الأحجار ، واقتات بورق الأشجار ، وصبر على ألوان الأذى حتى لا يعرض دينه للانهيار .

لقد ظل عليه الصلاة والسلام قوى الإيمان بربه ، ولم يقبل فى سبيل العيش أن يكفر به .. ومن قبل وقف عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام مثل هذا الموقف .. ففى « إنجيل متى » الإصحاح الرابع أن إبليس جاء ليجربه بعد أن جاع .. فقال له عيسى : « مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان .. بل بكل كلمة تخرج من الله ،وحين أراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له : أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى .. حينئذ قال يسوع [عيسى] : اذهب يا شيطان .. لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد » أ . هـ ص ٤ .

ولنعد إلى حديث الأستاذ عودة لنناقشه ، ولنرى هل يمكن التوفيق بين الإسلام والماركسية أولاً ؟! .

إن الذين يحاولون التوفيق بين الإسلام والماركسية لا يمكن لهم أن يسلكوا سوى طريق من طريقين :

١ ــ الأول : أن يعزل الإسلام عن حياة الناس العامة والخاصة ، ويكون قاصراً على العقائد والعبادات .. أما النواحى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها فيترك أمرها للماركسية الشيوعية تعالجها بنظراتها ونظمها .

٢ ــ والآخر : أن يلفق بين المذهبين : الإسلام والماركسية فيتولد منهما إسلام ماركسى شيوعى .. أو شيوعية ماركسية إسلامية .. وكلا الطريقين يتنافى مع طبيعة الإسلام وطبيعة الماركسية .

فالإسلام دين نزل من عند الله الذى يتنزه عن الجهل والنسيان والعبث .. ومهمته تشمل علاقة الإنسان بربه ، وعلاقته بالعالم الذى يعيش فيه .. والماركسية نظريات من شيطان ماركس اليهودى الأصل .. **الإسلام يبنى** منهجه الإصلاحى على أساس الإيمان بالله ، والماركسية تبنى منهجها على أساس الإلحاد ، وانكسار وجود الله .. ولهذا فهى تتوجس خيفة من المؤمنين فتطاردهم ، وتستعبدهم ، وتخمد صوتهم ، وتنكل بهم .

لقد قال ماركس عبارته المشهورة : « الدين أفيون الفقراء » وقال لينين ١٩٠٥ « **الدين مخدر للشعوب** » وقال : « **الماركسية هى المادة ومن ثم فهى معادية للدين** » ونشرت صحيفة المدرسين السوفيتية ٢٦ نوفمبر ١٩٤٩ مقالاً جاء فيه : « **إن المدرس الشيوعى الذى يعهد إليه الحزب بتعليم الشباب لا يمكنه بل يجب عليه ألا يقف من الدين موقف الحياد .. فهو مضطر لا إلى أن يكون هو نفسه ملحداً فحسب .. بل إلى أن يكون كذلك داعية نشيطاً لنشر مبادىء الإلحاديين** » .

وفى صحيفة الأخبار ٦ فبراير ١٩٦٤ تحت عنوان : « **روسيا تدعو المسلمين فى تاجيكستان للإلحاد** » وتحته قالت :

« حَوَّل الاتحاد السوفيتى ضغطه إلى المواطنين المسلمين فى حملته الجديدة نحو العقائد الدينية وممارستها .. قالت صحيفة برافدا : « إن مؤتمر التعليم الإلحادى ينعقد الآن فى مدينة دوشائب عاصمة جمهورية تاجيكسان التى يحتشد فيها المسلمون ، قد قرر المؤتمر إنشاء معهد للتعليم الإلحادى وإنشاء فصول إجبارية لهذا التعليم فى الجامعات والمعاهد الأخرى » .

وفى صحيفة الأهرام ١٩٦٣/١٠/٣ ما نصه :

« إن السلطات السوفيتية دعت لبذل مجهود جديد لإزالة الدين الإسلامى من الاتحاد السوفيتى ، وفى الوقت نفسه نفت أن اليهود يمنعون من العبادة .. وأضافت الوكالة أن ذلك جاء فى المجلة السوفيتية الرسمية (العلم والدين) التى شكت من تأخر الحملة ضد الدين الإسلامى .. وخاصة جمهورية تاجيكسان » أ . هـ .

ولعل من المستحسن أن نُذَكِّر القراء بما فى صفحة ١٨٦ من كتاب (حقيقة الشيوعية) حيث يذكر بالنص :

« فالشيوعى الكامل عندهم ينبذ دينه ، ويتبرأ منه ، ويقطع كل صلة تربطه به فى كل شأن من شئون حياته .. فى العمل .. والزواج والطلاق .. وفى الأبوة والأخوة والأمومة .. وفى كل ما جَلَّ أو قَلَّ من علاقاته العامة وشئونه الخاصة .. وهم لا يكتفون من الشيوعى بأن يبرأ من الدين بقلبه ولسانه .. بل يريدونه أن يعمل ما وسعه الجهد لرد المؤمنين بالله عن دينهم ليكون الناس جميعاً شيوعيين على دين ستالين ، ولينين ، وكارل ماركس .. لا على دين نبى من أنبياء الله ورسله .. وقد كان من الجرائم العظمى بروسيا فى يوم من الأيام أن يضبط روسى متلبساً بجريمة الصلاة ، أو العبادة فى كنيسة أو مسجد .. وقد هُدِم كثير من المساجد والكنائس فى روسيا منذ سنين بعيدة ، وحُوِّل كثير منها إلى مصانع ، أو مخازن ، أو مسارح للهو ، أو زرائب للماشية .. وبقى قليل منها كمتاحف تمثل عهد الرجعية الاستغلالية البائدة » أ . هـ .

هذا ما نشر فى كتاب « حقيقة الشيوعية » .. وما لنا نذهب بعيداً وفى نفس مقال الأستاذ عودة ما يفيد صراحة أساس المذهب الماركسى ودعائمه .. قال فى العمود الأخير من مقاله :

« هل يستطيع المسلم أن يكون عضواً فى الحزب ؟ » قيل لنا : « لا .. لأن عضو الحزب لابد أن يكون ملحداً نشيطاً » أ . هـ .

هذا ما كتبه الأستاذ عودة نفسه .. فهل يقوم إيمان على إلحاد ، أو إلحاد على إيمان ؟! إن الإلحاد والإيمان ضدان لا يجتمعان .. إن الذى يقرأ القرآن وهو دستور الإسلام يلمس مدى اهتمامه بقضية الإيمان بالله ، ويعرف كيف أقام على أساس الإيمان منهجه الإصلاحى .. فالإيمان هو الدافع القوى الذى يوجه المسلم إلى ما يقوى علاقته بربه عن طريق العبادة السليمة ، وإلى ما يقوى علاقته بالعالم الذى نعيش فيه عن طريق السياسة

الرحيمة ، والمعاملة الكريمة .. وحسبنا أن نقرأ القرآن ، وندرك سر هذا النداء الإلهى الذى جاء فى صدر الآيات التشريعية .. فباسم الإيمان أثار الله عز وجل مشاعرنا وأحاسيسنا ، وحرك قلوبنا وجوارحنا ، ودفعها جميعاً إلى المسارعة فى تنفيذ ما كلفها به .. يستوى فى ذلك ما يتعلق بالعقيدة والعبادة ، والسياسة والاجتماع ، والاقتصاد والآداب .. ولنضع أمام القارىء المنصف هذه الآيات ليعرف كيف يصاحب الإيمان كل ما كلفنا به القرآن ، وكيف يدفعنا به المولى إلى سرعة الامتثال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ [٤ : ١٣٦] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وجاهدوا فى الله حق جهاده ﴾ [٢٢ : ٧٧ ، ٧٨]

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ [٦٢ : ٩ - ١٠] .

﴿ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [٢ : ١٨٣] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد ﴾ [٢ : ٢٦٧] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ [٢ : ٢٦٤] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين * وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون ﴾ [٥ : ٨٧ - ٨٨] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ [٥ : ٩٠] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾ [٤ : ٢٩] ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ... ﴾ [٢ : ٢٨٢] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾ [٢ : ٢٧٨] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ... وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [٥ : ٢]

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ [٤ : ٥٩] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ . [٥ : ٨]

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هُزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾ [٥ : ٥٧] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [٢ : ٢٠٨] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ﴾ [٨ – ١٥] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ [٨ : ٤٥] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ﴾ [٢٤ : ٢٧] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً ﴾ [٣٣ : ٤٩] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ [٤٩ : ٦] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاثم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ [٤٩ : ١١] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ [٤٩ : ١٢] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى ﴾ [٥٨ : ٩] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [٥٨ : ١١] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ﴾ [٦٦ : ٦] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ . [٦٦ : ٨]

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ [٨ : ٢٧] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾ [٣ : ١٤٩] .

هذه الآيات التى قدمناها تدل صراحة على أن الإسلام يربط بين الإيمان وبين العبـادة ، والسياسة والحكم ، والمعاملات والاجتماع والآداب .. وعن طريق الإيمان يقيم الإسلام مجتمعاً صالحاً فاضلاً متعاوناً على البر والتقوى .. لا على الإثم والعدوان .

نداء الإسلام :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ [٣ : ١٠٢ – ١٠٣] .

ونداء الماركسية :

يا أيها الذين ألحدوا تمسكوا بإلحادكم واستهزئوا بإلهكم وكونوا فى الدعوة للإلحاد نشيطين ولا تهاونوا .

إن الماركسية نتاج عمل من سلالة حاخامات اليهود .. والذين احتضنوها فى روسيا إلى سنة ١٩٥١ كانوا من اليهود الصرحاء .. فأعضاء المجلس الشيوعى الذى حكم روسيا سبعة عشر عاماً منهم أربعة عشر رجلاً يهود صرحاء ، وثلاثة زوجاتهم يهوديات ، وفيهم يهودى الأم أو الجدة .

وفى بولنده أعضاء المكتب الشيوعى أحد عشر .. منهم سبعة رجال يهود صرحاء .

وفى المجر أعضاء المكتب الشيوعى كلهم يهود .

وفى تشيكوسلوفاكيا مجلس يضم ثمانية رجال خمسة منهم يهود اقرأ بروتوكولات حكماء صهيون صفحة ٧٢ .

إن اليهود يطمعون فى الاستيلاء على العالم ، وقد وضعوا خطة لإفساده ، وبث بذور الفتنة فيه حتى يسهل عليهم ابتلاعه ، وإقامة حكومة عالمية رجالها منهم .

ومن يقرأ (البروتوكولات) يعرف كيف رسموا الخطة لتقويض دعائم الخلافة الإسلامية بعد أن امتنع السلطان عبد الحميد عن إعطاء وطن قومى لهم .. لقد أدركوا أنهم لا يستطيعون الوصول إلى أورشليم وإقامة دولة إسرائيل إلا بعد أن يمروا على القسطنطينية ، ويجهزوا على الخلافة .. وتم لهم ما دبروه فى الخفاء .. فقد كان أحد الثلاثة الذين سلموا الخليفة قرار العزل

يهودياً .. وكان حاخام اليهود فى مصر « ناحوم أفندى » هناك .. وهو الذى فتح لليهود يومئذ باب الهجرة إلى تركيا ليكونوا بالقرب من فلسطين ، ثم صار مبعوثاً لمصطفى كمال إلى مؤتمر لوزان ، ثم عينه ليكون سفير تركيا فى أمريكا ، ولكنه فضل أن يكون حاخاماً لليهود فى مصر .. ومنذ ذلك الحين صار لليهود نفوذ فى تركيا سهل لهم الحصول على اعتراف الأتراك بدولة (إسرائيل) .. إن اليهود يعبثون بالأديان ، ويعبثون بالثقافات ، ويضعون الشعارات المزيفة لمصلحتهم .. واقرأ معى أيها المنصف هذه الفقرة من بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٨٣ :

« لقد نجحنا نجاحاً كاملاً بنظريتنا عن التقدم فى تحويل رءوس الأمين [1] الفارغة من العقل ، ولا يوجد عقل واحد بين الأمين يستطيع أن يلاحظ أنه فى كل حالة وراء كلمة (التقدم) يختفى ضلال وزيغ عن الحق » .

إن الماركسية لم تحقق لأصحابها ماكانوا يؤملونه .. فلم تحقق لكل فرد منهم ما كانت تمنيه به ، فاضطر الحكام لأن يبيعوا أطنان الذهب ليدفعوا قيمة الكميات التى استوردوها ليسدوا العجز فى المواد « الغذائية » كما نشر الأهرام فى ١٩٦٣/١١/١٧ ، ١٩٦٥/١٠/١٩ .. والعجيب أن يحدثنا الأستاذ عودة عن رغبة الدولة السوفيتية فى تكثير النسل وتشجيعها عليه ، فيقول فى نفس الحديث :

« إنه طلب أن يرى بيت أحد الفلاحين فأخذ إلى بيت فيه امرأة متوحشة الملامح أنجبت أحد عشر ولداً وتحمل الثانى عشر لتنال جائزة الدولة » .

لقد بدأ حماة الماركسية فى التحلل منها بعد أن تبينوا نتائجها مدة نصف قرن .. وننقل هنا ما نشرته جريدة الأهرام والأخبار يوم الأحد ٦ مارس ١٩٦٦ :

---

(١) الأميون هم من عدا اليهود .

« وعد الحزب الشيوعى السوفييتى باحترام الملكية الفردية فى نطاق عدم الاستغلال ، لا يعترض الحزب الشيوعى السوفييتى على ملكية مزرعة صغيرة يقوم أصحابها من الفلاحين الذين يعملون فى مزارع جماعية بزراعتها فى أوقات فراغهم ، كما لا يعترض الحزب على ملكية الفيلات والشقق فى العمارات التعاونية » .

جاء ذلك فى ردود ستيبانوف نشرتها صحيفة (أزفستيا) .

كذلك نشرت أخبار ٦٥/٩/٢٩ « أن كوسجين دعا إلى التركيز بصورة أكبر على الحوافز المادية للعمال ، ومنحهم مكافآت سنوية ، وأعلن أن نظام الربح سيطبق على كل صناعات السلع الاستهلاكية » .

إن الماركسية لا تتفق مع ديننا .. ولن نجمع بين خير عباد الله محمد النبى ﷺ وشر عباد الله ماركس اليهودى الملعون .. إن الله تعالى يقول : ﴿ **يوم ندعو كل أناس بإمامهم** ﴾ [١٧ : ٧١] وقد رضينا أن يكون إمامنا رسول الله محمداً ﷺ ، ولن نستبدل به ماركس عدو الله .. لقد رفضت تعاليمه « **نسفيلانا** » ابنة ستالين راعى الماركسية وحاميها ، وأعلنت إيمانها بالله .. فما الذى يضطرنا إلى أن نفكر فى التوفيق بين الإسلام والماركسية ؟؟ ألا إن الإسلام دين الله .. قال تعالى : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ [٣ : ١٩] وهو خاتم الأديان ، وأوفاها بكل ما يحتاج إليه الإنسان ، وما يهمه فى كل جوانب الحياة ، وما يحقق له السعادة فى دنياه وأخراه .. قال الله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ [٥ : ٣] وقال الله تعالى : ﴿ **وأوحى إلىَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ [٦ : ١٩] وقد كلفنا الله بكل حكم شرعه ، ولم يجعل لنا الخيرة فى أن نتقبله أو ندعه .. قال تعالى : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً** ﴾ [٣٣ : ٣٦] وقال الله تعالى : ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون** *

أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ [٥ : ٤٩ ـ ٥٠] وقال الله تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾ [٤ : ٦٥] .

نعم .. حينما يقع المسلم تحت ضغط قوة كافرة تكرهه على خلاف تعاليم دينه النيرة فهو معذور .. قال تعالى : ﴿ **إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ [١٦ : ١٠٦] .

نسأل الله تعالى أن يجنبنا الضرورات .. ويحمينا من المخالفات .. وينصر الإسلام والمسلمين .. ويخذل الصهيونيين والمستعمرين والشيوعيين وأعوانهم أجمعين .. آمين .

* * *

يا سيادة الرئيس
نعم .. يجب أن نتمسك بمبادئ الدين

[نشر هذا المقال فى الاعتصام عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ ـ الموافق أغسطس ١٩٦٧؟ م]

فى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر الذى ألقاه مساء يوم ٢٣ يولية سنة ١٩٦٧ ـ ١٦ ربيع الآخر سنة ١٣٨٧ كلمات ذات معنى دقيق ، ومغزى عميق ، يجب أن نقف عندها طويلاً لنتفهم معناها ، وندرك مرماها .. وقد أحسنت جريدة الأهرام صنعاً حين وضعتها فى مكان الصدارة ، واتخذت منها عناوين بارزة تسترعى نظر القراء .. ففى الصفحة الأولى من أهرام الاثنين ٢٤ يولية وضعت هذا العنوان وهو مقتبس من كلام الرئيس :

[الشعب وأنا معه نطالب ببداية جادة وبوضع حد للامتيازات والتكافؤ فى التضحيات وبالنقاوة الثورية وبالاعتصام بقيم الدين] .

وفى صدر الصفحة السابعة وضعت هذا العنوان : « يجب أن نتمسك بمبادىء الدين وأهدافه » .

هذا كلام يجىء بعد النكسة .. وقيمته فى أنه صادر من الشعب نفسه ، وصادر أيضاً ممن وضعه الشعب على رأسه .. قيمته فى أنه جاء عقب المحنة .. وكأنه تذكير وتسليم بقول الله تعالى : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ [٤٢ : ٣٠] وقوله تعالى : ﴿ **وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ [٣ : ١١٧] وقوله تعالى : ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ [١٣ : ١١] .

إن الإنسان من شيمته أن يظلم ، ومن طبيعته أن يخطىء ، وقديماً قال الشاعر العربى :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

والرسول العظيم ﷺ يقول : « **كل بنى آدم خطاء .. وخير الخطائين التوابون** » [أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجة عن أنس] .. ومن رحمة الله تعالى بعباده أن فتح لهم باب المغفرة على مصراعيه بشرط أن يتوبوا من المآثم والمظالم ، ويعودوا إلى الله ، ويرجعوا لدينه .. قال تعالى : ﴿ **وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى** ﴾ [٢٠ : ٨٢] .. بالتوبة النصوح ، والإيمان الصادق ، والرجوع إلى الدين نحظى برضا الله عز وجل ، ونظفر بنصره وفق وعده : ﴿ **ولن يخلف الله وعده** ﴾ [٢٢ : ٤٧] **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز * الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ [٢٢ : ٤٠ ـ ٤١] .

فى القرآن الكريم آيات بينات تخاطبنا من مئات السنين .. تفسيرها يكون أوضح وأثبت فى الذهن إذا تأملنا ما وقع لنا أخيراً من نكسة .. وعلى حين غرة .. وفى هذه الآيات يوجد العلاج الذى نرتقبه ، والدواء الذى نفتقده .. يقول تعالى : ﴿ **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون** ﴾ [٣٩ : ٥٣ ـ ٥٥] قال رئيس الجمهورية : « **الشعب وأنا معه نطالب ببداية جادة** » .. معنى هذا فى وضوح أن الشعب بعد النكسة طالب بنفسه ودون أن يوسط أحداً ببداية جادة .. وأصغى الرئيس إلى الشعب ، وانضم إليه فى الطلب .. معنى هذا فى وضوح أن الشعب وانضم إليه فى الطلب .. معنى هذا فى وضوح أن الشعب ومعه الرئيس يقولون : لنبدأ حياة جديدة يبدو عليها طابع الجد لا الهزل .. تقوم على الشعور بالمسئولية .. تقوم على الصدق فى القول ، والإخلاص فى العمل ، تقوم على طهارة النفس ، وإنكار الذات ، وعلو الهمة ، ونيل المقصد ، وإخلاص النصح ، والتفانى فى أداء الواجب ، والتفاضل بالعمل الصالح .. حياة تتسم بالشرف والأمانة .. لا محسوبية فيها ولا محاباة ولا استغلال للنفوذ ولا خيانة ، ولا بغى ، ولا تسلط .. حياة تخلو من كل عناصر الفساد ، ومنابت الشر ، ودواعى الضعف والتحلل والهزيمة .. معنى ذلك

فى إيجاز : « لنعد إلى تعاليم الدين ، وقيمه وأهدافه .. ففيها وحدها ــ وليس فى غيرها ــ ما يأخذ بيد الأمة ، ويخلصها من هذه النكسة ، وينقذها من هذه المحنة ، وما يحقق لها كل أمنية ، ويضعها موضع الصدارة بين الأمم الناهضة الفتية .

إن الإسلام دين نزل من السماء ليعيش به عالم الأرض فى محبة وسلام ، وهناءة ورخاء ، وصحة وقوة ، وعدالة وطهر ، ونور وهدى :

(أ) يحرر الناس ، ويسوى بينهم .. فلا يتمايزون إلا بالعمل الصالح .. قال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ [٤٩ : ١٣] وقال ﷺ : « **من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه** » [رواه مسلم عن أبى هريرة] .. وقال ﷺ : فى خطبة الوداع : « **يا أيها الناس .. إن ربكم واحد .. ألا إن أباكم واحد .. ألا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأسود على أحمر ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى .. إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. ألا هل بلغت ؟** » قالوا : بلى يا رسول الله .. قال : « **فليبلغ الشاهد الغائب** » [أخرجه البيهقى عن جابر] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « **ليس لأحد على أحد فضل إلا بالدين ، أو عمل صالح** » [أخرجه البيهقى عن عقبة بن عامر] .

إن الإسلام يركز مبدأ المساواة فى القلوب منذ اللحظة الأولى التى دعا فيها الناس إلى الإيمان بإله واحد ، وأن من عداه وما عداه كلهم عبيد له ، والتفاضل لديه لا يقوم إلا على أساس العمل الصالح ، والجزاء يتعلق بالأعمال .. قال تعالى : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ [٩٩ : ٧ ـ ٨] ﴿ **ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون** ﴾ [٤٦ : ١٩] ﴿ **من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد** ﴾ [٤١ : ٤٦] ﴿ **واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون** ﴾ [٢ : ١٢٣] .. وقال الحسن رضى الله تعالى عنه : جمع نبى الله ﷺ أهل بيته قبل موته فقال : « **ألا إن لى عملى ولكم عملكم .. ألا إنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً .. ألا إن أوليائى منكم المتقون .. ألا**

لا أعرفكم يوم القيامة تأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم ويأتى الناس يحملون الآخرة .. يا صفية بنت عبد المطلب .. يا فاطمة بنت محمد .. اعملا .. فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً » [أخرجه عبد بن حميد] .

وفى مجال التطبيق العملى نجده ﷺ مثلاً أعلى فى إقامة العدل ، وتحقيق المساواة والدقة فى تنفيذ أحكام الله دون محسوبية أو محاباة .. عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت .. فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ ومن يجترىء عليه إلا أسامة حِبُّ رسول الله ﷺ .. فكلم رسول الله ﷺ فقال : « **أتشفع فى حد من حدود الله** » ثم قام فخطب فقال : « **يا أيها الناس .. إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد .. وأيم الله .. لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها** » .

[أخرجه الخمسة]

وفى عهد عمر أسلم جبلة بن الأيهم آخر ملوك بنى غسان ، وكانوا تابعين لدولة الروم فيما يلى حدود الشام .. واتفق أن جبلة كان يطوف يوماً بالبيت فداس أعرابى من فزارة على طرف ردائه فلطمه جبلة على وجهه لطمة شديدة .. فاستعدى عليه عمر .. فسأله عمر .. فأقر .. فقال عمر : إما أن ترضيه .. وما إن أقيده منك فقال جبلة : كيف ذاك وهو سوقة وأنا ملك ؟!! قال عمر : إن الإسلام سوى بينكما .. فلست تفضله إلا بالعمل الصالح .. فقال لعمر : أجلنى إلى الغد .. وفى جنح الظلام فر إلى الشام وارتد ، ثم ندم وقال :

تنصرت الأشراف من عار لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى ... رجعت إلى الأمر الذى قاله عمر

(ب) الإسلام بعقائده التى يزرعها فى القلوب ، وينميها بالمواعظ يقوى لدى المرء شعوره بالمسئولية .. حاكماً أو محكوماً .. رجلاً أو امرأة .. كبيراً أو صغيراً .. فكل مسلم يشعر من أعماق قلبه بأن الله مطلع عليه ، ومحاسبه على ما صنع .. قال تعالى : ﴿ **وإن تبدوا ما فى أنفسكم**

أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ [٢ : ٢٨٤] وقال تعالى : **﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون * حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون * وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون * وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾** [٤١ : ١٩ – ٢٣] .

هذا الشعور المرهف الذى يتميز به المسلم الصادق عن غيره يجعله يقدر المسئولية ، ويضطلع بأعبائها فى إخلاص وأمانة وشرف ، ولا يخلو أى مسلم صغيراً كان أو كبيراً عن نوع من المسئولية بقدر ما عليه من واجبات .. قال ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .. الرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته .. فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** » .

[أخرجه الشيخان عن ابن عمر]

إن كل إنسان منا فى عنقه تبعات وهو مسئول عنها ، وسائله هو الله تعالى ، وسبحانه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء .. قال تعالى : **﴿ ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾** [١٦ : ٩٣] وقال تعالى : **﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾** [١٥ : ٩٣] وقال تعالى : **﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ﴾** [٧ : ٦] إذاً امتلأ القلب بهذه العقيدة ازداد حرصاً على الوفاء وخشية من التقصير ، وأشد الناس إيماناً ، وأقواهم عقيدة هم الرسل .. فلا تعجب أيها القارىء إذا سمعت الرسول ﷺ يقول : « **أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له** » فى حديث أخرجه الشيخان عن أنس .. ولا تعجب إذا سمعته يقول فى مرض وفاته كما روى الطبرانى وأبو يعلى : « **من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليستقد منه .. ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالى فليستقد منه .. ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضى فليستقد منه .. لا يقولن**

رجل إلى أخشى الشحناء من قِبَلِ رسول الله ﷺ .. ألا وإن الشحناء ليست من طبيعتي ، ولا من شأني .. ألا وإن أحبكم إليَّ من أخذ حقاً كان له ، أو حللني فلقيت الله وأنا طيب النفس » .. لا تعجب .. فالرسول ﷺ بهذا أراد أن يؤكد لنا مدى شعوره بالمسئولية ، وأراد أن يفهمنا أنه وهو نبى الله المصطفى ﷺ يخاف أن يَلْقَى الله وفى عنقه حق لأحد فى نفس أو عرض أو مال .. وما كان ذلك ليقع منه وهو الرسول المعصوم .. لكنه أراد أن يلهب أحاسيسنا حتى نضطلع بمسئولياتنا ، وننهض بتبعاتنا ، ونؤدى ما علينا من حقوق ، وننجو ساعة الحساب يوم نقف بين يدى الله عز وجل . هذا الشعور المرهف سَرَى من رسول الله ﷺ إلى أصحابه خصوصاً خلفاءه من بعده .. أرسل عقبة بن فرقد إلى عمر بسفطين من خبيص (حلوى من تمر وعسل وسمن ونحوه) مع رسول .. فسأله عمر : أكل المسلمين يشبعون من هذا ؟ فقال الرسول : لا .. فردهما عمر عليه وكتب إليه : (أتشبع المسلمين مما تشبع منه فى رحلك .. فإنه ليس من كدك ولا من كد أمك) وفى عام الرمادة [المجاعة] يقول أسلم : إن عمر بن الخطاب حَرَّم على نفسه اللحم حتى أكله عامة الناس .

إن شعور كل فرد فى الدولة بأنه مسئول .. مسئول أمام الناس .. وأمام الله .. يحمل كل فرد على أداء واجبه ، ويدفعه إلى الاضطلاع بمسئولياته ، والنهوض بتبعاته ، والبعد عن مواطن الريب والتهم .. وفى ذلك صلاح الفرد والمجتمع ، وسلامة الدولة وقوتها .. إن هذا الشعور يغلق كل منافذ الرذيلة ، وأبواب الشر .. لا يجعل مجالاً لمحسوبية ، ولا مكاناً لمحاباة ، ولا يمكِّن أحداً من أن يستغل نفوذه ، أو يسىء استعمال سلطته ، أو يستبد بمن دونه ، أو يمد يده إلى مالا حق له فيه ، أو يقدم على أمر لم يتهيأ له ، أو يضع الشىء فى غير موضعه .. إن النقاوة تنبع من الشعور بالمسئولية .. فحين يتأجج هذا الشعور لا يوجد بيننا مكان لخائن ولا مختلس ، ولا مرتش ولا لغاش ، ولا لمستبد ، ولا لمستغل ، ولا لضعيف ، ولا لمشبوه .. ستختفى معالم الفساد ، ويقوم مجتمع الخير والقوة والفضيلة .

(ج) الإسلام يقيم حراساً للفضيلة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيم جنوداً للدولة يحمون دعوتها ،

ويبلغونها للناس ، ويصونون حدودها، ويستبسلون فى الدفاع عنها .. قال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ [٣ : ١٠٤] وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وجاهدوا فى الله حق جهاده ﴾ [٢٢ : ٧٧ - ٧٨] وقال تعالى : ﴿ فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ [٤ : ٧٤] .

ويتعهد الإسلام على الدوام معتنقيه بما يملأ نفوسهم بمعانى العزة والكرامة ، والقوة والأمل فى الغلبة والنصر : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ [٦٣ : ٨] وقال تعالى : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ [٢ : ٢٤٩] وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب * وبشر المؤمنين ﴾ [٦١ : ١٠ - ١٣] وقال تعالى : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين * وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم * ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ﴾ [٣ : ١٢٣ - ١٢٧] وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ [٨ - ١٥] وقال تعالى : ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور * أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ [٢٢ : ٣٨ - ٣٩] .

إن العرب الذين تربوا على مائدة القرآن لم يلبثوا إلا يسيراً حتى تآلفوا ، وأقاموا وحدة عربية فى ظل الإسلام .. تغلغلت جذورها فى أعماق القلوب تبعاً لتغلغل الإيمان ، وبعدئذ انطلقوا فى قوة يبشرون بمبادئهم حتى سيطروا وهم الأميون ـ من قبل ـ على أكثر أجزاء المعمورة ، وأقاموا حضارة ، وبنوا مجداً لا نزال نحن العرب نلتفت إليه لنتباهى به .. تم هذا للعرب بعد ما تمسكوا بدينهم ، واستجابوا لدعوة ربهم .. فلم تقف أية قوة فى وجوههم .. على الرغم من قلة عددهم وعددهم .. ولكن بعد أن وَهَنَ سلطان الدين فى نفوسهم ، وبعد أن قَوِى سلطان الهوى ، تفرقوا تبعاً لأهوائهم ، وتأججت نار العداوة بينهم فسهل على أعدائهم أن يبطشوا بهم ، ويتحكموا فيهم .

وبعد .. فإننا نحمد الله تعالى أن هدانا إلى طريق النصر الذى جربه أسلافنا .. فقال الرئيس : « يجب أن نتمسك بمبادىء الدين وأهدافه » ـ وأملنا فى الله أقوى ـ بعد أن نرجع إليه ونعتمد عليه أن يعيد إلينا مجدنا ، ويحقق أهدافنا .. كلمة أحب أن أقولها .. ولابد أن أقولها .. فقد عودنى رئيس الجمهورية أن يفسح صدره لى .. قال سيادته فى خطابه الأخير :

« فيه حاجات ما كنتش أقدر ألاقى لها حل .. موضوع الإذاعة .. ناس بيبعتولى جوابات ويقولوا إنهم زهقوا من الأناشيد أيام ما كانت الإذاعة أناشيد طول النهار .. الواحد منهم يريد يسمع مزيكة .. أنا سألت الناس اللى كانوا فى لندن أيام الحرب العالمية الماضية .. سألت الدكتور القيسونى .. قال لى : الإذاعة كانت ماشية زى ما هى ـ فأنا قلت لوزير الإعلام .. غير الإذاعة .. وبعدها جت لى جوابات إزاى تعمل أغانى عاطفية ونحن فى المعركة .. الموضوع فى الحقيقة ماقدرتش أجد له حل » .

هكذا عرض سيادة الرئيس المشكلة على الشعب ليتولى بنفسه حلها .. وأنا كعالم من علماء الإسلام ، ومواطن فى هذا البلد أحب أن أبدى رأيى ، وأشارك فى الحل .. والرأى عندى أن نرجع إلى حكم الدين ، وتقاليدنا العربية السليمة .. والحديث عن لندن ينبغى ألا ينسينا أنها طرف فى العدوان الثلاثى الماضى والحالى .. وقد أقرت قانوناً بإباحة الشذوذ الجنسى ،

ودَوَّى مجلس العموم فيها بالتصفيق والفرحة كما فى أخبار ٥ ، ٢٢ يولية سنة ١٩٦٧ .. وهى الآن تستعد لعمل قانون بإباحة المخدرات كما فى أهرام ٢٥ يوليو .. إذن علينا أن نستقل فى سلوكنا ، ونسأل عن ديننا وتقاليدنا المحمودة فقط ، وفى إطار الدين والفضيلة والتقاليد .. يمكن لنا أن ننوع ما يذاع فلا نقف عند الأناشيد الحماسية طول النهار .. بل نذيع تلاوة قرآن ، تفسير آيات الجهاد .. شرح أحاديثه .. قصص أسلافنا فى الحروب .. روايات فاضلة ومشجعة .. أناشيد بناءة متنوعة .. نصائح تشمل نواحى الحياة ، وتعين على فهمها ، وحل مشكلاتها .

ومن اللازم أن نفهم ما قاله أسلافنا [لكل مقام مقال] من اللازم أن نتكيف حسب ظروفنا ، ونعالج أصحاب الأمزجة المريضة ، ونطلب منهم ــ كما نطلب من المرضى ــ أن يكفوا عما لا يناسبهم .. من اللازم أن نوقظ فيهم الإحساس بأن العدو يحتل جزءًا من أرضهم ، وبأن لهم إخواناً ماتوا من أجلهم ، وآخرين شوهوا أو أسروا فى الدفاع عنهم وعن وطنهم .. فحرام أن نهنأ بعدهم حتى نثأر لهم .. وواجب أن نشارك أهليهم الشعور حتى يعلم من يدخل الحرب أن الأمة بأجمعها تقف معه ، ولا تتخلى عنه ، ولا تلهو بعد استشهاده حتى تقتص له .. لقد طالب الشعب وطالب الرئيس ببداية جادة لا تعرف الهزل ، والتمسك بقيم الدين وتعاليمه .. فمن ذا يقف فى الطريق ؟!! .

* * *

بالإسلام نبلغ ما نريد
وبالتقوى يلين لنا « الحديد »

[نشر بالاعتصام فى صفر ١٣٨٨ هـ]

العدوان الإسرائيلى مستمر ، والعلم الصهيونى لا يزال يرفرف ـ فى تحد سافر ـ على أجزاء من أرضنا .. أرض العروبة والإسلام ، والمعركة بيننا وبين العدو قائمة على أشدها .. فالواجب أن نشحذ العزائم ، ونوقظ الهمم ، ونثير الأحاسيس ، ونكتل الجهود ، ونعبىء الأمة ، ونضع الخطط ، ونحمل السلاح ، حتى نحرر الأرض التى احتلت ، ونقضى على الغاصب الدخيل ، ونحيا حياة الشرف والكرامة .. الواجب أن لا نيأس .. فالله تعالى يقول : **﴿ إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾** [١٢ : ٨٧] الواجب أن نقرن الأمل بالعمل .. قال تعالى : **﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾** [٩ : ١٠٥] .. الواجب أن تكون المعركة شغلنا الشاغل ، ونقصر تفكيرنا وجهدنا عليها .. فالهزيمة التى لحقت بنا هزيمة بشعة لا مثيل لها .. جاء فى كتاب الأستاذ محمد صبيح (المعتدون اليهود من أيام موسى إلى أيام ديان) ص ٢١٩ ما نصه :

« يقول الخبراء العسكريون : إن سوء الحظ البالغ الذى صادف مصر فى هذه العملية ـ حرب ١٩٦٧ ـ لا يحدث إلا مرة كل مليون مرة » هذا ما قاله الخبراء .. ومعناه أن الشؤم الذى حل بمصر فى هذه المعركة لم يحدث مثله فيما مضى .. فالبشرية ـ فيما نعلم ـ لم يقع فى تاريخها ألف ألف حرب .

فعلينا إذن ألا ننام ، وألا نتعافل ، وألا نلهو .. علينا أن نستعد لأعدائنا بكل ما نملك من طاقات .. علينا أن نقوم بجهود جبارة فى الدراسة والتخطيط للمعركة المقبلة وهى آتية لا ريب فيها .. علينا أن نتعرف خطط العدو وأسلحته ليمكن لنا أن نأخذ للأمر أهبته ، ولنسترد حقوقنا ومكانتنا ، ونستعيد هيبتنا وكرامتنا ، ونثأر فى ثقة وبحق لأمتنا .. علينا أن نستكمل السلاح الذى كان ينقصنا .. وفى رأيى أن السلاح الذى كان ينقصنا هو

سلاح الدين .. فقد كانت جنودنا كثيرة ، وأسلحتنا المادية وفيرة .. ولكن سلاح الدين أهملناه وفقدناه .. إن اليهود وهم دعاة العالم يدركون قيمة السلاح الديني ، وأثره الحاسم في المعارك .. لهذا اهتموا كل الاهتمام بأن يسلحوا أنفسهم به ، وأطلقوا في أجواء العالم دخاناً كثيفاً يحجب رؤية الناس له ، ومعرفتهم لفضله .

هذا أمر مؤكد يلمسه كل من قرأ « بروتوكولات حكماء صهيون » وقد ترجمها الأستاذ محمد خليفة التونسي ، ثم طبعها من بعده الأستاذ شوقي عبد الناصر .. ومن اللازم أن نسوق إلى القراء فقرات منها ليكونوا على علم بأساليب اليهود وخططهم ، وليقفوا على ألوان نشاطهم .

جاء في بروتوكول رقم ١٧ ص ١٦٣ شوقي ، ٢٠٤ تونسي :

« لقد وجهنا اهتماماً كبيراً إلى الحط من كرامة رجال الدين من الأمميين [أي غير اليهود] في أعين الناس .. وبذلك نجحنا في الإساءة إلى رسالتهم ، والإضرار بها ، وهي التي كانت تشكل عقبة كبيرة في طريقنا .. إن نفوذ رجال الدين على الناس يتضاءل يوماً بعد يوم .. اليوم تسود الحرية الدينية في كل مكان .. ولن يطول الوقت إلا لسنين قليلة حتى تنهار المسيحية انهياراً تاماً .. سيبقى علينا بعد ذلك السهل اليسير للقضاء على الديانات الأخرى .. سنجعل رجال الدين وتعاليمهم على هامش الحياة ، وسيكون تأثيرهم وبيلاً على الناس .. بل إن تعاليمهم سيكون لها أثر مخالف تماماً للأثر الذي جرت العادة أن يكون لها » .

وفي بروتوكول رقم ١٥ ص ١٤٩ شوقي ، ١٩٣ تونسي :

« نحن نبشر بمذهب التحرر لدى الأمميين .. ومن ناحية أخرى نحفظ شعبنا في خضوع كامل » .

وفي بروتوكول رقم ١٤ ص ١٤١ شوقي ١٨٤ تونسي :

« يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان .. وإذا كانت النتيجة المؤقتة لهذا هي انتشار الملحدين فإن ذلك لن يدخل في موضوعنا .. ولكنه سيفيدنا في الأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا عن دين موسى الذي وكَلَ إلينا بعقيدته الصارمة واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا » .

هكذا يحاول اليهود أن يقضوا على كل العقائد الدينية لدى الأمم الأخرى ليحتفظوا وحدهم بسلاح الدين الماضى ، وليمكن لهم به أن يسيطروا على العالم دون عقبات تقف فى طريقهم .. ونستطيع أن ندرك مدى حرص اليهود على دينهم وإيمانهم بهذا السلاح عندما ننظر إليهم فنراهم ـ فى الوقت الذى يروجون فيه لبدعة الفصل بين الدين والسياسة ـ يقيمون دولتهم على أساس يهودى ، ويعنونونها بعنوان دينى .. يسمونها باسم نبى الله (إسرائيل) لتحمل طابع القداسة الدينية ، وليكون إجلالها إجلالاً لإسرائيل ، والحفاظ عليها حفاظاً عليه نفسه ، وليجمعوا حولها كل المؤمنين به ، وليستثيروا باسمه العواطف والمشاعر حتى يتوفر لهم رصيد مذخور من المال والرجال يدافعون به عن دولتهم .

ولا يرتاب عاقل منصف فى أنهم ظلموا نبى الله إسرائيل باختيار اسمه عنواناً على دولتهم التى أسست على البغى والعدوان ، والظلم ، والطغيان ، وقتل أرباب الحقوق الشرفاء ، والتمثيل بالصبيان ، والشيوخ والنساء .. ولكن لا عتب عليهم فقد دمغهم التاريخ بأنهم أهانوا الرسل وقتلوا الأنبياء .

واستمراراً لاستثمار اليهود لعقائدهم ومقدساتهم الدينية أطلقوا فى ختام شهر فبراير سنة ١٩٦٨ بعد أن تملكتهم نشوة النصر أسماء التوراة القديمة (يهوذا والسامرة) على شرق الضفة وغربها .

إن تقديس اليهود لدينهم ، واهتمامهم به ، وإقامة دولتهم عليه لم يعد موضع جدل فى هذه الأيام .. ويكفى أن ننقل ما كتبه الأستاذ محمد صبيح فى كتابه السابق ص ٥ قال :

« لقد رأينا صور اليهود بعد أن استولوا أخيراً على بيت المقدس وهم يزحفون على بطونهم نحو حائط المبكى .. وهو التراث الذى بقى من معبد سليمان لكى يغرقوه بقبلاتهم ، وأسرع قائدهم (ديان) والمعركة فى أشدها لكى يقبل هذا الحائط ويبلله بدمع عينه الواحدة بعد ساعات من استيلائه عليه ، وكان على رأس الجميع كاهنهم الأكبر وهو يرفع التوراة .. لقد وجدنا اليهود الذين وقعوا فى الأسر ومع كل منهم نسخة من هذه التوراة وكأنها سلاح من أسلحتهم فى المعركة .. ومن الخطأ الفادح أن نعتبرها مجرد كتاب للبركة أو نظاماً للعبادة .. ولكنها منهاج عمل بالنسبة لهم » .

إن اليهود عرفوا فضل الدين فأقاموا دولتهم على أساسه .. لكى لا يعيشوا مهددين بين عالم يتسلح بالإيمان ، وينفعل بالعقيدة عملوا على إضعاف روح المقاومة الدينية فى نفوس المؤمنين بإثارة مشكلات أخرى ينصرفون إليها ، ويختلفون عليها ، وبنشر التحلل والإلحاد وسائر المبادىء الهدامة ، ووسائل اللهو ، وضروب الفنون المختلفة المنحرفة تحت شعار (التحررية والتقدمية) وغير ذلك من الشعارات الزائفة البراقة .. جاء فى البروتوكول رقم ١٣ ص ١٨١ تونسى ١٣٥ شوقى .

« سنعمل على أن تحول الصحافة نظرة الجمهور إلى وجهة جديدة .. وذلك بإثارة مشكلات جديدة .. وسيسرع المغامرون الأغبياء من السياسيين إلى مناقشة المشكلات الجديدة ، ويندفع وراءهم الرعاع الذين لا يفهمون فى أيامنا هذه حتى ما يتشدقون به » .

وفى ص ١٣٦ :

« ولكى نبعد الجماهير من أن تكشف خططنا الجديدة سنلهيها بكل أنواع الملاهى والألعاب ، وما يشغل فراغهم ، ويرضى أمزجتهم ، وكذلك الجمعيات العامة .. وما إلى ذلك .. وسرعان ما سنبدأ الإعلان فى الصحف داعين الناس إلى المشاركة فى مباريات شتى من كل أنواع النشاط .. مثل الفن ، والرياضة ، وما إليها من المتع الجديدة التى ستلهى الشعب حتماً عن المسائل التى سنختلف فيها معه .. سنحاول أن نوجه العقل العام نحو كل من النظريات البراقة التى يمكن أن تبدو تقدمية أو تحررية .. إن التقدم كفكرة زائفة يعمل على تغطية الحق حتى لا يعرف الحق أحد غيرنا نحن شعب الله المختار » .

هذه فقرات من بروتوكولاتهم تبين أهداف المؤامرة الصهيونية وأبعادها ووسائلها .. وفى اعتقادى أننا نحن المسلمين يجب أن نقف فى وجه المخطط الصهيونى بحزم وعزم ، وقوة وصلابة حتى لا ينجح أبناء صهيون فى تحقيق أملهم ، والوصول إلى هدفهم .. يجب أن نرفض فى شمم وإباء أن

نضع عقولنا وبلادنا تحت وصاية عقول تتآمر علينا فى الخفاء .. يجب أن نتنبه لهذا الخطر الداهم قبل أن يقضى على كياننا .. وفى القرآن الكريم نجد لحق ما يحمى شخصيتنا ، ويصون كرامتنا ، ويبعد عنا خطر الصهيونية ، وسائر السموم الأجنبية .. فى القرآن نجد الأسس السليمة التى نقيم عليها دولتنا .. فى القرآن ما ينير البصيرة ، ويرفع الغشاوة ، ويطرد اليأس ، ويذكى روح المقاومة ، ويشعل جذوة الحماس ، ويثير النخوة والبطولة ، ويوثق أواصر المودة ، ويقوى دعائم الألفة والوحدة بين أفراد الأمة استعداداً لملاقاة أعدائها ، ودرء خطرهم ، ودفع شرورهم ، وتقليم أظفارهم ، ورد كيدهم فى نحورهم .. ويعجبنى هنا كلمة ذكرها الأستاذ صبيح فى كتابه عن معركة سابقة أشبه بهذه المعركة .. قال فى ص ٢٥٤ :

« لم يكن نور الدين زنكى يحارب الصليبيين على أنهم نصارى بل على أنهم أجانب عن بلاد العرب والمسلمين اعتدوا على الوطن العربى ومقدساته .. ومن هنا .. فإنه لم يمس النصارى من أهل البلاد بسوء .. بل كانوا عنده مواطنين لهم حق الرعاية الكاملة .. فلم يهدم فى حياته كنيسة ، ولا آذى قساً أو راهباً .. وقد كان الصليبيون إذا دخلوا بلداً قتلوا أهله المسلمين جميعاً .. وقد جاء فى كتب الصليبيين عن هذا القائد العظيم : إن له مع الله سراً .. فإنه لا يظهر علينا بكثرة جنده وعسكره .. وإنما يظهر علينا بالدعاء وصلاة الليل فإنه يصلى بالليل ، ويرفع يديه إلى الله ، ويدعوه ليستجيب دعاءه ، ويعطيه سؤاله ، ولا يرده خائباً فيظهر علينا » .

إن استمساك المسلمين بدينهم سيكون مفتاح النصر على الصهيونيين كما كان من قبل مفتاح النصر على الصليبيين ، والتفاف المسلمين حول القرآن ، واستجابتهم له سيكون أعظم أثراً من التفاف اليهود حول التوراة .. فالقرآن أبدع منها مبنى ، وأجل منها معنى ، وأعمق منها أثراً .. وإذا كانت نفوس كثير من مسلمى العصر خالية من كل أثر قرآنى فذلك لأنهم لم يجلسوا إلى القرآن جلوس المريض إلى طبيبه يستجيب لنصحه ، ويخضع لإرشاداته ، ويأتمر بأمره ، ويذعن لتعليماته .. ولكنهم جلسوا إليه جلوس اللاهى

العابث الغافل ، فاستحقوا أن يحرموا من نعمته ، ويطردوا من رحمته ، ويسلط عليهم من هو أدنى منهم حتى يعودوا إلى حكمه ، وينقادوا لأمره .

لنجلس إلى القرآن ، ولنستمع إليه فى ثقة ويقين ، ولنتقبل كل ما يرشد إليه .. ففيه نجاتنا وحياتنا وسعادتنا .. قال تعالى : ﴿ **يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين** ﴾ [١٠ – ٥٧] وقال تعالى : ﴿ **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم** ﴾ [١٧ : ٩] وقال تعالى : ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** ﴾ [٥ : ١٥ – ١٦] لنأخذ دواءنا منه .. فهو دواء مضمون الفائدة ، بالغ الأثر .. لأنه من قبل الله الذى خلق الإنسان والأكوان ، ويعلم الخفايا والأسرار ، وما يحدث بالليل والنهار .. قال تعالى : ﴿ **قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض** ﴾ [٢٥ : ٦] .. لنتمسك بالإسلام الذى دعا القرآن إليه ، ولْنُقم صرح دولتنا عليه ، ولنهتم بأمر التربية الدينية فى بيوتنا ، ومدارسنا ، ومجتمعاتنا .. فبها تسعد الأمة ، وتزدهر الدولة .

إن الإسلام دين الفطرة ، يتمشى مع طابع البشر وطاقاتهم ، ويستجيب لمطالبهم واحتياجاتهم ، لا يقصر عن تحقيق غاية ، ولا يضعف عن بلوغ أمنية .. كل ما يريدونه فى حياتهم العصرية من أسباب الرق يجدونه فى ظلاله ، وينعمون به فى رحابه .

١ – يفتح أبواب الأمل ، ويسد منافذ اليأس ، ويقوى الرجاء فى الله ، ويملأ نفوس المؤمنين بالعزة ، ويشحنها بالثقة فى مستقبل باهر زاهر إن هى آمنت بربها ، وعملت بدينها .. قال تعالى : ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ [٦٣ : ٨] وقال تعالى : ﴿ **ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون** ﴾ [١٥ : ٥٦] وقال تعالى : ﴿ **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز * الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ [٢٢ : ٤٠ – ٤١] .

٢ – يدعو إلى الأخذ بوسائل القوة ، وأسباب المنعة ، ويطلب من أتباعه أن يتسلحوا بالأسلحة المادية والروحية حماية للدولة ، وإرهاباً للعدو ،

وإعلاء للحق ، ودفعاً للباطل ، ويبشر المجاهدين المخلصين بانتصار كريم ، وثواب عظيم ، ونعيم مقيم .. قال تعالى : **﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾** [٨ : ٦٠] وقال تعالى : **﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾** [٩ : ٤١] وقالتعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾** [٦١ : ١٠ – ١٣] .

٣ – يدعو إلى العلم بأوسع معانيه ، ويحض عليه ، ويرغب فيه ، ويقدم للناس كتابين جامعين : كتاب القرآن ، وكتاب الأكوان ، ويطلب إليهم أن ينظروا فيهما ، ويتأملوا فى محتوياتهما ليقفوا على أسرار آيات الله التنزيلية والكونية فيؤمنوا به ، ويسجدوا لعظمته ، عظمته التى يشهد بها بليغ قوله ، وبديع فعله ، وجميل صنعه .. قال تعالى : **﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾** [٣٨ : ٢٩] وقال تعالى : **﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ﴾** [١٠ : ١٠١] لقد يسر الله القرآن للناس لعلهم يتذكرون .. قال تعالى : **﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾** [٥٤ : ٣٢] ويسر كتاب الكون لهم لعلهم ينتفعون .. قال تعالى : **﴿ الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾** [٤٥ : ١٢ – ١٣] .

قدم لهم كتاب الكون ، ويسر لهم طريق الانتفاع به ، وأرشدهم إلى أن مفتاح التسخير وهو التفكير ، فواعجباً للعرب .. وواعجباً للمسلمين .. خاطبهم المولى بهذا قبل أن يخاطب من عداهم .. لكنهم عموا وصموا ، ولو استجابوا دعوة الله فأعملوا سمعهم وبصرهم وفكرهم فى بدائع القرآن ، وروائع الأكوان لكانوا أسبق إلى اكتشاف « المخترعات الحديثة » من الروس والأمريكان .

يا ويح قومي سخر المولى لهم ما في الورى لكنهم جهلاء
أسلافنا فهموا الكتاب فدققوا في الكون حتى برَّز العلماء
في الطب في الأفلاك في الجغرافيا في الكيمياء فطاحل نبغاء
تركوا لنا من كل فن ثروة من كدهم وأضاعهـــا الأبنـــاء

نعم لقد نبغ أسلافنا في كل علم ، وبرزوا في كل فن ، وكان لهم الفضل على أهل الشرق والغرب .. لكن خلف من بعدهم خلف أهملوا العلوم والفنون ، واتبعوا الأهواء والشهوات ، وبرعوا في اللهو المفسد ، ففسدت أخلاقهم ، ووهت عزائمهم ، وانحلت روابطهم ، وزالت هيبتهم ، فتجرأ عليهم عدوهم ، وبغى عليهم ، وسامهم الخسف .. وتلك عقبى المفرطين .

أيا أمة الإسلام هذا رسولكم أتاكم بدين من يواليه ينصر
يشيد للعلم الصحيح معاقلاً ويكشف أسرار الوجود ويظهر
ويدعو إلى التفكير في ملكوته ويفتح آفاق السماء لتنظروا
فما بال قومي قد تعاموا عن الهدى وملوا حياة العلم حتى تأخروا
لقد كشف الأعداء أسرار خلقه ونحن بهذا الكشف أولى وأجدر
أعدوا لهم ما تستطيعون من قوى ولا تركنوا للجهل فهو مدمر
فإن تك إسرائيل أمسى بلاؤها خطيراً فبلوى الجهل أدهى وأخطر
أيا أمة الإسلام جدوا وحاذروا وإياكمو واللهو فهو مخدر
أفيقوا فما بالرقص نجلي عدونا ولا بالغواني العاريات نحرر

٤ ــ يقيم مجتمعاً عاملاً فاضلاً يتخلق بالأخلاق الحميدة ، ويتعاون على الخير والحق .. لا على الشر والباطل .. قال تعالى : ﴿ **والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ [١٠٣ : ١ ـ ٣] وقال تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى** ﴾ [١٦ : ٩٠] وقال تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ [٥ : ٢] وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾ [٨ : ٢٧]

٥ ـ يقيم حكماً نظيفاً يحفظ على الناس كرامتهم وحريتهم ، ويوفر لهم حاجتهم ، ويحمى دماءهم وجلودهم ، وأموالهم وأعراضهم ، ويجلب لهم الخير ، ويدفع عنهم الشر ويحقق لهم الهناءة .. فلا استبداد فيه ولا ظلم ، ولا سلب ولا نهب ، ولا خيـانة ولا عفـونة ، ولا كبت للحريات .. وإلى القراء نسوق هذه الواقعة ليعرفوا منها روح الإسلام فى الحكم .

يروى عن إياس بن سلمة عن أبيه قال : مَرَّ عمر بن الخطاب فى السوق ومعه الدرة فخفقنى بها خفقة فأصاب طرف ثيابى وقال : أمط عن الطريق .. فلما كان فى العام المقبل لقينى فقال يا سلمة تريد الحج فقلت : نعم .. فأخذ بيدى فانطلق إلى منزله فأعطانى ستمائة درهم وقال استعن بها على حجك واعلم أنها بالخفقة التى خفقتك .. قلت : يا أمير المؤمنين .. ما ذكرتها قال : وأنا والله ما نسيتها .

هكذا يحاسب الحاكم نفسه ، ويبالغ فى حسابها على خفقة ويذكرها بعد عام كامل ، ثم يغرم من ماله الخاص ثمن هذا الحساب .. إن هذا فيه عظة وذكرى .

أيها المسلمون : هذا هو ديننا به تبلغ ما نريد من علم نافع ، وخلق فاضل ، وقوة وسيادة ، وحرية وسعادة .

* * *

جمال عبد الناصر
يبعث بتحياته إلى حاخام اليهود

لماذا أرسل جمال عبد الناصر تحيته إلى الحاخام
فى اليوم الذى أعْدم فيه ستة من الأخوان؟!!

الحاخام ساند أتاتورك فى اضطهاد الإسلام ورجاله

إننى بفطرتى وطبيعتى ، ودينى وخلقى أرفض الإرهاب أياً كان لونه أو مصدره .. من حاكم أو محكوم .. ولم أشرف بالانتساب إلى « جماعة الإخوان المسلمين » ، وقد كنت ولا زلت عضواً فى الجمعية الشرعية .. وعندما قبض على الإخوان نَصَحْتُ للمسئولين أن تكون الكلمة العليا للقضاء العادل النزيه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة .. وبعد الإسراع فى إعدام زعماء الإخوان عقب محاكمات تناقلت الألسن ما جرى فيها من إكراه وتعذيب كتبت فى عدد شعبان من الاعتصام سنة ١٣٧٤ هـ إبريل سنة ١٩٥٥ صفحة ١٣ تحت عنوان :

من عيــون الشعر

وأبأس خلق الله فى الناس أمة   تضام ومنها للذى ضامها جند
وأعضل داء أن ترى العين ظالماً   يسيء ويتلى فى المحافل حمده

وقد لاحظت ملاحظة عجيبة لم أعرف لها تفسيراً حتى الآن ..

لاحظت أنه نشر فى جريدة الأهرام يوم الأربعاء ٨ ديسمبر سنة ١٩٥٤ م ١٢ ربيع الآخر ١٣٧٤ هـ بالصفحة الأولى ما نصه بالحرف الواحد .

تنفيذ حكم الإعدام فى ٦ من الإخوان

ثم ذكرت الجريدة أسماء الأستاذ عبد القادر عودة وزملائه ، وتسليم جثثهم لأقاربهم ، ودفن الشيخ محمد فرغلى والأستاذ هنداوى دوير بمقابر الحكومة .. أو مقابر الصدقة !!.

وفى الصفحة الثامنة من هذه الجريدة نفسها ورد ما نصه بالحرف الواحد :

« أوفد الرئيس جمال عبد الناصر محافظ القاهرة لتوديع سمو الأمير فهد آل سعود عند سفره إلى جدة وإبلاغه تحيات سيادته ، والأستاذ صلاح الشاهد تشريفاتى الرياسة للاستفسار عن صحة سيادة « حايم ناحوم » الحاخام الأكبر لليهود وإبلاغ سيادته تحيات الرئيس وتمنياته بالشفاء العاجل » .

وفى هذه الأيام شاع أن الأمير فهد طلب من الرئيس جمال أن يخفف الأحكام التى صدرت ضد الإخوان ، فاعتذر له ولم يقبل شفاعة الأمير .

ويلاحظ أن الرئيس جمال عبد الناصر أرسل يوم إعدام الإخوان الستة إلى الحاخام الأكبر لليهود متمنياً له الصحة مع تحياته الطيبة دون مراعاة لمشاعر المسلمين .. يعنى إعدام هنا .. واسترضاء هناك .

وأحب أن أسلط بعض الضوء على الحاخام ناحوم لنعرف من هو ؟ .

... لقد قام الحاخام [حايم ناحوم] بدور كبير فى إسقاط دولة الخلافة وتولى (مصطفى كمال أتاتورك) على تركيا ، وإعلان أن الدولة أصبحت لادينية .. وكان ذلك سبباً فى فرار كثير من العلماء المسلمين وذبح بعضهم .. والحاخام هو الذى فتح لليهود باب الهجرة إلى تركيا ليقتربوا من فلسطين وصار الحاخام مبعوث أتاتورك إلى مؤتمر لوزان ، ولما عينه سفيراً لتركيا فى أمريكا فضل أن يكون حاخاماً لليهود فى مصر .. وقد انتقل إليها ، وعاش مكرماً فيها حتى قامت ثورة ٢٣ يولية .. ولا أدرى .. لماذا سأل الرئيس جمال عبد الناصر عن صحة الحاخام ، وبعث إليه بتحيته فى ذلك اليوم المشئوم ؟!!.

ولوحظ بعد ذلك أن اليهود قاموا داخل البلاد بنشاط تخريبى واسع ، أثار الأمة ، وأحرج الحكومة ، فَقَدِّمت فوجين من اليهود إلى المحاكمة ضبط فى حيازتهم قنابل ومفرقعات .. لكن المحكمة التى قدموا إليها كانت طويلة النفس .. حضرها أحد رجال هيئة الأمم ، وشهد بعدالتها على عكس المحاكم

التى قدم إليها الإخوان .. قام الجيش الإسرائيلى بغارة على جيشنا فى غزة قتل فيها عدد كبير منه ، واستنكرت كل الهيئات فى مصر والخارج وهيئة الأمم هذه الغارة الوحشية الغادرة ، ولم يحرك الحاخام ساكناً .. سألنا عن صحته ولم يسأل عن صحتنا .. وقد سجلت هذا فى حينه فى مقال بعنوان « لماذا سكت الحاخام » وهنا أنقل ما نشر بصفحة ١٥ فى ٦ من شعبان سنة ١٣٧٤ أبريل ١٩٥٥ بالنص :

عاش اليهود ــ أيام الحكم الإسلامى يتمتعون بحريتهم الدينية ، وحريتهم الشخصية .. واليوم فى أرض مصر وفى عهد حكومة الثورة يعيش اليهود عيشة راضية مرضية .. ينعمون فيها بنعمة الأمن والطمأنينة والسكينة .. والحاخام يعيش فى بلادنا قرير العين ، هادىء البال ، راضى النفس ، يعرف له المصريون وعلى رأسهم قادة الثورة حقوقه ، ولا يخطر ببال واحد منهم أن يخلط بين يهود مصر ويهود إسرائيل .. على الرغم مما لمسوه فى حرب فلسطين من عداء سافر ، وبلاء محكم ، وشر مستطير .. على الرغم من هذا كله يراعى رجال الثورة حقوقهم ، ويحمون ظهورهم ، ولا يَدَعون مجالاً للعنصرية ، أو سبيلاً إلى التفرقة .

وفى الوقت الذى يقول فيه الرئيس جمال عبد الناصر إنه قرر أن يضرب على الفساد بيد من حديد يحيى بيده الأخرى الناعمة حاخام اليهود ، ويرسل إليه وهو الذى يتكلم باسم الجيش والحكومة والشعب يرسل إليه يوم إعدام ست من كبار قادة الإخوان ١١ ــ ٤ ــ ١٣٧٤ صلاح الشاهد تشريفاتى الرياسة ليسأل عن صحته ، وليطلب له عاجل الشفاء ، وطول البقاء !! هذا هو موقف المصريين حكومة وجيشاً وشعباً من يهود مصر ، ومن حاخامهم الكبير .. وهذا هو أسلوب الثورة فى معاملتهم .. فما هو أسلوبهم الذى سلكوه معنا ؟ وما هى التحية التى ردوا بها علينا ؟ نقرأ الصحف فنجد الجواب .. مؤامرات تتلوها مؤامرات ضد مستقبل البلاد .. خلايا صهيونية شيوعية تعبث فى الظلام ، وتثير الاضطراب فى أنحاء الجمهورية .. قنابل ومفرقعات تضبط فى حيازتهم ليستعينوا بها على التخريب والتدمير .. عيون وجواسيس على الجيش الذى آواهم ، وأحسن إليهم وحماهم ، جمعيات تتألف لتهريب الأموال لتصاب

البلاد بالكساد والدمار .. أسر وعائلات ترحل من بلادنا إلى إسرائيل دون حياء أو خجل .. كل هذا يجرى على مرأى من الحاخام ومسمع منه .

ويقدم فوجان منهم أمام محكمة عادلة طويلة النفس ، شهد بعدالتها أحد رجال هيئة الأمم المتحدة ثم تدينهم ، والحاخام لا يحرك ساكناً ، ولا يقدم لأبناء ملته نصيحة ، ولا يكتب لهم بياناً ، ولا يحملهم مسئولية هذه الخيانة .. ولو فعل ذلك لكان غير ملوم .. وهل يلام رجل الدين إذا أدى واجبه ، وقال كلمة الحق وإن كانت مرة .

لقد سبق من قبل شيخ الأزهر ، وأصدر متعجلاً بياناً ضد نفر من أبناء ملته ، وبنى جلدته .. فماذا على الحاخام لو أعان رجال الثورة فى محاربتهم للفساد ، وقضائهم على الخيانة .

إنه لعجيب أن يقع هذا داخل بلادنا والحاخام لا يتحرك ، ثم يغدر يهود إسرائيل بجيش مصر الباسل فى قطاع غزة ، وتهتز الدنيا بأجمعها لهذه الخيانة ، ويدينها مجلس الأمن بالإجماع لأول مرة ، وتواسينا دول العالم فى هذه النكبة .. يحدث هذا كله والحاخام لا يواسينا بكلمة ، ولا يجاملنا بعبارة ، ولا يبدى أسفه لما أصاب جيش مصر الباسل على يد الخونة .. نواسيه ولا يواسينا .. نحييه ولا يحيينا .. نسأل عن صحته ولا يسأل عن صحتنا .. نقف إلى جواره ولا يقف إلى جوارنا .. نحمى ظهره ولا يحمى ظهورنا .. إننى أسأل الحاخام : ما رأيه فى كل هذا ؟! إننى أطلب منه أن يصدر بياناً عاجلاً يعبر فيه عن وجهة نظره فى خيانات اليهود .. أطلب منه بياناً عاجلاً ولا أطلب منه معونة مادية .. فنحن نعرف ــ بحول الله وقوته ــ كيف ندافع عن بلادنا .

* * *

لقاءات
مع مجلة المجتمع الكويتية

« نشرت « مجلة المجتمع » التى تصدر بالكويت يوم الثلاثاء ١٧ من شوال سنة ١٣٩٥ هـ ٢١ من أكتوبر سنة ١٩٧٥ م فى العدد (٢٧١) قالت المجلة ما نصه بالحرف فى ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ » :

أثناء زيارته للكويت ـ بدعوة من وزارة العدل والأوقاف والشئون الإسلامية ـ أجرت « المجتمع » لقاء مع الشيخ محمود عبد الوهاب فايد الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

والشيخ محمود فايد من العلماء الذين يجهرون بالدعوة ، ويعيشون قضايا الإسلام والمسلمين .

وقراء الزميلة « الاعتصام » ـ مثلاً ـ يعرفون جهاده الفكرى المتواصل فى مناصرة الحق والمعروف ، وقمع الباطل والمنكر .

وقد طرحنا عليه عدة أسئلة .. أجاب عليها مشكوراً .

السؤال الأول

• البلاغ المبين أو الصدع بالحق أو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب يناط بعلماء الإسلام فى كل حين .. فإذا ساد الضلال وابتعد الناس عن الدين كان ذلك الواجب أظهر وألزم .

وفى هذه الفترة من عمر الأمة ، توالت الانحرافات ، وانتشرت فى مجالات العقيدة والحكم ، والسلوك والتربية ، والإعلام والاقتصاد ، وعلائق الأمة بغيرها من الأمم .. وفى نفس الوقت لوحظ سكوت العلماء ، أو خفوت صوتهم إزاء ما يجرى من

انحرافات مزلزلة .. فبم تفسر هذه الظاهرة ؟ وكيف يعالج هذا الموضع .. وضع العلماء الساكتين ؟ .

الجواب على السؤال يحتاج إلى مقدمة :

فى عصرنا هذا اشتدت المؤامرات ، وكثرت على الإسلام وعلى الدعاة إليه ، واشترك فى هذا التآمر : الصليبيون ، والصهيونيون ، والماسونيون ، والشيوعيون ، وكشف كل فريق النقاب عن وجهه ، وأعلن عن مطامعه ، واتخذ الوسائل المدروسة التى ينال بها إربه ، وتبلغه غرضه .

نعم .. بعد أن انتهت الحروب الصليبية بالفشل الذريع ، أخذ أعداء الإسلام ـ على اختلاف مللهم وأهدافهم ـ يستعدون للمستقبل ، ويتهيأون للغد .. على حين اغتر المسلمون بهذا النصر فناموا عن أعدائهم وطال نومهم .. وليتهم احتفظوا بوحدتهم وقوتهم .. بل فرقتهم الأهواء ، ومزقتهم المطامع ، وانقطعت الرابطة بين الحكام والمحكومين واشتغل الناس بأنفسهم عن دينهم ، وخرجوا على تعاليمه .. برغم أنه كان الحارس لدنياهم وأخراهم ، وأدرك الأعداء بفضل عيونهم ما تفشى بين المسلمين من قلاقل واضطرابات ، وفتن وخلافات ، فانتظروا ساعة الضعف ، وانقضُّوا على بلاد الإسلام فاحتلوها ، وتقاسموها ، وعرف الأعداء أن سر قوة المسلمين هو قرآنهم .. قال [غلادستون] رئيس وزراء بريطانيا الأسبق :

« ما دام هذا القرآن فى الشرق فلن يتم لنا استعماره » .

وتأكد لديهم أنه لا يمكن لهم أن يواجهوا القرآن بحرب علنية بأن يصادروه ويحرقوه . لأن هذا يثير عليهم ثائرة المسلمين ، فاكتفوا بأن يعملوا على تنحيته عن كل مجالات الحياة بصورة مستورة لا تثير فى تقديرهم نفساً ، ولا تستوقف حساً .

وبدأ الأعداء يصطفون لأنفسهم رجالاً نالوا ثقتهم وتأييدهم ، ومكنوا لهم فى الحكم ، وأخذوا يوجهونهم من وراء الستار ، ولعب الخلاف البغيض فى مستقبل البلاد .. فكلما بدا لِحِزْبٍ أن يحكم فعليه أن يتودد للغاصبين المحتلين ، وحرص الأعداء على ألا يمكنوا لطائفة دون طائفة ليمكن لهم أن يظفروا برضاهم جميعاً .. فكلما بلغت طائفة غايتها من الحكم ،

ومكنت لأنصارها ، ونكلت بخصومها رفع الغاصبون أيديهم عنها ، ومكنوا لمعارضيها ليصنعوا بهم مثل ما صنعوا معهم من قبل ، وليمكنوا لأنصارهم كما فعل أسلافهم .

وفى غمرة هذا بدأ الأعداء ينفذون مخططاتهم .. لا بأس من طبع القرآن طبعة أنيقة تقدم فى المناسبات فى غلاف ثمين لا يفتح بعدئذ للقراءة .. بل يفتح لمشاهدة روعة الطباعة والصناعة .. إلى جانب هذا اتخذوا خططاً مدروسة محكمة لإبعاد القرآن عن السياسة ، والحكم ، والقضاء ، والمدرسة ، والبيت ، والمجتمع .. وزاد التآمر فاقتحموا عليه المسجد .

وبدأوا بفتح مدارس مدنية ، وإغلاق مكاتب تحفيظ القرآن لأسباب صحية .. ومن هذه المدارس يتخرج من يوكل إليه الحكم ، وليس عنده دراية بعلوم الدين ، وثنّوا بإنشاء محاكم تحكم بقوانين لم يشرعها الله ، وروجوا مبدأ الفصل بين الدين والسياسة لعزل علماء الإسلام ، وحجب تأثيرهم ، وأعلنوا السخرية بالعلماء فى كل أجهزة الإعلام لتنمحى هيبتهم من قلوب العامة والخاصة ، واختلقوا لهم التهم ليزجوا بهم فى السجون ، وحرموا أولادهم من لقمة العيش ليعرضوهم للضياع ، وبعد أن أخافوا الدعاة أشاعوا الفجور ، وقضوا على تقاليد الأسرة لينشروا التحلل ، ولم يبق للمسجد وظيفة سوى أن ينقر فيه السجدات فى سرعة واستحياء !!.

هذا كله أثر ولاشك على الدعاة إلى الله ، وأحدث ركوداً فى الدعوة .. ومع هذا فلا أحب أن أتشاءم .. فالتشاؤم ليس من الإسلام ، لا أقبل أن نيأس **﴿ إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾** [١٢ : ٧٨] .

لقد بدأ الميزان يتغير ــ وفى نظرى ــ لصالح الدعوة الإسلامية ، وظهرت مجلات إسلامية لم تكن من قبل ، وبدأ صوت الدعوة إلى الله يرتفع ، وأخذت الحقائق تتكشف ، وتبين للناس ما كان محجوباً عنهم من مآس .

قد يكون هذا التغير ضئيلاً .. لكنه عما قريب سينمو ، والشجرة الباسقة أصلها بذرة مدفونة .. والمطلوب أن يسير الدعاة إلى الله بخطى

مدروسة ومتزنة ، وأن يواصلوا السير فى روية وحكمة ، وأن تكثر اللقاءات بين الدعاة إلى الله فى الدول الإسلامية ليتعرف بعضهم على بعض ، وليتدارسوا كيف يبلغون الدعوة على حقيقتها ، وكيف يواجهون الانحرافات على اختلافها ، وكيف يُؤَمِّنون أنفسهم من بطش الحكام ، وليكن شعارهم قوله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [٥ : ٢] .

.. هذا هو العلاج .

السؤال الثانى

• لو كنت شيخاً للأزهر .. ماذا تفعل ؟

* وجه إلىَّ هذا السؤال أكثر من مرة عقب مواقف وفقنى الله تعالى فيها .. بعضها مع رئيس الجمهورية السابق .. وبعضها مع أحد شيوخ الأزهر .. وفى كل مرة كنت أرفض الإجابة ذاكراً موقف الإمام مالك عندما كان يسأل عن مسألة فيقول : أوقعت ؟ فإن قيل له : لا .. قال : دعوها حتى تقع .. وكنت أخشى أن يتلقف السائلون الإجابة ليفسروا مواقفى بأنى طامع تحركنى المطامع .. والآن لا أجد مانعاً من الإجابة .. فأقول وبالله أستعين :

١ ـ أعيد النظر فى قانون تطوير الأزهر ، ومناهجه ، تفادياً للأخطاء التى انكشفت ، وعملاً على إيجاد العالم المبرز فى علوم الدين والحياة .

والقسم الثانوى أرى أن يتفرع إلى فروع : قسم دينى .. قسم أدبى .. قسم رياضى .. قسم علمى .. وفى كل هذه الأقسام يعطى الطالب وجبات دينية عربية تقل وتكثر حسب ما تتطلبه الكليات التى يلتحق بها ، وبشرط أن تكون كمية كافية لتذوق العلوم العربية والدينية .. وبهذا نخفف العبء عن الطالب ، ونراعى التناسب بين مواد الثانوى والكليات ، وتزود الطالب بالعلوم الدينية والعربية اللازمة لفهم الإسلام والدعوة إليه .

٢ ـ إنشاء مجلس علمى صحفى لمتابعة ما ينشر فى الصحف والرد على ما ينشر مما يتنافى مع الإسلام مع بيان مزايا ديننا التى يفوق بها ما عداه .

٣ ـ إنشاء صحيفة أسبوعية تتحول فى المستقبل إلى يومية تكون مرآة للأزهر ، وينشر فيها الأزهريون ما يتراءى لهم ، ويشرف عليها أزهريون من صفوة العلماء الأدباء وصحفيون مهرة من ذوى الخبرة .

٤ ـ أعمل على تعيين ملحق دينى بكل سفارة يتابع ما يكتب عن الإسلام ، ويتولى الرد على الزائف منه ويعتنى بدراسة أحوال الدولة ، ومدى استعدادها للسماح للإسلام بأن يتنفس فيها ، وللأزهر بأن تتعاون معه .

٥ ـ تشجيع الطلاب الأزهريين بمكافآت نقدية ، وكتب علمية ، وأوسمة شرفية ليؤدوا واجبهم أيام العطلة الصيفية بإلقاء دروس دينية عقب صلاة الفجر لمدةنصف ساعة ، ودروس أخرى لمحو الأمية عقب صلاة العصر ، ودروس أخرى دينية بين المغرب والعشاء .

٦ ـ أسعى لجعل الأزهر مؤسسة إسلامية مستقلة يكون العالم الإسلامى مسئولاً عن الإنفاق عليها ، وأسعى لإقامة اتحاد بين الجامعات الإسلامية فى أنحاء العالم الإسلامى يكون من حق المشتركين فيه انتخاب شيخ الأزهر ، ولا يشترط أن يكون مصرياً .. بل يكتفى بأن يكون عالماً مشهوداً له بالكفاءة العلمية ، والدينية .. والخلقية ، والغيرة على دين الله وحرماته .. وبهذا نضمن له حرية الحركة وعدم تأثره بالأجواء السياسية المختلفة ، ويمكن للأزهر أن يقوم بوظيفة التعليم والتبليغ لما يتوافر لديه من مال يجمع من سائر دول العالم الإسلامى .

٧ ـ أوثق الروابط بين الأزهر والجامعات الإسلامية الأخرى والجمعيات الإسلامية فى بلاد العالم الإسلامى ، بتبادل الزيارات ، وعقد المؤتمرات لدراسة أحوال المسلمين ، ومعالجة مشكلاتهم على ضوء تعاليم الإسلام .

٨ ـ إرسال بعثات لتبليغ الإسلام إلى الدول التى تجهله فى قارات العالم .

٩ ـ أقوم بتوزيع مواد القوانين الوضعية على جامعة الأزهر والمعاهد الدينية الأزهرية لدراستها دراسة فاحصة وصياغة المواد التى تخالف الإسلام

صياغة تتفق مع تشاريعه ، ثم تراجع مع لجنة قانونية وتحول إلى الجامعات الإسلامية فى العالم الإسلامى لإبداء رأيها فيها ، ثم تحول لمجمع البحوث لإقرارها ثم أطالب بتطبيقها حتى يتحقق هذا الأمل الذى يراودنا جميعاً (١) .

السؤال الثالث

اليهود هم اليهود فى كل زمان ومكان

• يقول الله تعالى : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ وهناك دعوات فى الأمم المتحدة وغيرها تبتغى « إنهاء حالة العداء » بين هذه الأمة .. ويهود .. فكيف تنهى حالة العداء .. بينما النص القرآنى واضح ومحكم ؟. .

* آية : **﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾** [٥ : ٨٢] اختلف المفسرون فيها : هل يراد بها العموم أو الخصوص .. ومهما يكن من أمر فيهود زماننا لا ينبغى أن نختلف فى أنهم أشد الناس عداوة لنا . فقد احتلوا أرضنا ، وسفكوا دماءنا ، وانتهكوا حرماتنا ، ونوايا « الشر والغدر » لا تفارق قلوبهم لحظة واحدة .. كيف لا .. وهم فى الوقت الذى يمدون فيه يد السلام يستزيدون من الأسلحة المدمرة ؟!! أليس هذا يعنى استعداد اليهود للغدر حين تواتيهم الفرصة ؟!! .

---

(١) تنشيط مجمع البحوث ليظل فى حركة دائمة ، وإمداده بكل ما يعينه ومن يعينه فى أداء رسالته من خدمة الكتاب والسنة ، وحفظ الشريعة وتقنينها ونشر التراث ، وبيان أحكام المعاملات الحديثة ، ومزايا تعاليم الإسلام .. ودفع ما يوجه إليه من مطاعن ، والحفاظ على اللغة ، وجعل مادة التربية العسكرية إجبارية فى جميع مراحل التعليم ، والتوسع فيها حتى يتدرب الأزهريون جميعاً على استعمال كل أنواع الأسلحة الحديثة ، ويلموا بكل الفنون العسكرية ليكونوا على أتم استعداد للجهاد العملى إذا أذن مؤذن الجهاد . وتكوين مجلس قضائى ، ومجلس للنظر فى شكاوى الأزهريين المتعلقة بأعمالهم ، والبت فيها فى ظرف شهر بما يحقق العدالة ، ويضمن حسن سير العمل .

إن اليهود وهم يزعمون أنهم يمدون يدهم للسلام لا يزالون يستجلبون أحدث أسلحة الدمار من أمريكا .. وأمريكا تفتح لهم ترساناتها ليغرفوا منها كما يشاؤن .. فواجب ألا نغفل لحظة واحدة عن عدونا ، وواجب أن نستعد له ، ونتخذ كل الوسائل الناجحة التى تمكننا من مقاومته وإجلائه ، وواجب أن نتسلح بكل الأسلحة المادية والمعنوية ، ونشترى السلاح من كل دولة حتى يهابنا العدو ، ويتحقق لنا النصر الذى نبتغيه : ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز * الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ [٢٢ : ٤٠ ، ٤١] ، ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ [٨ : ٦٠] .. وواجب أن نربى أمتنا على تعاليم الإسلام وفضائله ، ونستمسك بحبله ، ونتجنب كل ما يغضب الله ، ويستوجب عقابه ، وواجب أن ندرب شبابنا باستمرار على أنواع الأسلحة ، ونكون على استعداد فى كل وقت لملاقاة العدو .. فكفانا ما حل بنا من محن ، وما نزل بنا من فتن .

إن عداوة اليهود لنا قائمة ، وستظل قائمة إلى أن تقوم الساعة .. روى البخارى ومسلم عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ : « **تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم .. هذا يهودى ورائى فاقتله** » (١) .

ولنتأمل كلمة (يا مسلم) إنه لا يقول (يا شيوعى يا .. يا ..) بل يقول (يا مسلم) .

إن تجمع اليهود فى فلسطين ، وما أحرزوه من نصر فى هذا العصر إنما هو لتمتلىء نفوسهم بالغرور والطمأنينة فيسرعوا فى شوق بالرحيل إليها ، والتهافت عليها حتى إذا تم ذلك كرَّه الله فيهم خلقه حتى الحجر .. ويومئذ يسلط الله عليهم عباده المسلمين حقاً فيخلصوا العالم منهم دفعاً لأذاهم ، وحسماً لشذاهم .

---

(١) فى رواية ذكرها الفتح الكبير فى زياداته ج ٣ ص ٣٣٤ عزاها إلى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودى : يا مسلم .. هذا يهودى ورائى فاقتله » .

مرة أخرى أقول : يجب أن نرتفع لمستوى الجهاد الصادق فى سبيل الله ، ونتمسك بعودة أرضنا .. وإنى أنصح لإخواننا الفلسطينيين قواهم الله ، وبارك فى جهادهم وجهودهم أن يحسنوا نواياهم ، ويتمسكوا بإقامة دولة إسلامية تقوم على الإسلام ، وتعتمد عليه ، وترجع فى كل شئونها إليه ، وليطمئن إخواننا المسيحيون .. بل ليطمئن اليهود الذين كانوا يعيشون فى فلسطين قبل الغزو والاحتلال حين تكون فلسطين كلها دولة إسلامية .. فالإسلام يتسع صدره للمخالفين المسالمين .. وهو سمح كريم لا يستثير أحداً .. لقد كرم موسى عليه السلام .. قال تعالى : ﴿ **وكان عند الله وجيهاً** ﴾ [٣٣ : ٦٩] ومجد كتابه المنزل .. قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور** ﴾ [٥ : ٤٤] كذلك مجد عيسى .. قال تعالى : ﴿ **وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين * ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين** ﴾ [٣ : ٤٥ ، ٤٦] ، ومجد كتابه الذى أتاه الله له .. قال تعالى : ﴿ **وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور** ﴾ [٥ : ٤٦] ومجد أمه المطهرة ، ونفى عنها الفرية فقال : ﴿ **إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين** ﴾ [٣ : ٤٢] .

ولا يقبل الإسلام إيمان عبد إلا إذا آمن بالرسل جميعاً دون تفريق .. قال تعالى : ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** ﴾ [٢ : ١٣٦] .

والإسلام يدعــو الناس إلى الدخــول فيه دون إكراه .. قال تعالى : ﴿ **لا إكراه فى الدين** ﴾ [٢ : ٢٥٦] ويدعو إلى البر بغير المسلمين ، والعدل معهم ، والإحسان إليهم بشرط أن يكونوا مسالمين .. قال تعالى : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ﴾ [٦٠ : ٨] وقال تعالى : ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ [٥ : ٨] .

إن الجهد الذى نبذله لإقامة دولة علمانية أولى أن نبذله لإقامة دولة إسلامية ، وسيبارك الله هذا الجهد : ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾ [سورة الروم آية ٤ ، ٥] .

السؤال الرابع

القلة الخيرة أقوى من الكثرة الشريرة

• نقرأ لك كتابات متنوعة فى « الاعتصام » وغيرها .. فإلى أى حد تؤمنون بجدوى الإعلام فى البعث الإسلامى المأمول ؟.

• لا زلت أومن كل الإيمان بجدوى الكلمة المخلصة .. فهى بدون شك تجد صداها مع الناس فى كل زمان ومكان .. قد يستجيب لها قلة .. لكن يجب أن نضع فى حسابنا أن القلة الخيرة لها وزنها وقيمتها بالنسبة للكثرة الشريرة .. وفى القرآن ذكرت القلة مقرونة بالثناء .. والكثرة مقرونة بالذم . قال تعالى : ﴿ **قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث** ﴾ [٥ : ١٠٠] وقال تعالى : ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله** ﴾ [٢ : ٢٤٩] وقال تعالى : ﴿ **وقليل من عبادى الشكور** ﴾ [٣٤ : ١٣] وقال تعالى : ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم** ﴾ [٣٨ : ٢٤] وقال تعالى : ﴿ **وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله** ﴾ [٦ : ١١٦] وقال تعالى : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ [١٢ : ١٠٣] وقال تعالى : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ [١٢ : ١٠٦] .

يكفينا أثر الكلمة .. وإن كان مع قليل من الناس .. ويجب ألا يغيب عن ذهننا أن نجاتنا مقرونة بالتبليغ .. قال تعالى : ﴿ **وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون ۝ فلما نسوا ما ذُكِّروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون** ﴾ .

[٧ : ١٦٤ ـ ١٦٥]

إن الكلمة الخالصة لها أثرها إن عاجلاً وإن آجلاً .. فَلْنَثْبُت على الحق ، ولندع إلى الله ، ولنذكر أن الرسول ﷺ أوذى وثبت فى الدعوة ، ولم يتراجع .. على الرغم مما لقيه من أذى واضطهاد .. لقد اختفى يوماً ما فى غار .. واليوم أصبح اسمه على جميع المنابر والمآذن فى كل الأمصار والدول والأقطار .

* * *


هذا الكتاب ..
هذا الكاتب

أما الكتاب أيها القارىء .. فقد قرأت سطوره وما بين سطوره أيضاً .. فكان ـ كما علمت ـ كلمة الحق القوية المدوية التى خرجت صريحة فصيحة من مخارجها الصحيحة ..

وأما الكاتب فها نحن نقدمه إليك فى سطور وإن كان غنياً عن التعريف ، ولا يميل إلى الأضواء ..

• هو محمود عبد الوهاب مبروك فايد .

• ولد فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢١ فى قرية (دمينكه) ، من مركز دسوق ومحافظة كفر الشيخ .

• حصل على الابتدائية من معهد دسوق الدينى سنة ١٩٣٧ ، وعلى الثانوية من معهد طنطا سنة ١٩٤٢ وعلى العالمية من كلية أصول الدين سنة ١٩٤٦ ، وعلى العالمية مع إجازة التدريس سنة ١٩٤٨ .

• عين مدرساً فى معهد سوهاج ، ثم نقل إلى معهد منوف .

• اشترك فى الحركات الإسلامية والوطنية والأزهرية التى عاصرها .. وبسبب ذلك فصل ثم أعيد .. مرة وهو طالب فى الابتدائى .. ومرة وهو طالب فى الثانوى .. ومرة وهو مدرس .

• نقل بالتليفون يوم الأربعاء ١٩٥٦/١٠/١٠ من معهد منوف إلى معهد قنا بعد مقال بعنوان : (باسم الله والله أكبر .. فليستقل شيخ الأزهر) وقُطِعَ مرتبه ، وأحيل لمجلس تأديب ، فتطوع بالدفاع عنه كثير من المحامين ، وأيده الله بنصر من عنده وحده .. فألغيت المحاكمة ، وعرضت عليه مناصب رفضها وأبى إلا أن يعود كما كان إلى معهد منوف .. فأجيب إلى طلبه ، وعاد من قنا يوم ١٩٥٧/٢/٢٥ .. ولما أعيدت إليه مرتباته المقطوعة حج بها سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م ، وبقى فى منوف إلى أن نقل إلى معهد القاهرة فى ٩/٢٥/سنة ١٩٥٨ .

• كتبت عنه مجلة التحرير التى كان يديرها (أنور السادات) بالعدد رقم ١٨٥ الصادر فى يوم الثلاثاء ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ص ١٤ ، ١٥ فقالت :

« ومن أطرف ما يذكر عن تحيف المسئولين .. أن الشيخ فايد الذى يعتبر حجة فى علم الأحاديث النبوية والتفسير صدرت التعليمات لمعهد قنا الذى نقل إليه بأن يقصر عمله على تدريس الإملاء .. ومما يذكر أن الشيخ فايد مناكف قديم .. فقد كان الأول عند تخرجه فى الأزهر ، وكان المتبع فى نهاية السنة الدراسية أن يدعى الأوائل إلى حفلة يحضرها الملك السابق ، ويصافح فيها المتخرجين فأعطيت الأوامر إلى الجميع بأن ينحنوا عند مصافحتهم الملك .. ولكن هذا الشيخ العنيد أبى أن ينحنى ، وصافح الملك فاروق وهو منتصب القامة ، ورافع الرأس .. وكانت النتيجة أن صدرت الأوامر بتعيينه فى سوهاج مع أن المتبع أن يعين الأوائل فى القاهرة .

• فى يوم الجمعة ٥ أغسطس سنة ١٩٦٦ - ١٨ ربيع الآخر ١٣٨٦ شاهد فى جريدة الأهرام صورة مروحة - أول توربين روسى - للسد العالى كتب العمال عليها (الله أكبر .. صل على النبى) فعلق عليها فى خطبة الجمعة قائلاً : « إن العمال عندنا بخير .. فهم يكرهون الشيوعية .. لأنهم عرفوا وتيقنوا أنها إرهاب وجاسوسية ، واستبداد وديكتاتورية ، وخراب فى النواحى الاقتصادية ، وفساد فى النواحى الاجتماعية .. وأقرب دليل على هذا أنه ما كادت تصل مروحة السد العالى إلى الإسكندرية حتى صعد العمال عليها فكتبوا (الله أكبر صل على النبى) فأشهروا إسلامها عند وصولها ، وقبل نزولها ، وقالوا للروس : نتقبل المعونة المادية ، ونرفض المبادىء الشيوعية ، وبعد صلاة الجمعة قبض عليه ، وأُخذ إلى وزارة الداخلية ، ثم أفرج عنه ، وأمر زكريا محيى الدين رئيس الوزراء آنئذ بنقله خارج القاهرة كما جاء فى خطاب مكتب الأمن السرى العاجل بتاريخ ١٩٦٦/٨/١٣ ، واستجابت إدارة الأزهر فنقلته إلى معهد دسوق ، وبقى فيه حتى أعيد إلى معهد القاهرة يوم ١٩٦٨/٣/٤ .. ومما يذكر أن زكريا محيى الدين أُبعد وحل محله صدقى سليمان فى ١٩٦٦/٩/١٠ .. أى بعد قرار النقل بأقل من شهر .

• فى نهاية شعبان سنة ١٣٨٨ هـ قرر مجلس الأزهر الأعلى بالإجماع تعيينه رائداً دينياً لمدينة البعوث الإسلامية ، وتسلم عمله يوم ٧ رمضان .. فالتف حوله الطلاب ، وبدأ يلقى عليهم الدروس والمحاضرات ، فرأى رجال الأمن فى تجمع الطلاب حوله خطراً يخشى منه ، فكتبوا للأزهر يطالبون بتنحيته .. ولما عرض عليه ذلك قدم استقالته يوم ١٩ شوال ، وطلب عودته إلى التدريس فأجيب إلى طلبه فى الحال .

• بعد هزيمة سنة ١٩٦٧ م ألقى محاضرات فى قاعة الاجتماعات الكبرى بجامعة القاهرة ، وجمعية المحافظة على القرآن الكريم ، وفيها حَمَّل الرئيس جمال عبد الناصر مسئولية الهزيمة ، وقال : إنه فشل فيما هو من اختصاصه كرجل عسكرى .. فمن الواجب أن نحاسبه .. وإذا كنا حاسبنا الملك السابق على هزيمة سنة ١٩٤٨ والأسلحة فاسدة .. فمن اللازم أن نحاسب الرئيس على هزيمة ١٩٦٧ والأسلحة صالحة .. ثم قال : إنه رجل عسكرى لا مدنى .. فكيف يغامر ويقامر بجيشه .. كيف يخرج جيشه كله فى سيناء ، وسلاحه كله فى سيناء دون أن يتخذ للجيش مخابىء ، ولا للأسلحة مستودعات ذخيرة ، ودون أن يقيم غطاء لهما ، ودون أن يقيم خطاً ثانياً للدفاع على احتمال الانسحاب من الخط الأول ، ثم رفع الشيخ محمود فايد أمام المشاهدين عمامته وقال : أنا ابن الأزهر .. صاحب العمامة والورق الأصفر .. لو قيل لى : ضع خطة لوضعتها أحسن وأحكم .. أرسل ثلث الجيش إلى سيناء مع إقامة التحصينات اللازمة ، وأقيم خطاً آخر للدفاع على تقدير الانسحاب ، وأضع ثلث الجيش على الحدود ، وأستبقى الثلث رصيداً حتى إذا بدأت التفاوض على شراء أسلحة لم أتفاوض وأنا فى درجة الصفر .. بعد ذلك بأيام وفى أول عام ١٣٨٩ أبلغه وزير الأوقاف الشيخ عبد العزيز عيسى بإحالته للاستيداع تليفونياً ، فبادر بكتابة برقية أخذ صورتها بعد دفع رسمها .. ونصها : « وزير الأوقاف والأزهر ـ مصر ، مدير المعاهد الأزهرية .. بلغنى بالتليفون ومعهد القاهرة بإحالتى للاستيداع أفيدونى كتابة) لم يصله رد .. وفى يوم أول ربيع أول ١٣٨٩ هـ ١٧ مايو ١٩٦٩ م صدر قرار جمهورى بالإحالة رقم ٧٤٢ سنة ١٩٦٩ ، وطبق القرار دون إخطاره به ، ودون نشره فى الجريدة الرسمية .. وبقى فى بيته محاصراً برجال المخابرات .

• فى يوم الجمعة ٢٦ محرم سنة ١٣٩٠ هـ ٣ أبريل ١٩٧٠ م حضر إلى منزله فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الأزهر آنئذ ، ومعه بعض رجال القصر الجمهورى والجيش ، وأبدوا مشاعرهم النبيلة .. فقال لهم : إننى بحمد الله أقبض من تأليف الكتب وتحقيقها أكثر مما كنت أقبضه من الوظيفة ، وأنا دائماً أقول (يا الله .. أرادوا أن يهينونى فأكرمتنى .. أرادوا أن يذلونى فأعززتنى .. أرادوا أن يفقرونى فأغنيتنى .. يا الله .. لا أذل وأنا عبد العزيز .. ولا أفتقر وأنا عبد الغنى .. ولا أضعف وأنا عبد القوى) ثم رفض أن يكتب التماساً بالعودة ، وتوكل على الله وحده مستعيناً به .

• أرسلت إليه وزارة الأوقاف الكويتية تعرض عليه رغبتها فى التعاقد معه ..

فاستخار الله تعالى ثم تعاقد معها يوم ٢٠ يوليه ١٩٧٠ ، ولما طلب التصريح له بالسفر رفض مكتب الأمن فى كتابه رقم ٢١/٢٧٤٠ بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٩٧٠ .

• فى يوم ١٩٧١/٣/٢٠ بعد وفاة عبد الناصر صدر قرار بعودته إلى العمل بالأزهر .. وقد جاء فيه : « المادة الأولى : يعاد الشيخ محمود عبد الوهاب مبروك فايد إلى العمل بالأزهر اعتباراً من ١٩٧١/٢/٢١ وذلك على أن يكلف بعمل آخر غير التدريس والوعظ ، وبادر الأزهر بإعادته فجعله عضواً فى لجنة السنة بمجمع البحوث .

• فى يوم ١٩٧١/٨/٨ م ١٣٩١/٦/١٦ هـ تم التعاقد بينه وبين الحكومة السعودية للتدريس بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وبقى فيها يُدَرِّس التفسير بالسنة النهائية بالكلية ويدرس الحديث (١) .

• ألف وحقق نحو سبعة عشر كتاباً .. من كتبه التى ألفها « الرسالة المحمدية وشواهدها » ، « الإسلام وأثره فى نهضة الشعوب » ، « التربية فى كتاب الله » ، ومن كتبه التى حققها : « خلاصة تذهيب الكمال فى أسماء الرجال » ، وإلى جانب ذلك له مئات المقالات وقد نشرت فى مصروالعالم الإسلامى .

• دعته حكومة الكويت والبحرين وغيرهما لإلقاء محاضرات دينية فلبى الدعوة وأذيعت محاضراته على الهواء مباشرة ، وسجلت بالإذاعة والتليفزيون .

• متزوج وله ابنان وأربع بنات تزوجوا جميعاً .. الابن الأكبر يعمل مهندساً زراعياً ، والابن الأصغر تخرج فى كلية التجارة جامعة القاهرة ، والبنت الكبرى تخرجت فى كلية الآداب والبنات الثلاث الأخريات تخرجن فى كلية الطب ويعملن الآن طبيبات داخل جمهورية مصر العربية .. والجميع ولله الحمد درسوا العلوم الشرعية إلى جانب تخصصاتهم الأخرى ويعملون الآن فى مجال الدعوة .

---

(١) استقال سنة ١٩٨٦ م ـ ١٤٠٦ هـ بمحض إرادته من الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة بعد خمسة عشر عاماً قضاها فى تدريس التفسير والحديث لطلبة كلية الدعوة وأصول الدين لظروف صحية على الرغم من رغبة الجامعة فى بقائه وإلحاح الطلاب حيث كان يدرس للطلبة من مبعوثى أكثر من ثمانين دولة عربية وإسلامية .. يتفرغ الآن للتحقيق العلمى والكتابة للصحف والمجلات فى مصر وخارجها ويمارس الدعوة إلى الله كوكيل علمى لمجلس إدارة الجمعية الشرعية الرئيسية ، يجوب القاهرة والمحافظات داعياً إلى الله محدثاً وواعظاً وخطيباً حسبة لله عز وجل دون أن يتقاضى درهماً أو ديناراً .

فهرس الكتاب

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٦/٤٧٧٢

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى - ١١٢٣١

كلمــة النـاشــر

« محمـود عبد الوهاب فـايد » اسم يتردد على ألسنة الناس فى الداخل والخـارج .. سواء كان ذلك فى مجال الدعوة أو التشريع .. أو السياسة والحكم .. أو الثقافة والفكر .. فلقد أدلى الرجل بدلوه فى كل هذه المجالات منذ أن شب عن الطوق وحتى قارب الثمانين من عمره المديد .

والشيخ محـمود عبد الوهاب فايد كانت أمه قد ولدته حراً .. وهو مـازال يحافظ على هذه الحرية بكل ما أوتى من قوة ، يعض عليها بالنواجذ .. فهى أعز مايملك من نعم بعد نعمتى الإسلام والإيمان .. ولقد كان دور أبيه فى هذا بارزاً .. فهو الذى نشأه على السلوك السوى عفيفاً شريفاً ، ورباه على العزة فاضلاً كريماً ، وعوده على المثابرة فتيا جريئاً ، وعلى المجاهدة شجاعاً مقداماً ، ثم أودعه بعد ذلك أمانة فى عنق الأزهر الشريف فتربى الفتى على موائد الفهم والمعرفة ، ونهل من معين الفقـه واللغـة ، وعلوم التـفسيـر والحـديث حـتى برع وبرز فتـفـوق فى كل سنوات الدراسـة والتحصيل .

ونحن هنا لانقـدم إلى القـراء الكاتب أو الكتـاب .. فـالكاتب غنى بفـضل الله عـز وجل عن التعريف .. والكتاب سبق وأن نشرت فصوله فى سلسلة مقالات صريحة على صفحات مجلة « الاعتصام » ولكن فقط نريد أن نركز على طبيعة الظروف التى نشرت فيها هذه المقالات .. فى عدة مناسبات .. وفى ظل نظام مستبد، وحكم جائر ، وعهد لا يؤمن بدستور ، ولا يرضخ لقانون ، ولايقدس حريات ، وأقل ما يوصف به هذا العـهد أنه عـهد الفتنة فى سنوات المحنة .. ذلك العـهد الذى اتسم بالجور والصلف والطغيان ، واعتمد على أجـهزة الأمن ، واستراق السمع ، وتحريض الرجل على ابنـائه ، والولد على أبيـه ، وغض الطرف عن تسلط التنظيم الطليـعى ، وممارسـات المليشيات ، وأطلق زبانية الشرطة العسكرية على الأحرار والبرآء والآمنين .

فى ظل هذه الظروف كانت تسطر يمين الرجل هذه المقالات على صفحات « الاعتصام » .. لم يكن الكاتب يتوارى حين يكتبها .. ولم يكن يوقع بالكنية فى نهايتها .. ولم يكن يستعير عن اسمه الثلاثى بالأحرف الأولى .. ولكن كان يكتب ما يؤمن به وعمامته البيضاء ثابتة على رأسه لا تهتز، ومظهره الأزهرى باد عليه لايخدع ، ويكتب ما يكتبه بالخط الواضح العريض دون أن يتـهيب .. فإلى اليساريين المصريين من أنصار الصرح الأحمر الذى تهدم نظامه .. وإلى العلمانيين الذين لا يجدون الآن لأنفسهم مكاناً على أرض مصر .. وإلى تجار الشعارات ، وسماسرة الأحزاب .. وإلى السدنة من كتاب السلطة ، وصحفيي الفتنة ، وأذناب كل حكومة من الذين يتهمونا بأننا لم نكن نتصدى لهؤلاء الحكام وهم أحياء .. إلى هؤلاء نقول : إن « محمود فايد » قد كتب ما كتبه فى مـواجهـة أنظمـة الحكم تصديا لأبرز رمـوزها .. كتب ذلك وهم أحيـاء يرزقـون .. كـتب ذلك وهم يتمـتعـون بالسلطة ، ويجلسون على العروش ، ويحـتلون مواقع الأمر والنهى وإصدار القـوانين ، ويقبضـون بيد من حديد على مفـاتيح الزنازين ، ويطبقـون آخر المخـترعـات فى عـالم السجـون والمعتقلات .. فضلاً عن أن كل ما كتبه محـمود فايد كان مؤرخاً باليوم والشهر والسنة ، وموثقاً بالمصدر والواقعة والحدث .

وليست هذه الصفحة هى مجال استعراض الكتاب .. وإنما نشير فيها فقط إلى واقعة مما تعرض بالتصدى له « محمود فايد » حينما فجر قضية المقارنة الظالمة بين الوحدة الد والوحدة المحمدية .. هذه المقارنة التى تولى كبرها « أحمد حسن الزيات » أحد كبار أدباء مص فضل الوحدة الناصرية على الوحدة المحمدية تزلفاً للسلطة ونفاقاً لجمال عبد الناصر .. فجر فايد هذه القضية وأبطالها جميعا « أحياء » وفى سدة الحكم وعلى قمة السلطة .

وها هو محمود فايد مايزال على العهد يقوم بدور المسلم ، ويواصل مسيرة الدعوة ، رسالة العلماء .. وقد تأدب الرجل بأدب الإسلام .. فهو ينصح فى رقة ، ويوجه فى لطف المنحرف .. سواء كان هذا المنحرف حاكماً أو محكوماً .. أميراً أو مأموراً . . وصدق المؤمنين : « لا خير فيكم إن لم تقولوها .. ولا خير فينا إن لم نقبلها » .

وإلى صفحات الكتاب ..